

**مناهج البحث
في
الأدب واللغة والتربية**

الأستاذ الدكتور
السيد محمد الديب

كلية التربية، جامعة وناء

سبقني أخي محمود إلى الدنيا، وحيث بعده،
فضحكتنا معاً وبكلينا معاً.. ودعا رباه أن يموت قبلي،
لأشهد ساعة الوداع.. واستجابت الله له، فاتتقل إلى
الآخرة شهيداً غريباً، وصواماً قواماً، وظاهرها ثقيلاً.

وسوف أحيا ما بقى لي من عمر، داعيا له،
ومهتما عليه، ومهديا هذا الكتاب وما يمكن أن يتحقق
به من ثواب وأجر إلى روحه الراضية المطمئنة في عالم
البر الخير.

د. السيد محمد الدريبي

* لشهود أخي محمود في أعقاب حادث مروع حولى الحادمة عشرة من صبيحة يوم الخميس الثاني من رمضان سنة ١٤٢١هـ الموافق للناس عشر من ديسمبر سنة ١٩٠٣م.

النحو

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين...
أما بعد:

فقد صدرت بواكيير هذا الكتاب في مجموعة من البحوث التي تنشر بعضها بمجلات أكاديمية وعلمية مختلفة، أو ندار الحديث عنها في برامج إلقاء شهرة مثل قصبة للبحث وعالم الإنسانيات، أو شاركت بها في ملتقى التربية العالمية بكليات إعداد المعلمين، وأضافت إليها بعض القضايا الجديدة مثل تحقيق الخطوط العربية وطبعها، حيث رجعت إلى ملتقى المحققين العظام، والذين لهم جهود جبارية في الكتابة والبحث والتحقيق.

وكلرت التضاليا والبعوث المثارة هنا، ولذلك تكتواري هذه المقدمة أمام استكمال التعريف بهذه الأمور، لكن بعض الثوابت كانت تدفعني إلى التجديد، أخلاقاً عن المسارات التي تحرك عليها أساستنا الكبار الذين علمونا لا تكون تحنا مكروبة منهم، وإنما يذهبني أن نرسم صوراً لأنفسنا، جديدة ومبتكرة وخاصة بنا، وأرسرت إلى مولاناهم وسموهم القيمة في المواضيع المتصلة بما كبروا، وقطعوا في آنمواطاً كبيرة.

وافتضلي المنهج الذي اتبعته أن أجمع بين النظرية والتطبيق، لما في ذلك من أهمية بالغة في حقل الدراسات الأدبية واللغوية والتربوية.

وجاء الباب الأول بعنوان: «معالم البحث والتفسير والتحقيق»، في خمسة فصول مختلفة، تطرقت فيها للحديث عن طياب الدراسة في مناهج البحث وجهود العلماء العرب في ذلك، وكيفية إعداد البحث، وكتابة التفسير، وتحقيق المخطوطات وطبعها.

أما الباب الثاني فعنوانه: «قضايا وبحوث تطبيقية»، وجاء في خمسة فصول أيضاً، أمند الحديث فيها إلى قضايا الاستشراق، والمجلات الثقافية، وتعليم القراءة للمبتدئين، ودور المدرسة في تنمية الجانب الخلقي للنسمة، والضعف في الإملاء، مذكرنا في كل ما ذكرت على أهمية الربط بين القضايا المخادرة والبحوث التطبيقية التي يدار الحديث عنها في الفنون العلمية، والمنتديات الثقافية بالكليات الجامعية المختلفة، ويستثير بها الباحثون والطلاب في الأدب واللغة وسائل الطهور الإنسانية، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

[١٩] من شوال سنة ١٤٢٠هـ
ال الخميس [٢٧] من يناير سنة ٢٠٠٠م

دكتور/ السيد محمد الدبي卜
أستاذ دروس قسم الأدب واللغة
جامعة الأزهر - القاهرة

الباب الأول

مَحَالِمُ الْبَحْثِ وَالتَّفْرِيرِ وَالتَّحْقِيقِ

الفصل الأول: مبانع الدراسة في مناهج البحث

الفصل الثاني: مناهج البحث عند العلامة، العرب

الفصل الثالث: كتابة البحث

الفصل الرابع: التفرير

الفصل الخامس: تحقيق المخطوطات العربية وطبعها

الفصل الأول

طبائع الدراسة في مناهج البحث

كثرت الكتابات عن مناهج إعداد البحوث الأكاديمية والعلمية، وبيان طرق إعداد الرسائل والأطروحات الجامعية في السنوات الأخيرة، التي زادت عناية الناس فيها بدراسة علوم المكتبات والفهرسة والتحقيق وحفظ المستندات والمذكرات على شرائط مصورة (على نظام الميكروفيلم) أو على شرائط الحاسوب (ديسكات الكمبيوتر)، ولم يعد إعداد البحوث والدراسات والتقارير خاضعا لاجتهاد الباحث ومواريه، بفضل ما كان يقدمه بمساهمون في تأليفهم وإعداد رسالتهم المترجمة للأعلام والمشاهير منهم. وقد كان كتاب الدكتور أحمد ثلبي «كيف تكتب بحثاً أو رسالة» من بواكير الدراسات المنهجية الجادة التي تكشف للطلاب والباحثين في الدراسات العليا مناهج كتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه قال: «وقد لاحظت أن كثيراً من طلاب (الليسانس) في أبحاثهم، وطلاب الدراسات العليا في رسالتهم لا يهدون للمنهج القويم الذي ينبغي أن يتبع في هذا النوع من الدراسة، ولما حادتهم في ذلك التصور لهم العذر؛ لأنه ليس في اللغة العربية - فيما أعرف ويعرف هؤلاء - كتاب واحد يضم ما وصل إليه العلماء والباحثون في هذا الشأن...».

وقال: «من أجل هذا كتبت هذه الرسالة القصيرة لتغوي أهم ما وصل إليه الباحثون في هذا الموضوع، وإني آمل أن أكون قد أسلحت بهذا الجهد المتواضع في خدمة أصحابي الطلاب، وخدمة اللغة العربية يوجه عام»^(١).

(١) كيف تكتب بحثاً أو رسالة د. أحمد ثلبي من الطبعة الأولى ١٩٨٣ م، الهيئة المصرية.

وقد طبع هذا الكتاب أول مرة عام ١٩٥٢م، ثم توالى طبعاته بعد ذلك.

ولا شك في أن الأدب المتعصب لنطرو مناهج البحث لا يعقل الفرق بين طرق التفكير الخاصة بعلوم المنطق عند الأنبياء ومناهج البحث التي نطورت عند الأوروبيين في العصور الوسطى، تلك المناهج التي اختلفت بين جماعة وأخرى إلى أن خرجت من عيائهما، أو تضخت عنها بعد مئات السنين بعض الكتب التي تثير للباحثين مناهج البحث الحديثة التي قال عنها الدكتور أحمد شلبي في كتابه السالف الذكر: «أخيراً فلاني أعرّف أن هذا جهد متواضع، حاولت به أن أبدأ فرعاً في المكتبة العربية، التي غلت - فيما أعرف - من أي بحث كهذا، بينما ازدحمت المكتبة الإنجليزية بعشرات الكتب في هذا الموضوع»^(١).

لكن هل البحث الأدبي في صورته الحاضرة يعتمد إعتماداً كلّياً على المراجع الأوروبية وحدها؟ يعني أن يكون هنا العلم أوربياً فقطاً والمدح أو تقديره أصوله فأصلنا إليها أو حذفنا منها؟

وللابلات أن العرب قد اهتموا إلى طرائق ومناهج اعتمد البحث استناداً بها في ترقية الجوانب الهمة والمتعددة للحياة الفكرية عندهم.

قال الدكتور يوسف خليف: «لقد استطاع العلماء العرب أن يحققوا في كثير من جوانب المعرفة الإنسانية، وفي كثير من مجالات الفكر الإنساني مستويات

(١) المرجع السابق، ص ٤.

علمية على قدر كبير من التفتح، وأن يصلوا فيها إلى مناهج علمية على درجة كبيرة من الدقة^(١).

وتحددت مناهج التأليف والبحث لديهم، وليرجع من شاء إلى كتاب زميلاً الدكتور/ السيد نفي الدين (أصول البحث الأدبي ومناهجه) لكن الجوانب التطبيقية عند العرب كانت مقتمة على برامج ونظريات مناهجهم، بمعنى أنهم حرصوا على الالتزام بأصول البحث المنهجي قبل أي شيء آخر خاصة في بحوث اللغة والبلاغة والنقد الأدبي، تاهيلك عن بحوث الفكر والمنطق وسائر العلوم التطبيقية.

وفي العصر الحديث أفاد العرب من مناهج البحث العلمي أياً كانت منابعه ورواده، ويفتت مناهج إعداد البحوث والرسائل الجامعية خاصمة لما يحصل عليه طلاب العلم من تراث الشرق القديم أو إزدهار الغرب الحديث في المجالات المتعددة للعلوم التطبيقية والدراسات الإنسانية.

فمنهج البحث الأدبي - وهو قرين للبحث العلمي - يحتاج من التقدم والحديث، وذلك من النقطة أن نستسلم للقول برجوع أصوله إلى الفكر الأدري وقطع صلة بتاريخ العرب، أو نصل بنتها في الحكم على أصوله إلى المناهج العربية القديمة، لكن هنا العلم وهو مثل الفنون التشكيلية المستحدثة كالترجمة للأعلام، والتعریف بالمؤلفات يجمع في مكوناته بين الأصالة والمعاصرة، أو بين الشرق والغرب، وقد كان ذلك محل نزاع وجدل، زاد الصخب فيه بكتاب الدكتور/ طه حسين (مستقبل الثقافة في مصر).

(١) مناهج البحث الأدبي، من ٧٠ طبع دار الثقافة للنشر والتوزيع، عام ١٩٩٧.

البحث الأدبي

البحث - كما جاء تعريفه - بالمجمم الوسيط: بذل الجهد في موضوع ما، وجمع المسائل التي تصل به إلى غير ذلك من المعانى التي بذل عليها هذا الاصطلاح.

والآدب - «رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي»^(١) والأدبي: أي الموصوب إلى الآدب.

فالأبحاث الأدبية عبارة عن دراسة جادة في موضوع محدد، يصل الباحث لمجموعة من النتائج المقيدة من خالله.

والبحث في موضوع ما ليس أمراً هينا يقتصر فيه الجهد على تجميع بعض الأخبار والروايات وإعادة صياغتها، ولكنه بناء صعب يختاره الباحث بعناية، ويرصد له المصادر والمراجع، ويحدده له الخطوة الملامنة ويسوغه بأسلوب فريد، حتى يصل إلى مجموعة من النتائج يتغاذر بها الشك إلى اليقين.

ويختلف البحث الأدبي عن البحث العلمي، لأن هنا الأخير يستند لمجموعة من القواعد أو القوانين الصارمة، للوصول إلى النتائج الصائبة البعيدة عن أمر الاحتمالات.

كما يختلف البحث عن المقالة، إذ يشرط في الأولى أن يخضع لقواعد المتعارف عليها، ويسفر عن نتائج ملموسة، يمكن المقالة التي يمكن الاعتماد فيها على الخواطر والخيالات والأمني، فهي أقرب إلى الثانية منها إلى

(١) المجمم الوسيط ج ١ من ١٠ من ٩.

الموضوعية، وتقرب أوجه الشبه بين المقالة والبحث كما في الدراسات النقدية الموجزة ، ويمكن إطلاق اصطلاح البحث على الرسائل أو الأطروحات الجامعية ويتسع فيه قبطان على دراسة شخصية أو صدر من المصور أو جنس أدبي أو قضية من القضايا أو فن من الفنون الأدبية المعروفة. وينبغي الحرص على مجموعة من الأسس التي تطلبها كتابة البحث مثل اختيار الموضوع الذي يجب أن يكون نابعاً من الباحث. فتشهد أحوالاً متعددة لموضوعات اختار أو تفرض على باحثين، ولم تكن لديهم الفناعة للثامة بها، فلا يسفر هذا الاختيار عن شيء ذي بال في حقل المنهاج والبحوث الأدبية، وما يوسع له أن أكثر الطلاب في مجال الدراسات العليا يدرسون في اختبار موضوعاتهم، ليزجوا عن صدورهم عيناً قولاً أو بداعي المرض على إتمام دراساتهم في مدة وجيز، وتأتي نتيجة الجهد والبحث محببة لآمالهم وطموحاتهم، كما أنه لا بد من الاطلاع على كل ما كُتب في الموضوع المحدد للبحث، والاطمئنان إلى النتائج التي تم الوصول إليها، ولا يسرع الباحث في الكتابة إلا بعد أن يكون قد تبع بمفردات الخطة التي تم تحديدها والاقتناع بها، ولستا الآن، بقصد بيان الكيفية أو الطريقة التي تم بها إعداد البحث فذلك مجال رحب لم يحن أوان بحثه الآن. وتؤكد أن مجالات البحث كثيرة ومتنوعة، ولا يكاد يخلو موضوع أو قضية من صلاحتها لكتابه شريطة أن تكون مجالاً رحباً يتسع للدراسة ولا يبتلي بها، ولم يسبق أن تم الوصول إلى آخر نقطة البحث فيها.

وتؤكد على ضرورة سعي الباحث وإنجاده في أن يسفر عمله - مهما كان موضوعه - على جديد يذري البحث ويعرف من قيمته، فالمحول عليه منهجه

البحث وطريقه والنتائج الذى تم الوصول إليها، حتى لو كان الموضوع قد سبق الكتابة فيه، فليس المرة بكلمة الصفحات أو قلتها، أو زيادة عدد البحوث أو نذرتها؛ لأن المهم والمطلوب في كل بحث أو دراسة أن تكون جديدة مذكورة مفيدة للمجال الذى أعددت فيه حتى لو كانت شرحاً للنص، أو تحقيقاً لمخطوط، أو كتابة عن شخصية، أو بحثاً في عصر من العصور، أو تاريخاً لحياة أئمة من الأمم، أو بحثاً تدققناه لولامد من الفنون الأبية، أو غير ذلك مما ينسع فيه مجال الدراسة والبحث.

تطور المناهج البحثية :

يرتبط المنهج وهو الطريق الواضح المحدد، برتبة عند الإغريق بعلم المنطق، وبكتاب أرسطو فيه، حيث كان يتحدث عن الكلمات النص - الجنس - النوع - الخاصة - العرض، والتي كانت تتشكل منها الحدود والتعاريف، وقد ترجمت مؤلفات أرسطو إلى العربية في القرن الثامن الهجري وتأثر بها العرب، وبغيرها من المؤلفات اليونانية التي أضافوا إليها إضافات كثيرة في مجالات التفكير والعلوم دون أن يكون لهذه المؤلفات تأثير باز ومبكر في الأدب والفنون.

ولا شك في أن كثيراً من المناهج البحثية قد انتقلت من الإغريق إلى الكثير من بلدان أوروبا، واجتاحت العصور الوسطى، وظهرت بها ديانشان هما المسيحية والإسلام ، ويقى أرسطو - خلال هذه القرون - المعلم الذي لا يرقى إلى منزلته معلم آخر في مجال الفلسفة والمنطق، وبدأ التفكير في إخضاع البحث للمنهج الذي هو قسم من أقسام المنطق وصارت العلوم التطبيقية محل الاهتمام

من المفكرين والعلماء، وظهر علم مناهج البحث وهو: «طائفة من القواعد والقوانين العامة، تسيطر على سير العقل، وتحدد عملاته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة في موضوع من الموضوعات»^(١) وقد سارت عملية البحث عن منهج مطمور في الدراسة الباحثية من حقبة إلى أخرى ومن خلال أعمال متغيرين كان الفيلسوف الفرنسي (ديكارت ١٥٩٦ - ١٦٥٩) من أبرزهم، والذي سار على درب سابقه من أمثال فرنسوس بيكون أو غاليليو، فرفض المنهج الأرسطي وبدأ في التمهيد لمنهج جديد.

لقد شغل ديكارت بالبحث عن منهج يصلح لكل العلم، مهما تختلف موضوعاتها، لطالما من اقتضاه بوحدة المثل العليا، وانتهى إلى أن المنهج الرياضي هو أكثر المناهج ثباتاً، وأندما يقيناً، وأنه لو طبق على العلوم الأخرى ليبلغ درجة العلوم الرياضية من حيث استقرار النتائج وثباتها، فدعا إلى الأخذ به. وأساس الفلسفة الديكارتية هو الشك المتجهي، وعلى هذا الأساس أقام بناءه الفلسفى، فشك في معارفه جمهاً، لاكتفى أن يكون مخدوعاً فيها إلاحقيقة واحدة رأى أنها لا تقبل الشك وهي حقيقة أنه لا شك، ومن هذه الحقيقة الثابتة انطلاق إلى إثبات أنه موجود.^(٢)

فالمنهج الرياضي الذي آمن به ديكارت رأى مصلحته لكل بحث علمي يرتقي خالله من الشك إلى اليقين وبناء على أربع قواعد^(٣) هي:

(١) مناهج البحث الأنبياء، دار يوسف خليف، ص ١٧.

١٧.

السابق، ص ٢٢، من ٢٧.

(٢) راجع المنشق الروماني الدكتور زكي نجيب محمود، وكتاب الدكتور يوسف خليف المذكر مقنماً من ص ٣٥ إلى ص ٦٤.

- ١ - التوثيق فلا يؤمن الباحث بشيء إلا إذا أمن بصدقه وصحته.
- ٢ - التحليل بحيث يقسم أو يحلل الموضوع إلى مجموعة من العناصر البسيطة، التي يجب إدراكها والتتأكد من سلامتها، والكشف عما خفي من جوانبها.
- ٣ - التركيب وهو أن يعيد الباحث تركيب العناصر التي تمت تجزئتها إلى أشكال جزئية حتى تتكامل عناصرها في تركيب تصاعدي يصل بهد إلى أصعب العناصر وأشدتها تعقيداً.
- ٤ - المراجعة النهائية وهي ألا يغفل جانباً من المشكلة موضع الدراسة والبحث. وقد أسررت ثورة ديكارت (ومن سبقه) على المنهج الأرسطي عن ظهور علم مناهج البحث، وتشعب هذا العلم إلى ثلاثة مناهج، يحكم نوعية الدراسة والبحث، فظهر المنهج الاستقرائي للعلوم الطبيعية، والمنهج الاستدلالي للعلوم الرياضية والمنهج الاستردادي للعلوم التاريخية وما شابهها؛ حتى يرجع الباحث إلى الماضي، للتعرف على أحداث التاريخ وتفسيرها والحكم عليها.
- وأخذ الناس في أوربة يسعون إلى تطبيق المناهج البحثية في مجال العلوم على الدراسات الأدبية، ومن ذلك دعوة «سانت بيف، Sainte Beuve» الذي حاول الربط بين علم النبات والأدب، فإذا كانت الميقات ذات نسال متشابهة، وكذلك الأدباء الذين يمكن تصنيف كل منهم تحت خصائص مشتركة، أو اتجاه معين يجتمعون حوله ويلتفون فيه.

ودعا الناقد (تين) Taine المعاصر «السانت يفه» إلى نقل مناهج التاريخ الطبيعي وتطبيقها على الأدب.

وعملت صبيحة «برونتيير» Brunetiere في الدعوة إلى تطبيق نظرية دارون في النشوء والارتفاع على الأدب، باعتبار أن الفنون الأدبية كالكلائدات الحية تحصلن نفس القانون في نموذتها وتطور أشكالها، كما دعا برونتيير أيضاً إلى تطبيقها على المسرح والشعر الغنائي والنقد الأدبي.

على أن هذه الدعوات لم تثبت أن هذات مع مطلع القرن العشرين حيث ارتفعت الأصوات التي نادت بضرورة أن يستمد الأدب مناهجه من العلوم الإنسانية وليس من الطقوس الطبيعية، ويدأت المناهج المستمدة من العلوم الإنسانية تبرز ويسلط عليها الضوء ، وظهرت محاولات لدراسة الأدب وبحث قضاياه من النواحي التاريخية والتفسيرية والاجتماعية والجمالية أو الفنية أو بالاعتماد على أكثر من منهج أو نيار من النواحي المذكورة.

مناهج البحث في الأدب ولغة :

لقد تعددت مناهج البحوث في الأدب ولغة، وأنها لا تبعد كثيراً عن مناهج البحوث العلمية، ويمكن القول: إن المناهج المتصلة بالأدب قد تقدمت على نظيرتها في العلوم التطبيقية، وإن أمكن التقارب بين هذه وتلك في العصر الحديث، وأن هذه المناهج ليست محل اتفاق بين الباحثين، كما يمكن أن يلتقي فيها اثنان أو أكثر في دراسة شخصية أو ظاهرة أدبية، ومن أبرز هذه المناهج ما يأتي:

١ - المنهج التاريخي :

وهو من أقدم المناهج في دراسة الأدب إذ أن الصلة بيته وبين البحث الأدبي ضرورة وقوية، ولا يخفى أن جزءاً كبيراً من الدراسات المختصة تدرج تحت ما يسمى بتاريخ الأدب، ومسئلة الكثيرون إلى المعيار التاريخي، وهم يربطون الأدب بالأحوال السياسية والاجتماعية والدينية، أو يقسمونه إلى حضور تاريخية مشهورة مثل العصر الراهن وما تلاه إلى العصر الحديث.

والملاحظ أن الذي يدرس شاعراً أو يعرض لظاهرة أدبية لا يعني نفسه من التعرف على أحد أحداث التاريخ المرتبطة بالشعر أو المؤثرة في الظاهرة وتشهد العديد من المؤلفات العربية التي أعطت هذا المنهج عنابة خاصة وصارت وفق توجهاته مثل كتاب (تاريخ أدب اللغة العربية) لجورج زيدان، و(تاريخ الأدب العربي) لأحمد حسن الزيات وسلسلة (تاريخ الأدب العربي) للدكتور شوقي صيف وغيرها.

كما يستعن بهذا المنهج في دراسة الشخصيات الأدبية مثل كتاب (مع المتنبي) للدكتور ملء حسين (مجموعة أعمال الشعر) للعقاد، فضلاً عن العديد من الروايات التاريخية الشهيرة في الأدب العربي وسائر الأدب العالمي.

٢ - المنهج النفسي:

بدأ الاهتمام بهذا المنهج في القرن العشرين، وافتقرت المعرفة الحقيقة للشخصية بدراسة أحوالها النفسية ومكرراتها الباطنية، والتعرف على النزعات التي تتجاذب فيها.

واستعان الكثيرون من الباحثين بنظرية فرويد Freud، الذي يخضع بعض العيوب الإنسانية إلى ما سماه.. الكبت Refoulement، وبجعل بها التزعات التي يمكن فيها الإنسان تمشيا مع المجتمع وتقاليد، وهذا التحكم لا يعيي العيوب، لأنها سبقيت جهة في وعيه الباطن (عالم الشعور) وقد تتجدد، ولكن إلى حين، وهو ما يسمى بالتحليل النفسي، كما اهتم في تحليله بالأحلام التي تعرض للشخص في نومه.^(٤)

لكن لا يتبع الإسراف في الاستعانتة بهذه النظرية أو بغيرها من نظريات علم النفس عند دراسة آية شخبية، أو تحليل عمل من الأعمال الأدبية، خوفاً من التحول عن قافية البحث وجماليه وفشل النزق فيه إلى دراسات علمية ملحة بالجفاف.

ولقد ظهرت بحوث عربية عديدة مقرنة بعلم النفس والدراسات الإنسانية، وما طبع في المكتبة العربية، معينا بهذا الجانب، كتاب «من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقد» للأستاذ محمد خلف الله أحمد وكتاب «النفس للأدب» للدكتور عز الدين إسماعيل وكتاباً العقاد عن ابن الرومي وأبي نواس، وغير ذلك كثير.

٣ - المنهج الاجتماعي:

يوجه هذا المنهج لدراسة ظواهر الاجتماعيات المتصلة بالفنون الأدبية ومدى تأثير البيئة في الأدب.

(٤) معلم النقد الأدبي: د. عبد الرحمن عثمان، من ٤٣.

وتكشف أحداث التاريخ عن جوائب الصلة الوثيقة بين الأدب، والمجتمع، ففي الشعر البوذاني على اختلاف مراحله تبرز العلاقة بينه وبين منظبات الجماعة سواء أكان الشعر غالياً أم تمثيلاً لمجموعات، كما وضح ذلك من خلال الشعر الجاهلي، الذي كان حبوباً معبراً عن القبيلة، فيفتخر بها أو يتحدث عن إبطالها ويشيد بانتصاراتها، ويمدح زعماءها، أو يرثي من مات منهم، وبهجو حضورها والمناوئين لها.

وفي العصر الأموي كان الشعر إلى جوار الجماعة، التي اندرجت في حزب سياسي أو اتجاه ديني كالشيعة والخوارج والزيدية.

ويبرز الحاجة إلى توجيه الأدب لخدمة المجتمع في العصر الحديث، وتجلّى ذلك في العديد من الفحصاً مثل الالتزام والحرارة والواقعية وتحولات البطولة في العديد من الروايات من الفرد إلى الجماعة.

وعولجت ظواهر أدبية اجتماعية متعددة في الأدب العربي عن الشعر القبلي والصلعانية وشعر الحرب في العصر الجاهلي، كما تُوقشت من خلال الدراسات الجادة - فحصاً ذات صلة وثيقة بالمجتمع، مثل شعر الناقض والغزل العنزي في العصر الأموي، ومثل شعر الجهاد وغيره في العصور التالية.

٤- المنهج الفنى (منهج الجمال الفنى)

هو ذلك المنهج الذي يعنى فيه بالقيم الفنية المحققة للجمال عند دراسة الأدب، للتعرف على الشخصيات، أو ببحث الطواهر المتميزة، وهو أحد المناهج ذيوعاً وانتشاراً بين الباحثين؛ لما فيه من عناية بالصياغة الأدبية والتأكد على

عنصرها وأسرار جمالها وتحقيق المتعة الذاتية لدى المطلق، وربما لا يقصد رواد هذا الاتجاه إلى تتحقق شيء سوى الإحساس بالجمال.

واشتد الصراع (في أوروبا) بين الفالقين بأن الفن للفن، والذين يقولون إن الفن للحياة. وانسعت مجالات البحث - من خلال هذا الاتجاه - للعديد من الناقد المحققة للتوجه الفني مثل الموضوع والعاطفة التي ينظر إليها باعتبارات متعددة مثل الصدق والصدق والقدرة.

وبالنظر إلى كل هذه الاعتبارات لا نظن أن عملاً أدبياً يمكن أن يتجاهل الجمال الفني والناقد المكونة له، ولكن المعول عليه عند تصنيف النص هو مقدار ما يقلب عليه من ملامح وسمات؛ ونجد بمحوئنا عديدة ممثلة لهذا الاتجاه، مثل كتابات ابن المقفع والجاحظ وأبي حيان الترجمي والقاضي عبد العزيز الجرجاني ومثل «كتاب حافظ وشوقى»، والأقسام، الدكتور مهه حسين والكثير من كتب مصطفى صادق الرافси.

٥ - المنهج الكلامي:

هو ذلك المنهج الذي تتم الاستفادة فيه من كل المناهج السابقة، أو من معظمها حسب ما تتطلب طبيعة البحث، ذلك لأن البحث ذات الخصائص الإنسانية تحتاج إلى الأخذ من سائر المناهج الأخرى، وربما يتطلب منهج على آخر ولكن لا يأس في ذلك ما يامت متطابقات البحث لا تتعارض مع هذا التوجه، كما أن طبيعة الموضوع هي التي تفرض أن توجه الباحث إلى المنهج أو المناهج التي يسعين بها؛ فدراسة الآخر يتطلب لها النظر لفاسخين الدقيق والباحث الشعولي الكامل.

يقول الدكتور/ شوقي ضوف: «وكان البحث الأدبي أعقد من أن يخضع لمنهج معين أو قل إنه لا يمكن أن يحويه منهج بعينه، ولذلك كان من الواجب على الباحث أن يفتد من هذه المناهج والدراسات جمجمها وهو ما نسميه بالمنهج التكاملى، حتى تكتشف له جميع الأبعاد في الأدب، وفي الآثار الأدبية، ونستطيع أن نستعرضها، ونرى مقدار ما يصيبه كل منها على حدة ومدى ما يمكن أن ينفع بكل منها في بحثه الأدبي»^(١).

فالإضافة من المناهج والدراسات السابقة ضرورية جداً للوصول بالبحث إلى درجة متكاملة متوازنة، ولا فرق في التعامل مع هذا المنهج المتكامل بين الغرب والشرق، أو بين الحديث والمعاصر أو بين دراسة شخصية أو دراسة ظاهرة أدبية مثلاً، والمعلول عليه هو الحرص على توسيع العمل وتغريمه والوصول به إلى مجموعة من النماذج الصحيحة، وتوسيع القاريء إلى كتاب مثل «مع المتنبي»، الدكتور/ طه حسين وسوف يرى الاعتماد على مجموعة من المناهج (التاريخي - الجمالي (الفن) - الاجتماعي).

أما المنهج العلمي فهو رايسى ولا يمكن التخلص منه في بحث العلوم الإنسانية، ولا تتوقف العلوم على التراوحى الطبيعية، لكنها تند فتشمل جوانب أخرى من البحوث فى مجالات محددة مثل النقد والنحو والصرف والعروض والفقه وغيرها.

(١) البحث الأدبي، ص: ١٣٩.

والمفاهيم المتعلقة بالعلوم كثيرة، وإنما اتصل بعضها بالزمان أو المكان أو بنظريات معينة أو بالحرص على الملاحظة وإجراء التجارب (البحث التجاري) أو للمنهج العقلي أو المنطقي أو المنهج الطبيعي، وهو منهج قد يظهر في أوربة في القرن التاسع عشر، ولابد من الالتزام وتحديد الخطوة والمعامل الواسحة للبحث فقد قيل: «ليس من المنهج أن تخرج من المنهج».

* * *

الفصل الثاني

مناهج البحث عند العلماء العرب

لهم العرب اهتماماً كبيراً بتدوين تاريخهم وتسجيل حضارتهم، وكتبوا عن أخبار الملوك والخلفاء والأمراء، كما حافظوا على اللغة العربية، ووصلوا إلى الأصول والقواعد المنظمة لها والكافحة عن أسرارها، كما دوّنوا الشعر بكل فنونه، وترجموا للعديد من الأديباء والعلماء.

وترجع نشأة الترجمة للأعلام إلى السيرة النبوية التي أولاها المؤرخون جل اهتمامهم، وسجلوا حياة الرسول ﷺ، وموافق عديدة من حيوانات أصحابه مثلما فعل ابن شهاب في كتابه الشهير عن السيرة النبوية، ونشأت بجانب الكتابة في حياة الرسول عدابة أخرى تتجه للمرصن فيها إلى تدوين أقوال الرسول ﷺ، والترجمة للرواية تراجم مختصرة، كانقصد منها بيان قيمة الحديث ومكانته في الرواية والإسناد، وكانت كتب البخاري ومسلم، وغيرها من أهمها كتب الحديث النبوى، من يواكير المزاعقات التي تبيه الآذان إلى وضع تراجم لطبقات أخرى من الرجال كالصحابية والفقهاء والخوبين واللثريين والشعراء والأدباء والصوفية والقضاة والأعيان والحكماء والأطباء وغيرهم.

وكان انصراف الرسول وأصحابه إلى القرآن الكريم إعجاباً به وتقدير له وحرصاً وخوفاً عليه، ولم يعطوا الحديث النبوى - خاصة بعد وفاة الرسول - ما أصطبه للقرآن، فدخل في الحديث الشريف مالئين منه، وأختلف الحكم على الرواية بسبب درجة الحفظ ومدى الأمانة في الرواية، ولذلك أدرك المسلمون -

في مرحلة تالية - مدى الخطورة التي تهدى الحديث فالتقروا إليه واهتموا به، وحرصوا على الارتحال للقاءات من الحفاظ تمهيداً لتدريسه وبيان الصحيح منه من الدخيل وما جاء في مقدمة ابن الصلاح: ومن مناهج استخلاص صحيح الحديث من سفيهه ما أطلق عليه «نقد المرويات» وذلك بعرض الحديث على نصوص الدين وقواعده، فإن وجد مخالفاً لشيء منها رد الحديث ولم يعمل به - فمن ذلك أن أم المؤمنين عائشة سمعت حديث عمر ولبنه عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت ليُعذب بكاء أهله عليه، فقالت: رجم الله عمر، والله ما حدث رسول الله أن الله يُعذب المؤمنين بكاء أحد، ولكن قال: إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه، وقالت: حسِّنْكم القرآن ﴿أَلَا تَرَدُّ وَإِذْ وَزَدَ أَخْرَى﴾^(١)

ولاقت الكتابة من الحديث والسير - كما سبق - إلى الكتابة في الأدب واللغة، الذين كان اتصال التأليف بينهما وثيقاً في المراحل المتقدمة من نشأة الكتابة الأدبية التي ظهرت مصاحبة لاختيار قصائد الشعر ومخطوطاته وتدريجها في منتصف القرن الثاني من الهجرة، وتعد المخطوطات أقدم المجموعات الشعرية المختارة وهي للمفضل بن محمد بن يعلي الصنبي الزاوي الكوفي الشهير، والذي توفي سنة ١٦٨هـ وقد تناولت هذه المجموعات التي اختلفت أنماطها، وعدد القصائد والمقطوعات فيها.

(١) من مقدمة (علوم الحديث) لابن الصلاح.

أولاً: دراجم الأديباء:

١ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (١٣٩ هـ ٢٢١ مـ).

يذكر كتاب (طبقات فحول الشعراء) في مقدمة الكتاب الأدبية والنقدية التي وصلت إلينا من بدايات التأليف والبحث الأدبي، حيث لم يُسمى هذا الكتاب

- في مدى علمنا - إلا بكتيب للأصمسي يسمى (قحولة الشعراء).

وانتقل كتاب الطبقات لابن سلام على مقدمة مهنية، اعتمد عليها الكثيرون في الحكم على منهج الرجل في البحث والأدب والنقد والتأليف.

أما موضع الكتاب فهو الحديث عن الشعراء الجahليين والإسلاميين من خلال منهج لم يكن غريباً بصورة عامة على البيبة الأدبية في نهاية القرن الثاني للهجرة، حيث قسم المؤلف الشعراء المشهورين إلى طبقات، بعد تعرى الأشعار التي نسبت لهم، والروايات التي تحدثت عنهم، ليكون حكمه صائباً ونقيه عادلاً، وجعل الجمحي من كلية الشعر وجودته أساساً أو معياراً لاختياره للشعراء وترتيبه لهم، مع استعانته بأقوال الرواة والأخباريين في تغريب مبدأ الشهرة الذي جرى عليه تقسيم الشعراء إلى طبقات^(١).

وقد كان ابن سلام من أقدم المؤلفين الذين اخْتَطوا لأنفسهم منهاجاً وطريقة في البحث سار عليها بعض المتأخررين عنه في الزمن والمذلة، ويبلغ مجموع من اختارهم مائة وأربعة عشر شاعراً على اختلاف أزمانهم وبيوتهم وعقالتهم ومنازلهم في قول الشعر والحكم عليه.

(١) انظر كتاب (ابرو القوس بين القداماء والمعاصرين) المؤلف.

ويؤخذ عليه إغفاله لبعض معاصريه مثل مروان بن أبي مقصة ومسلم بن الرؤيد وبشار بن برد وغيرهم، وليس هناك من سبب مباشر لذلك إلا أن يكون ابن سلام قد وقع في شرك التحصص للقديم، أو أنه خشى الضيق والخرج من نفسه لشمر من أغلاهم، أو ربما خلقت علينا الأسباب المفجعة لهذا المزعزع المربي.

وقد سبق أن ناقشت منهج ابن سلام في البحث والكتابة من خلال نقد ما عرض له عن أمرىء القيس، وذلك في كتاب لي بعنوان «أمرىء القيس بين القدماء والمحدثين»، طبع عام ١٩٨٩ م.

٤ - الشعر والشعراء لأبن قتيبة (٥٢١٣ - ٥٢٧٦) :
الشعر والشعراء لأبن قتيبة واحد من أهمات كتب الأدب والنقد والترجم
الذى لا يستقى عنها أديب أو باحث فيما يتعلق بنشأة البحث الأدبي
عند العرب.

بدأ ابن قتيبة كتابه بمحنة صافية انطلاقاً من حرص أكثر القدماء على
العناية بالمقتدمات التي يعذربنها لمزاراتهم الجاثية. بل إن هذه المقدمة قد طالت
عند البعض، ويقف حجم كتاب مستقل كما هو الحال في مقدمة ابن خلدون.
وقد شرح ابن قتيبة مذهبة في التعريف بالشعراء وعرض القضايا الأدبية
والنقدية، ثم ترجم في أصول كتابه للمشهورين من الشعراء قال: «هذا كتاب
ألفته في الشعراء أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في
أشعارهم وقولاتهم، وأسماء أبيائهم، ومن كان يعرف باللقب أو بالكتبة منهم، وعما

يتحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره، وما أخذته العناية عليهم من الغلط والخطأ في لفاظهم لرماعتهم، ومسابق إلية المتقدمون فأخذة عليهم
المتأخر...⁽¹⁾

وترجم لسنة ومالئتين من الشعراء بين جاهلي ومخضرم وأسلامي
وعباسى مع الاستشهاد بالآثار من أقوالهم وأشعارهم.
وحرص ابن قتيبة على التدليل على سلامة منهجه في البحث وال اختيار،
وإن كان بعض من ترجم لهم ولم يحصلوا على مرتبة الشهرة التي عانها إلا إذا
سلم بما يحيى الكبير من الشرف، ومن هنا تهنىء، شهرة الأديب، فيسلك في عدد
المغمورين بعد أن كان مشهوراً خالق الصيغ.

وقد وضّح مدى اختلاف كتاب ابن قتيبة عن كتاب ابن سلام، فهذا يجعل كل مجموعة في طلاقة أو طبقة معينة، أو يجمع بين شعراء كل مدينة أو منطقة في طبقة معينة، يمكن ابن قتيبة الذي كانت نظرته لكل شاعر نظرية مستقلة يطول الحديث فيها أو يتصرّر حسب مكانة الشاعر وغزاره نتاجه، ومستوى شعره.

«والمتصفح لكتاب ابن قتيبة يرى أن المؤلف قد حرص فيه على إبراز ترجم الشعراء مرعايا في تناولها (تنبيها) الترتيب الزمني لاعلى وجه الدقة والضبط ولكن في خطوطه العامة»⁽⁷⁾.

^(٢) المسر والشعراء بين قديمة من ٦٥ تحقيق أحمد شاكر.

^(٢) أصول البحث الأدبي ومناهجه، دكتوراً في المهد نفي الدين من ٨٠-٨١.

فقد بدأ بالجاهليين والمخضرمين ثم بالإسلاميين وانتهى الكتاب بترجمة المحدثين وإن لم يلتزم بهذا المعيار أبداً دقيقاً، ولم يكن منهاجاً جازماً انتصري للرجل تحت لوائه، وهو على كل حال باحث ناقد مثقف يمثل انحرافاً منتفقاً عن سلفه ابن سلام ومعاصره الجاحظ وخلفه أبو الفرج الأصبهاني.

٣ - *الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني* (٢٨٤هـ - ٣٥٦هـ) :
كتاب الأغاني من أوسع الكتب العربية، التي ترجمت للشعراء والمغتربين والمغدوشات في العصر العباسي وما قبله، وهو حوصلة ضخمة لمجهود أبي الفرج في خمسين عاماً قضتها في جمع مادته الإخبارية والأدبية والنقدية وتنسيقها وضمها إلى أوراق الكتاب.

ولقد حرص القدماء والمحدثون على اقتداء الأغاني والاستفادة منه، ونقد وشحذواه، وانطلق البعض إلى اختصاره وتجریده من الأسانيد، ومن كل ما لا يحسن ذكره، ولكن ذلك لم يكن طلاب العلم والمعرفة عن إعجابهم بأصل الكتاب.

ابداً أبو الفرج الكتاب بمقدمة مختصرة بالنظر إلى مقدمات الكتب الأخرى في ذلك الوقت، وبالنظر أيضاً إلى مقدمتي ابن سلام وأبن قتيبة في كتابيهما (*طبقات فحول الشعر*) و(*الشعر والشعراء*) ولكن أبو الفرج لم يشغل نفسه في صفحاتها القليلة إلا بالجديد عن منهجه في تأليف الكتاب وطريقته فسي ترتيب من ترجم لهم من الشعراء وأهل الغاء وبيان المساعي على تأليف الأغاني.

ومن الواضح لكل من طالع الكتاب أن ثواب الفرج بذ الكتاب على ثلاثة جوانب متصلة وهي الأصوات (الأغان) والمعذون والمعذيات، والشعراء، وهذه الجوانب الثلاثة متصولة ومحارطة، ثم تأتي بعدها في الأختبة بعض المؤصنات المتصصلة بها مثل أيام العرب وأحداث التاريخ والفقائد ولقلل وال محل وغيرها.

وقد جعل الأصوات أساساً لترتيب الكتاب وهي الأصولت العائمة التي أمر هارون الرشيد إبراهيم الموصلي وأسماويل بن جامح وظيع بن عوراء باختبارها له، ولكن هذه الأصوات لم تكون الوحيدة بين دفني الكتاب، فقد أضاف إليها الأصوات التي تخفي بها المستقعمون من أهل الغناء، وكان اختبار الشعراء على أساس الغناء، فلابد أن يكون الشاهير الذي سلكه في الكتاب من غنى شعره بحرف النظر عن كونه جاهلياً أو إسلامياً أو عبيسي، ولم يخضع في ترتيب الشعراء على أساس زمني أو ملئقي أو مكان.

ولأبي الفرج قضيلة الاستيعاب والشمول والربط بين الواقع والشعر، والحرمس على نقل الكثير من النصوص من شعر وأغاني وروايات، كما عول على العديد من الكتب التي ألغت قيمه مثل كتاب الفهرست لابن التديم وغيره، وتنادى أهمية الأغانى من إثنائه ليجعل الأصول من المصطلحات التي صناعت ضمن ماصناع من ثراث العرب، ويكتفى ما بذلك من جهد طوال خمسين عاماً أنفقها في جمع العادة الأدبية والإخبارية لهذا الكتاب الذي لا يستغني عنه باحث حاد في الحياة الأبيانية القديمة والمعاصرة.

٤ - الموضع للمرزباني (٢٩٦ - ٢٨٤) :

الموضع ثمرة من ثمار التأليف في القرن الرابع الهجري، وكتاب في النقد النطبيعي للقواعد التي امتدت إليها المقاد حتى عصر المرزباني، ومسند عظيم لكتور من النصوص والأدبيات التي أتت على أصولها بد الحديث، وأمتدت إلى أوراقها عوادي الزمان.

يعرض الموضع لثلاثة جوانب متصلة بالشعر، وهي في مجموعها لا تحمل حديداً لم يذكره القدماء، وإن تغزت بالجمع والاستقصاء والتبرير من خلال النقل عن مؤلفات السالبيين أو الأخذ عن الرواة المعاصرة للمرزباني الذي تحدث في مقدمة الكتاب عن عيوب الشعر القافية مثل السناد والإفوء والإكفاء والإبطاء - ومثل لها معرفاً بأجزاء القافية وحركات حروفها، ثم ترجم لأربعة وستين شاعراً جاهلياً وإسلامياً وعيسياً، فضلاً عن جماعة أخرى من الشعراء الذين ترجم لهم مجتمعين لا مفرددين، وبينما بالجاهليين تم بالإسلاميين ثم بالمحدثين، وختم الكتاب بما جاء في قم الشعر الرديء، وذكر الهدف من تأليف الكتاب فقال: «سألت.... أن أذكر لك طرقاً مما أذكر على الشعراء في أشعارهم من العيوب التي سهل أهل عصرنا هنا ومن بعدهم أن يجنديوها، ويعذلوا منها فأجيئتك إلى ما سألت»^(١).

ليس من منهجه إذن أن يتعقب حياة الشاعر كما فعل ابن قتيبة أو أبو الفرج، وإنما ينحصر هدفه في بيان المآخذ والعيوب التي أذكرها علماء النقد على

(١) الموضع: المرزباني، من ١١.

الشعراء، ثم بين منهاجه وخطبه في التأليف فقال: «لابدنا بباب ألينا فيه عن حال السناد والإبطاء والإففاء، والإكلام - وإن لم يكن هذا الكتاب مفتراً إلى ذكره، وإنما أورتنا، لما جاء فيه من الأشعار المعيبة..... وختمن الكتاب بباب ألينا فيه بما روي من ذم رديِّ الشعر وبمقاصده، وعلى أن كلثرا مما ذكر في الأشعار قد أصبح له جماعة من التحبيين وأهل العلم يلخص العرب وأرجعوا العذر للشاعر فيما أوردته منه وردوا قول عاليه والطاعون عليه، وضرروا بذلك أمتة قسوا عليها ونظائر القدوا بها ، وتباهوا بهم إلى ما يحتمله الشعر أو يضطر إليه الشاعر^(١)».

وسرار المرزباني على رؤية كثيرة من القدماء في تقديم أمرىء القيس، الذي كان أول المترجم له في كتاب الموشح.

ولا شك في أن هذا الكتاب يختلف عن كتاب آخر للمرزباني وهو معجم الشعراء الذي رتبه على نظام ترتيب الحروف الهجائية بالنظر إلى أول كل اسماء دون النظر إلى الألقاب والكتاب، ولا ينسني هنا الحكم النهائي على معجم الشعراء، لأنّه لم يصل إلينا تماماً، فقد منع منه قسم كبير يتداول التعريف والترجمة للشعراء الذين تبتداأ أسماوهم بالهمزة حتى حرف العين، فالمترجم لهم من حرف العين إلى آخر الحروف،

وقد تحدث عنه معاصره ابن اللذيم في كتابه «القهرست»، وذكر أن اسمه (أخبار الشعراء) وأن عدد أوراقه عشرة آلاف^(٢).

(١) السابق: من ١١، من ١٢.

(٢) انظر المهرست، من ١٩٠، طبع دار المعرفة - بيروت.

٦ - معجم الأديباء لياقوت الحموي (٥٧٤ - ٤٦٢هـ) :

لشار ياقوت الحموي في كتابه أن له مزلفاً بعنوان (معجم الشعراء) وهو من الكتب التي صنعت من التراث العربي القديم، وقد تحدث في هذا الكتاب عن الشعراء الذين غلب عليهم قول الشعر، ولم ينتبهوا برواية الكتب وتأليفها، وجعله معجماً لهم متبعاً منهاج الحروف الهجائية في ترتيبه للشعراء - وانتهى من إعداده قبل أن يفرغ من كتابة معجميه الشهيرين معجم البلدان ومعجم الأديباء، وكان الكتاب يضم بين دفتيه قطعاً شعرية رائعة في موضوعات متعددة تتصل بالكتابة عن الشعراء.

أما معجم الأديباء فهو موسوعة منخمة يستطيع أي باحث (الآن) أن يطلع عليه، ويتعرف على منهاج صاحبه في الكتابة عن الأدباء والتعريف بهم والترجمة لهم، وكان اسمه في بداية الأمر (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ويبدو أن صاحبه وجد فيه إطالة وتقللاً فغيره إلى الاسم الجديد الذي اشتهر به وهو (معجم الأديباء).

وقد استمر ياقوت مدة طويلة يضيف تراجم وأخباراً جديدة لمن سلكهم في هذا الكتاب الذي طبع آخر مرة سنة ١٩٣٦ في عشرين جزءاً، وتعد مقدمته من أطول ما كتب من المقدمات في كتب التراجم والطبقات حيث حدد فيها منهاجه في البحث وطريقته في تأليف هذا الكتاب - فهو يجمع كل الطبقات المتصلة بالأدب واللهجة والتلبيف مع ذكر مواليد المترجم لهم وتاريخ وفياتهم. وإذا تحدث عن شخص ذكر تصانيفه ومتخصص أخباره ويensus المختار من شعره مع إثبات

مواقع النقل ومواطن الآخذ، مرتبًا الكتاب على نظام حروف الهجاء، متناولاً في الترجمة رجال كل الأقاليم فهو يذكر اسم ونسب من ترجم له و شيئاً من أخباره وأشعاره، وينتظر تصانيفه والفنون التي درج فيها وشيوخه، وأسلائته ومن تلتمد على يديه ثم يذكر سنة وفاته، ومن خلال الترجمة والكتابية عن أديب تبدو موهبته في اختيار الأشعار التي يلتفثها ويحكم عليها بالجودة أو الرداءة فالكتاب مicum عام للأدباء من أهل العلم والأدب واللغة والنحو والكتابية وغيرها^(١).

قال: «وجمعنا في هذا الكتاب ما وقع لي من أخبار التحريرين والتغريين والذبابين والقراء المشهورين والإخباريين والمزاحيين والوراقين المحدّفين والكتاب المشهورين، وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة والعينة وكل من صنف في الأدب تصنينا أو جمع في فنه تأليفاً»^(٢).

وأعلم اهتمام ياقت بالترجمة للوراقين أصحاب الخطوط هر نوع من الألفة لتقدير المهنة، فقد اشغله في مستهل حياته بنسخ الكتب بالأجرة، فحصل فوائد كثيرة من مطالعة ما يقع له من الكتب، واستفاد من هذا التحصل في تأليف كتبه، ومنها هذا المعجم.

ولقد رتب الأشخاص المترجم لهم على نظام حروف الهجاء، وسلك في كتابه طريق الإجاز، وإن لم يتلزم بهذا الشرط، فقد ترعرعت الترجم بين الطول والإجاز، مما يوحى بأن المعجم كتب في مدى طویل وعلى أرمان متباudeة كما

(١) راجع كتاب «باقوت المعمى آسيا وبرقة»، ص ١٣٧ المزارات.

(٢) معجم الآباء ج ١ ص ٤٨.

اهتم بتاريخ المواليد والوفيات من ترجم لهم، واعتمد على عدة طرق في جمع مادته العلمية مثل الرسائل الخاصة، والسماع من العلماء الذين التقى بهم في البلاد التي أقام فيها أو ارتحل إليها والكتب، المؤلفات التي أشار إليها في مقدمة الكتاب وفي أجزاءه العشرين، وقد كان يختار بعض النماذج الشعرية من يكتب عنهم، واحتوى برواية لنساب من يترجم لهم، وذكر بعض الروايات والقصص والحكايات التي ينتقدوها ويحكم عليها، ولم يغفل الحديث عن كثير من معاصريه - وكان حريصاً على السفر والارتحال إلى من كتب عنهم.

قمعم الأدياء دلالة كبيرة للمعارف، وموسوعة عامة في الأدب، وتراث مشحون في اللغة، وديوان زاخر بكل فنون الشعر، وقد تحدث بأقوت عن ألف وسبعين من رجالات الأدب واللغة فضلاً عن ترجمات عديدة صناعت ولم تصل إليها ليكتمل منها جمهماً أصل الكتاب.

ومن كتب المحوث والبرامج الأخرى:

- نزهة الآباء في طبقات الأدياء: لعبد الرحمن بن محمد الأنباري.
- وفيات الأعيان وألباب أهباء الزمان: لأبن خلكان.
- فرات الوفيات: لابن شاكر الكتبني.
- الواقع بالوفيات: للصدقي.
- بغية الورعاء: للسيوطني.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن الصاد الحلببي.
- الصنوء اللامع في أعيان القرن النابع: للسحاوي.

ثانياً: من كتب الأدب والفقه والتاريخ عند القدماء:

- الحيوان - والخلاء - والبيان والبيانين: الجاحظ.
- الكامل: للميرد - والمعرف - وأدب الكاتب - وعيون الأخبار: لابن قتيبة.
- الإمتناع والمذكرة - والمقابلات - ومذاهب الوزيرين: لأبي حيان التوحيدى.
- الفهرست: لابن النديم.
- حسن الحاسنة - وبخة الوعاء: للسيوطى.
- بقمة النهر: للصالبى.
- الموازنة بين أبي شام والبحترى: للأحدى.
- الوساطة بين المتنبى وخصوصه: للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى.
- زهر الآثار وشر الألباب: للهصري القبرواني.
- مروج الذهب: للسمودى.
- الأمالى: لأبي على الفالى.
- أمالى: المرتضى.
- أمالى: الزجاجى.
- العصدة: لابن رشيق القبرواني.
- التخيرة فى حمامن أهل الجزيرة: لابن بسام.
- العقد الفريد: لابن عبد رب.
- نهاية الأرب فى قانون الأدب: للويرى
- نقد النظر - ونقد الشعر: لفمامة بن جعفر.
- سر الفصاحة: لابن سنان الخاجى.

- كتاب الصناعتين: لأبي هلال المصري.
- عيار الشعر: لأن مطباطنا.

ولا شك في أن الكثير من خصائص البحث وملامحه التي تعرفنا عليها في الموجات التي تحدثنا عنها تتطابق على غالبية الكتب التي ذكرناها تأكيداً على اتساع مجالات البحث عند القدماء فضلاً عن ذخائر المكتبة العربية التي يحتوي المقام عن صورها.

وقد انسحت مجالات البحوث العلمية والأدبية منذ أواخر القرن العاشر، ووضعت كتب ودراسات عديدة خصص المؤلفون في إعدادها للمناهج البحاثية المختلفة يسلي في ذلك ما نأثر فيه العرب بتراثهم الزاخر وما نفثوه عن الأمم الأخرى مثل كتاب منهج البحث في الأدب واللغة لـ «الأنسر» وما يبيه، والذي ترجمه الدكتور/ محمد مندور، وألّفه بكتابه «النقد المنهجي عند العرب»، وغيره كثير.

وهذه طائفة من المؤلفات التي تتجلى فيها مناهج البحث في الأدب والعلوم:

- الوسيلة الأدبية: لحسين المرصفى
- تاريخ أدب اللغة العربية: لورجي زيدان.
- تاريخ أداب العرب: لمصطفى صادق الرافعى
- تحت راية القرآن: لمصطفى صادق الرافعى.
- ابن الرهمي حوالته من شعره: لمجلس العقاد.

-
- مع المتنبي - الأدب الجاهلي: د. ملء حسين.
 - النها العظيم: د. محمد عبد الله دراز.
 - من هدى القرآن: لأمين الخولي.
 - الإعجاز البصري للقرآن: د. عائشة عبد الرحمن.
 - الفن ومناهجه في الشعر العربي - والفن ومناهجه في النثر العربي: د. شوقي صنيف.
 - تاريخ الأدب العربي: لكارل بروكلمان.
 - الأسلام: تخير الدين الزركلي.
- فالملكتية العربية حافلة بآلاف من الكتب التي تسجل وترصد حركة الإبداع في الأدب الحديث.

* * *

الفصل الثالث

كتاباتي المنشورة

يتمنى كل باحث أن يوفق في الموضوع الذي ي Pursue الكتابة فيه لكنه يتمنى شيء آخر، والحرص على الثقة وزيادة المعلومات لنجاح البحث شيء آخر، وما أكثر الذين نهموا بإعداد البحوث والرسائل الجامعية، ولكن العقد الناجع الذي يتحدث الناس معهين به قليل جداً إذا أخذنا في الاعتبار الكم الهائل من رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات المختلفة، والقليل منها قد طبع في كتب متداولة، والكثير لا يعلم الناس عنه شيئاً إذ تمنى به أرشف المكتبات ويعطوه التراب، أو أنه في طريقه إلى اللنفاذ بسبب العوامل الطبيعية والتغير في الأماكن المختلفة، ونعود إلى التأكيد على أهمية هذه اللذة المهمة، فإذا كان الكثير منها تنتهي العنانية به بمجرد الحصول على الدرجة العلمية، فإن القليل يمكن أن يستمر ويبلغ به كثير من الباحثين، ولا زلت أذكر مقدار ما استندته من مهد المخطوطات العربية النابع لجامعة الدول العربية منذ أكثر من عشرين عاماً حيث تم تصوير المخطوطات التي صنع الكثير منها في مكتبات الشرق والغرب على شريط صغير (ميكروفيلم) وبهذا يمكن الحفاظ على عدة الآلاف من الكتب في (دولاب) صغير.

وأعتقد أن الطموح مشروع، وأن الأمل كبير في اقتراب اليوم الذي تتصدر فيه الرسائل والبحوث الجامعية وسائر كتب التراث وجميع المصادر على أمثال هذه الشرايط، وأن ترصد وتسجل قوالبها على شبكات الاتصال العالمية مثل (الإنترنت) أو غيرها.

ذلك لأن البحث الجيد مهم جداً وهو ثمرة جهد متواصل وعمل دؤوب وإشراف من الأساتذة وإنفاق من هبات علمية معرفة بها، ومن هنا كان التهان أو النساهل في الإشراف على الرسائل الجامعية وما شابها سلوكاً ذمياً، وما أنشئ تفسير هذا المندفع على أنه رحمة وأخذ بيد الباحثين دون مراعاة للعدالة بعد الحكم على هذه البحوث، فلابد أن يكتب مقالة أو كتاباً يمكن فيه ذكرها، أو يمدح شاعراً أو روائياً أو ناقلاً معييناً، ويلتزم فيه بالعدل والتنسقة ويندل الجهد وتجرى العقيقة وإزاء الفكر والثقافة والأدب، كل ذلك وغيره جائز في مجال المقالات والكتب المؤلفة.

لكن البحث الجاد الذي كلف به باحث أو طالب جامعي في جهة علمية أو بعلبة - يستدعي العرض الزائد من الطالب والمشرف ولجهة الحكم والمناقشة ومن مجالس الأقسام والكليات والجامعات وهي تتبع البحث من بدايته إلى منتها، لأن لكل دوراً في إثراء البحوث والرقي بها.

أولاً، اختيار موضوع البحث:

تعلم أن منهاج كتابة البحث الأدبي لا يختلف كثيراً عن غيره من التخصصات المتصلة باللغة والعلوم الإنسانية وغيرها، إلا من حيث الصياغة والعرض، أما طريقة الإعداد، ومراجعة المصادر والمصادر إلى النتائج وغيرها ذلك من الخطوات، فلا يختلف إلا بمقدار الاختلاف بين موضوع آخر في العلم أو الفن الواحد.

واختيار موضوع البحث ليس شيئاً هيناً يمر عليه وينجاوزه الطالب سريعاً لأنه مسألة صعبة وفنية شائكة ومتباينة؛ لأن النجاح وإنعام البحث بالصورة

المطلوب، وغير ذلك يمكن أن يكون سهلاً إذا نهى بـ شخص أو باحث لا يعول كثيراً على عمله ولا يتمنى أن يظهر به على منصة أو براقة جامعية وما بعد المسافة بين بحث يقتضي بظهور به شخص لنفسه دون أن ينقدم به لجنة محكمة ويبحث في شكل رسالة أو أطروحة جامعية يعين لها أستاذ مشرف، وبمشاركة آخرين في تقييم البحث والحكم عليه تمهيداً للظرف به على درجة أو شهادة، وتحت في هذه الدراسة لا نقول إلا على هنا النوع من البحوث الذي سرنا عليه، وحكم علينا من خلاله وما نحن كذلك به طلابنا ودارسونا في سمات التقليل الجامعية وفي المراحل المختلفة من الدراسات العليا.

ومهما كان الموضوع الذي سيتم التهوض به فلا بد أن يتسلح الطالب له بالقراءة الجادة الفاحصة، وأن يحرص على أن يعلم كيف يقرأ مستفيداً بالزوابع والمطردات وأهل الخبرة في مجال تخصصه الدقيق.

والفارق كبيرة جداً بين هذه الدراسات والبحث الجامعي الذي يعدد الطالب المبدئي في إحدى سنوات الدراسة وهو ما يسمى بالبحث (الصنف) أو (الفصل)، ومن الممكن أن يختار الأستاذ طلابه الموضوع الذي سيكتبهون فيه لأنهم من الوجهة العلمية في بدايات الطريق، ومن الأفضل أن يحدد لهم الحقيقة الزمنية التي يختارون الموضوع منها دون أن يحدد موضوعاً معيناً، بحيث يلتقي كل طالب ما يوصل إليه، ويجد لديه من المصادر ما يعينه على اتمام الموضوع بصورة جيدة.

وتقي الأفكارية لأهمية أن يعتمد الطالب في هذه المرحلة على نفسه في اختيار البحث، فلربما كان ذلك باعثاً له على الإجاده والتحدى وإثبات التصريح والمقدرة والشجاعة الأدبية.

ونوصي - مع ذلك - بضرورة أن يستشير الباحث من هم أكثر منه خبرة ولا يلجأ إلى الكواكب والاعتماد على الآخرين، ويستسلم للbias والخوف والخنوع، قيسماً لأن يتولى غيره ماهر مكلف به وواجب عليه...، ولما كان اختيار البحث، وتحديد الموضوع مسؤولية الباحث وهذه قطعاً أن يسلك كل مسلك لتأمين سلامه موضوعه، وفحصمه فحصاً دقيقاً، وكل جهد يبذل في سبيل ذلك سيؤمن سلامه المضبوط وبتحقق النتائج المرجوة.^(١)

فإذا جاز لطالب مبتدئه - أن يعينه أستاذه على اختيار موضوع بحثه فإن الأمر قد خطير في اتجاه الباحثين نحو الاعتماد على أستاذتهم في اختيار موضوعات بحثهم، والأخطر من ذلك هو عجز بعض أخصاء هيئة التدريس الجامعي عن اختيار موضوعات بحثهم التي يدونها للدرقي بها إلى درجات أعلى في السلم الوظيفي.

ونعود للتأكيد على أهمية أن يختار كل باحث موضوعه بنفسه حتى لو كان ذلك صعباً وشاقاً لما تطلبته دواعي الاختيار من ثقافة واسعة يهدى بها إلى موضوع ملزِف ويبحث قريباً، ولا تتحقق هذه الثقافة إلا بالقراءة الواسعة والتدابع الجاد لكل ما ينشر ويداع حول البحوث الأدبية التي تثير الشهية لدى

(١) التدليل إلى منهج البحث العلمي: د/أحمد سيد محمد سن ٤٧ ، دار المعارف بمصر ١٩٨٥.

الباحثين في اكتشاف الموضوعات التي تدلّل معاهم، فالقراءة سلاح فعال يحتسّن به كل باحث قبل أن يلتجّ المجال الرحب، القبيح لمعالم البحث، ولا يتوقف تأثيرها على اتساع أفق الباحث عند اختياره لموضوعه، ولكنها تsemّن في ولادة المديد من الأفكار والخواطر التي تذرّي العرض وتنيره عن غيره ...، ومن أجل ذلك كان ينبغي لا يهجم ناشيء على البحث في الأدب قبل أن يتسلّم له بقراءات كثيرة فيه وفي مباحثه حتى يجد نفسه، وحتى ت تكون شخصيته تكونوا أولياً^(١).

ولذا كان الأساتذة يوجهون طلابهم ويذكرون لهم حرية الاختبار، فعلى الباحث أن يحرّس على متابعة أسلانته في محاصراته وندراته وأن يكون وثيق الصلة بهم، ليتمكن من التعرّف على بعض الوابط الذي تستحقّ البحث، منحاشياً تلك التي كفر الواقع عنها كأنها (مرافق عامة) يبتغيها ويدهل منها كل عابر السبيل.

فمن العهم جداً تعرف الباحثين على الموضوعات التي لم يهتمّ بها الدارسون، فليس من مصلحة الباحث أن يتسع الموضوع قلاً يقدر على جمع أجزاءه ومناقشته كل أذكاره، ومن الخطأ أن يبالغ في تصريح الموضوع فلا يجد من المصادر ما يعينه على بدله واستقصائه بحثاً موضوعياً جاداً يطرح فيه جزئيات الفحصايا ويعرف بها ويناقشها ويحكم عليها، وينطبق ذلك أيضاً على الأعلام والشخصيات والقضايا والمواقع والأزمان.

(١) اليمت الأنبي: د/ شوقي صيف، من ١٨.

ومن الخطأ محاولة كثير من الباحثين جمع النقول التي ربما تكون متناقضة لحيانا دون أن يدخل فيها بالرأي في القبول أو الرفض، وأن يتأكد من عدم بحث الموضع؛ لأن سبق دراسته سوف يتضمنه في حرج وضيق من عدم القدرة على إتمامه، إما لأن الباحث المتقدم قد أعطى الموضع حقه ولم يجد فيه ما يشجع على دراسته؛ أو أن بعض الأجزاء منه لم تستوف حقها ولكنها مبنية جدا ولا تستحق أن يبتدأ من أجلها الجهد الذي يمكّن الباحث من ورائه؛ للحصول على نتائج علمية أو مادية أو معلوية، فالكتابة في موضوع سبق بحثه جهد غير مأمور للنتائج، وملقطة خطيرة ينبعى التذر منها، ونقول ذلك ونؤكد عليه - وفي أذهاننا لفروع الكثيرة بين البحث المتقدم في صورة أطروحة جامعية، وغيرها من البحوث الصغيرة أو المقالات والكتب.

ونذكر الدكتور / أحمد شلبي بعض الأسئلة التي يجب على الطالب أن يسأل نفسه بها قبل تسميل موضوعه والتفيذ به وهي:

- ١ - هل يستحق هذا الموضع ما سيبذل فيه من جهد؟
- ٢ - ألمن الممكن كتابة رسالة عن هذا الموضوع؟
- ٣ - لقى طلاقني أنا أقوم بهذا العمل؟
- ٤ - هل أحب هذا الموضوع قليلا إليه؟

فإذا كانت الإجابة بالنفي في أي من هذه الأسئلة، فليحاول موضوعا آخر دون أن يضيع وقته ونشاطه في دراسة لن تكتمل له فيها عناصر النجاح^(١).

(١) كيف تكتب بحثاً أو رسالة: من ٣٦ (الموهنة المصرية ١٩٨٣).

ومع ذلك، لا بد من توافق ما أشرنا إليه من حيث وجود المصادر، والمراجع واقتراح الطالب بالموضوع و المناسبة لنوع، تخصصه و دراسته الجامعية، وموافقة المشرف الأكاديمي على موضوع البحث و خططه التفصيلية ثم إن التصرع في الاختبار غالباً ما تتوارد عنه مشكلات كبيرة فيكشف الطالب أن الموضوع قد يسيق بحثه، أو أن مصادره قليلة أو أنه صنيف لا يصلح، أو منصب منشعب فيليجاً إلى تغيير الموضوع أو تعديله توسيعاً أو تصفيقاً، وليس ذلك عيباً، وإن كان أثراً من آثار التصرع في الاختبار، ولا بد في النهاية أن يكون عنوان البحث طريقاً جذاباً ينخر ساحبه به طوال حياته.

ثانياً: خطة البحث:

لابد أن يحرصن الباحث على القراءة الجادة المتعلقة بالموضوع الذي اختاره و رسمى به، مع ضرورة أن يأخذ في اعتباره أهمية الاطلاع على بعض الرسائل والبحوث التي تقارب في موضوعها مع ما سوف يقوم ببحثه و دراسته حتى تتوافر له الخبرة والمعرفة للوصول إلى بحث متكامل مفيد.

فالتحظيط لأى عمل أو بحث أو مشروع ضروري وهام، فهو جد ما يسعى بوزارة التعليم، والتحظيط المعرفي، والخطة والموازنة وما شابه ذلك. ويعيننا هنا أن نذكر على أهمية التنظيم والتحظيط في كل بحث أدبي أو علمي يسهم في إثراء الحياة الفكرية والنقدية. ولذلك فما يأول ما يتقدم به الطالب إلى الجهة التي يدرس بها بعد اختباره لموضوع بحثه هو الخطة والبنية (يفتح الثواب وضمه) وهذه عبارة عن بيان موجز للموضوع، وإشعار بأهميته وضرورته البحث فيه.

لما الخلطة قهري رسم للخطوط التي سوير الباحث عليها، وبيان للمنهج الذي سوف يسلكه، بحيث تبدو أجزاء الموضع متربقة ترتباً طبيعياً ومتراقبة ومتناصكة ببعضها تماماً يشبه الوحدة المضبوطة في المصيدة الشعرية، والخلطة إيموجزة مجملة لـ مسألة موسمة وهذه أهم وأفضل؛ لأنها تشعر أن الباحث قد ألم بالجزئيات المطلوبة بحثها، ويحدد مدى صلته بالموضوع، مع العلم بأن أي خلطة قابلة للتعديل، لكن ثبات الخلطة وانتظامها يسهم في المبرر الطبيعي عند البحث وقد أوجز التكorum / أحمد شلبي مراحل إعداد الخلطة في أربع نقاط على التوالي:

- ١ - التعرف على شرائح من التخطيط لرسائل قريبة الشبه برسالة الطالب.
- ٢ - القراءة حول موضوع رسالته؛ للتعرف عليه والتعمق فيه دون تقدير شيء.
- ٣ - اقتراح تخطيط لرسالته في ضوء النقطتين السابقتين.
- ٤ - القراءة العامة حول الموضوع منذ شهر أو شهرين، مع قرب الصلة بالتحطيط؛ لإمكان أن يُدْتَ به بعض التعديلات قبل أن يبدأ مرحلة إعداد البطاقات وإعداد المراجع^(١) إن الخلطة البخطية ليست قوانين أو أحكاماً نهائية لا تُمْسَى بل هي مجموعة من الأحكام المنظمة التي تسهم في استكمال البحث لجميع جزئياته، ولذا يجوز إعادة النظر فيها وتغييرها بالاضافة أو الحذف، كما أنها تخضع لقدرات الباحث وكشف مدى تمويهه في ضوء المعلومات التي يعالج الموضع من خلالها، وإن فلكل بحث طبيعة خاصة تفرض الخلطة التي تتلاءم معه، فالاختلاف بين

(١) كيف تكتب بحثاً أو رسالة، من ٤٩.

بين التخطيط لموضوع ادبى أو نقدى، والتخطيط لدراسة شاعر أو عصر أو حقبة أدبية متميزة أو دورية من الدوريات، فتحديد الخطة وثيق الصلة بطبيعة الموضوع وشخصية المباحث ورؤى الأستاذ المشرف على إعداد البحث.

ويقسم البحث الصغير إلى فقرات، تأخذ كل فقرة رقماً مسلسلاً، ويمكن أن يقسم إلى مجموعة من الفصول.

وترسم الخطة في التجويف الكبيرة مثل رسائل الماجستير والدكتوراه على أساس الأبواب، ويقسم كل باب إلى مجموعة من الفصول، وتعد الأبواب بنصوصها المختلفة والمترادفة صلب البحث وهيكله، وإذا اتسعت أحرازه، وتعددت جوانيه وكثير مجده، يمكن تقسيمه إلى أجزاء ليكون على الصورة الآتية (مثلاً):

الجزء الأول - الباب الأول - وتنذكر فصوله والباب الثاني وتنذكر فصوله وهكذا يمكن أن تزيد الأبواب وتصل إلى ثلاثة أو أربعة، ثم يأتي الجزء الثاني وينذكر معه ملخص مع الجزء الأول أو تقريراً منه، وربما يستعمل اسملاخ «القسم» بدلاً من «الجزء»، فطبيعة الموضوع هي التي تحدد بصفة أساسية بقية ترتيب البحث، مع ضرورة الحرص على التقارب النسبي في الحجم بين المنشآت «الأجزاء» أو «الأبواب» أو «الفصول».

ولابد أن تستكمل دراسة الموضوع في صلب البحث، وتكون البداية بالمقمية، وبعدها التمهيد أحوازاً، ثم تلى الأبواب والفصل «هيكل البحث» مادتان آخرتان هما: الخاتمة واللهازان.

المقدمة:

وتحملي خطبة البحث، وهي آخر ما يكتب في الموضوع غالباً مع ضرورة الإعداد لها أثناء الكتابة؛ لأهميتها؛ لأنها أول ما يلقاه القارئ، حيث يضع فيها سبب اختيار الموضوع أو القضية أو المشكلة التي يسعى لدراستها وإيجاد الحلول لها في ضوء التطور التاريخي للأحداث وبيان أهمية البحث والهدف منه وذكر الخطة أو المنهج الذي سار الباحث عليه والتزام به، ويحدد فيها ألم المراجع التي استفاد بها أو سبقه إلى بحث جوانب من الموضوع وتطرق إليها بالمحروف (أ، ب، ج، د، ه...) لأنها تكتب في النهاية وتذيل غالباً باسم الباحث وعنوانه وتاريخ الكتابة، ويكون ذلك بإيجاز من غير استطراد.

الممهيد:

لذا كان موضوع البحث عن شاعر أو قضية معينة مرتبطة بزمن أو منطقة مثلاً فتحت فيه أحوال العصر، بلا [طلة؛ لأنها أمور ليست من صميم الموضوع وإن كانت متصلة به، ولذا يسمى التمهيد أحياناً بالمدخل، أو التوطئة فتدرس فيه الحالة السياسية والحالة الاجتماعية والحالة الثقافية، وقد صار الأستاذ المشرقيون يضجون من هذه الأمور لكرارها وطول الحديث فيها ولم يدخلوها في صلب البحث أحياناً، ولا تشغّل الطلاب بها على مصاب الموضوع الأساسي.

الخاتمة:

وتحملي خلاصة لمجموع ما تم بحثه في صلب البحث، وتتأكد أهميتها من تعاقب ذهن القارئ بما جاء فيها من نتائج أساسية ونتائج لم肯 الوصول إليها،

وغيريات تم التصدى لها والطلب عليها، وتكون الكتابة فيها حسب تسلسل عرض الموضوعات بالبحث، أو وفق منهج جديد يعرض فيه للأهم فالمهم من القضايا، أو يذكر بعض المعلومات الجديدة التي لم تسبق الإشارة إليها بلا إطالة، واستطراد وتكرار.

الفهرارس:

وهي مهمة جدا للقارئ؛ لأنها تلهم وعاصيحة الذي يكتف له مفردات البحث، وقد صار أكثر الباحثين والكتاب يرتكزون فيها على شقين هما:
فهرس المصادر والمراجع؛ وفيه الموضوعات
وقد يضاف بعدهما ملحق أو أكثر للبحث.

أما فهرس المصادر والمراجع فهو مهم جداً ويندر أحياناً في أول الكتاب،
وغالباً ما يذكر في آخره ولابد من الفصل فيه بين المصادر «مؤلفات القدماء»،
«والمراجع»، «مؤلفات المحدثين»، وتقريب المصادر والمراجع في الإطلاق العام
وإلا فيمكن أن يضاف إلى قائمة المصادر كل مؤلف محدث تحد فيه مالا تجد
في كتاب مقدم، كما يرقى إلى قائمة المصادر أيضاً نتاج الأديب من شعر أو
نثر أو نقد إذا كان المرموم عن شخصية، أو نتاج جميع الأدباء الذين يكونون
المادة الأولى للبحث.

أما المؤلفات الحديثة عن موضوعات قديمة فهي التي يطلق عليها
اصطلاح المراجع.

وخلالسة القول في المراجع أنها أفتلت القراء أولاً، أما المصادر فهي للمؤلفين أولاً. إن المراجع لعامة طالبي المعرفة أما المتخصصون فيذهبون إلى ما هو أبعد منها إلى المصادرـ أو امتنع أن شئ^(١).

فالبرامج ثانية والمصادر أساسية ومهمة جداً، وبعض المؤلفين يستخدم الكلمة مكان الأخرى، أو لا يرى فرقاً بينهما، أو يذكر اصطلاحاً ويريد ما تشمل عليه الكلمات، ولا داعي لهذا التفريق الذي لم ينفع عليه الكثيرون.

ويكون البيان شاملًا عن المخطوطاتـ والكتب العربيةـ والكتب الأجنبيةـ ودوريات المعارفـ والمجلاتـ الدورياتـ والصحفـ والرثائقـ والأحكامـ والخطاباتـ.

وتذكر المصادر والمراجع مرتبة على حروف المعجم بالنظر إلى عنوان الكتاب لتسهيل المراجعة أو بالنظر إلى اسم المؤلف أو اللقب الذي اشتهر به أو يكون الترتيب الهجائي حسب اسم العائلة ثم يذكر بهذه الأسماء كاملاً.

وميزة الترتيب حسب المؤلف أن الأسماء لا تكرر مع كل شخص له أكثر من كتاب، أما ميزة الترتيب الهجائي حسب اسم الكتاب فهي المهمة والaim لأن شهرة الكتاب غالباً ما تكون أكبر من شهرة صاحبه، وقد سرت على هذه الطريقة في كل ما كتبت باستثناء كتاب واحد جاء الترتيب فيه حسب عائلة المؤلف^(٢) ويذكر بعد اسم الكتاب اسم المحقق أو الشارح، وإن وجد، ومكان الطبع

(١) منهج البحث الأدبي، دار على جود الناشر من، ٨٠.

(٢) هو كتاب «بررة تقىش بين القدماء والمحدثين».

واسم النطعة ودار النشر وتاريخ الطبع ورقم الطبيعة، ونذكر المراجع والمصادر في هامش الكتاب أو البحث مع البيانات أول مرة ثم يخلو عنها إذا تكرر ذكرها، أو تذكر بدونها ملخصاً مختصاً عليها في القائمة التي تأتي مع الفهارس في آخر البحث.

وينجذب بعض الباحثين إلى زيادة عدد مصادره ومراجعته بذلك مؤلفات لم يسعن بها بهدف المباهة والوجاهة العلمية التي لا طائل منها، وقد خطا علمياً لا مبرر له.

وتأتي أهمية فهرس المراجعات من كونه بياناً أخيراً للقصاص والآفاق التي تم بحثها فعلاً خاصة إذا ذكر مقررونا بأرقام الصفحات.

أما بقية الفهارس فهي مهمة أيضاً ولكن عزيمة الباحثين لم تسعفهم بالالتزام بما كان المؤلفون وكبار المحققين الكبار يحرصون عليه من ذكر العديد من الفهارس مثل: فهرس الآيات القرآنية - فهرس الأحاديث القدسية والتبورية - فهرس المؤلف وال碧虎 والأرجاز - فهرس الأعلام من الأشخاص والبلدان - فهرس الخرائط والمصورات، وفهرس أخرى للأمثال واللغة والقبائل والأمم والطوائف والكتب التي وردت في متن البحث، وليرجع من شاء إلى منهجه المحققين لأنواع الكتب مثل البيان والتبيين للباحث - والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ومجمع الأدباء لزياقت وغيرها.

ثالثاً: إعداد البحث:

إن جمع المادة العلمية مهم جداً في إعداد البحث، ويلزم أن تنسّب كل مذكرة أو رؤية إلى مصدرها، وتسجل أولاً في قصاصات أو بطاقات مرتبة قبل التأليف بينها وصياغتها والحكم عليها مع صدوره المراجعة المستمرة لكل جزئية أو فقرة أو فصل أعدد الباحث في التجارب الأولى.

ويجب تنسيق المعاشر والمعلومات والأفكار التي يتشكل منها الموضوع المطروح للدراسة، وحول هذا التنسيق قال الدكتور شوقي صيف: «قد يجد لأول وهلة أن تنسيق مواد البحث الأكدي لا يحتاج إلى أكثر من جمعها، ثم وضعها في فصول مناسبة، وهذا صحيح، غير أنه حين يخرج إلى التطبيق يجد ما فيه من عسر شديد، فإن المواد التي جمعها الباحث - وبخاصة إذا كان ميدانياً - قد تحمل في تضاعيفها أشياء كثيرة يظن أنها ذات صلة بالبحث، فحين يحاول مرددها جميعاً يختلط الموضوع ويصبح علينا باستطرادات لا حصر لها، ولذلك كان يليق أن يحدد موقفه وموقف بحثه من المواد التي يجمعها، ليس كل ما يجمعه جديراً بأن يمرد في البحث...»^(١).

ونلاحظ أن بعض الباحثين يسرفون في النقول، فتغيب الرؤية الخاصة بهم، ولا يحکمون على ما نقلوه من اعتدال أو تجاوز، لأنّه يتفق مع أحكامهم أو يختلف عنها، فلابد من العرص على دقة تصور الأحكام وتحليل النتائج، وعرض الآراء، والأخذ بالقواعد اللغوية عند الكتابة والتأليف، وبخاشى الخروج والتعالي والثقة الزائدة بالنفس.

(١) البحث الأكدي: د/ شوقي صيف، ص ٢٦.

وي بعض الباحثون لا يحرصون على المراجعة ولا يبالغون بعلامات الترقيم على بساطتها، وهذا خطأ بين، كما يهمون توجيهات المشرف، ويتغضبون لما نوصلوا إليه من نتائج، أو يذكرون أموراً ليست لهم، وينسبونها لأنفسهم، وبهذا يصبح مشروع البحث في مهب الريح.

وإذا انتهتى صاحب البحث من الكتابة عاد إلى المراجعة، وحذف منه ما تأكد من عدم صوابه، وأضاف إليه ما رأى أنه جدير بالإثبات ثم يقدمه إلى المشرف ليعد مراجعته، والحكم عليه قبل نفعه إلى المطبع وإخراجه إلى النور والصناعة.

ولا ينتهي البحث الجامعى إلا بمناقشته بالحكم عليه وتقرير مدى صلاحيته وأهلية لفتح صاحبه الدرجة التي يسمى إليها ويطمع فيها.

إن اتمام البحث وكتابته والحكم عليه يختلف من كلية جامعية إلى أخرى ومن موضوع إلى آخر، وإن مستوى البحث يختلف أيضاً من شخص إلى آخر، فالكتابة عن عصر أو فن أو قضية أو شخصية ليست كدراسة مجلة دورية أو مجموعة من الكتب للشخص معين، كما أن كل ذلك ليس كتحقيق المخطوط الذي يتبيّن أن يكون العمل فيه مختلفاً من حيث مراجعة النصوص قبل اختيارها، والإعتماد على أكثر من نسخة للمخطوط الواحدة، وتحديد واحدة تذكر الأصل مع بيان الفروق بين نسخة وأخرى، وتفقيق الآيات والأحاديث والأشعار دراسة كل جزئية دراسة جديدة، والتعرّيف بالمؤلف تعريفاً شاملاً.

لقد قام المستشرقون بجهود كبيرة في تحقيق التراث وتسهيل سبل الانتفاع به، وإنعداد الفهارس العلمية الناتجة، وتنشرب مثلاً على ذلك بما قام به المستشرق الألماني هالواز، من وضع الفهارس المختلطة العربية في مكتبة برلين، في عشرة مجلدات جمع فيها عشرة آلاف مخطوط.

فلا بد إذن من اثنام ما قام به العرب والأجانب من تحقيق وطبع المصادر النازلة التي ترصد بعض الجوانب لعالم الحضارة العربية والإسلامية.

* * *

الفصل الرابع

التقرير

التقرير صورة من صور الكتابة الحديثة التي لم يكن لها تواجد بهذا المعنى في القديم . والمقصود من التقرير هو تقديم قدر من المعلومات الصحيحة حول أمر من الأمور المختلفة ، أو عرض مجموعة من المعلومات الصحيحة حول أمر من الأمور المختلفة ، أو عرض مجموعة من المقدمات والنتائج حول دراسة معينة ؛ وذلك استجابة لطلب أو تكليف من فرد أو من مجموعة أفراد أو من جهة خاصة أو حكومية .

وقد زادت أهمية التقرير في السنوات الأخيرة بعد التقدم العلمي الذي يشهده العالم ، وصار التقرير مفروضاً دراسة المناهج والبحوث العلمية . فضلاً عن تدريسه في أقسام اللغة العربية بالكليات الجامعية ، ليتملي كل مكلف بكتابه التقارير مرغة الخطوات المتبعة في الكتابة ، وتحديد الإطار أو الخطة التي يعتمد عليها في بذله التقرير وبيان اللغة التي يكتب بها ، ولذا كان من الضروري أن يكون كاتب التقارير ملماً بقدر كبير من العلاقات المتنوعة سواء أكان التقرير عن بحث تم إعداده أم عن عمل تم القيام به ، أو عن مشروع متدرج للتنفيذ والإنشاء . وعندما يكون الغرض من التقرير تقديم صورة عن بحث تم إعداده والانتهاء منه بأى الهدف من التقرير من خلال عرض صورة لنشاطات الباحث سواء أكانت نهائية أم عملية مع عرض الخطوات التي اتبعها أثناء القيام بالبحث ، وشرح الوسائل التي اعتمد عليها في تقديم المشكلة المدروسة بالبحث ، وبيان

الكيفية التي أتي بها لحل المشكلة، وشرح النتائج الذي تم التوصل إليها بعد الدراسة.

فهي حقل الدراسات الجامعية يهضم الأسئلة بتقديم تقرير سوري عن الجهد البحثية لطلاب الدراسات العليا، وعن نشاطات الأقسام التي يتضمنون إليها أو يشرفون عليها، وعن الرسائل التي يشاركون في مناقشتها، والكتب والمقالات التي يكتفون بالفصل فيها وتقرير مدى فائدتها العلمية.

ومن الواضح أن للتقرير أهمية كبيرة مهما اختلف أ نوعه، إذ بواسطته تتخذ القرارات التي تهم الفرد والمجتمع، ولابد أن يعلم القارئ مدى أهمية التقرير الذي يعد عن مشكلة من المشكلات، أو عن ظاهرة من الظواهر الاجتماعية، أو عن واحد من الأمراض المعنوية أو النفسية أو الاجتماعية، وليس الهدف من التقرير هو الفائدة والسمعة كما يتجلى ذلك في بعض الألوان الكتابية، وإنما تتحقق أهميته في الماداة التي تعود على الجميع.

والتقارير أنواع متعددة منها التقرير النهائي الذي يوضع بعد نهاية عمل أو نشاط معين مثل التقرير الذي يعد في نهاية دورة تدريبية معينة، أو التقرير الذي يقدم بعد دراسة التربية الزراعية في منطقة ما، أو الذي يقدم بعد معالجة مريض في إحدى المستشفيات، والذي يقدم بعد عمل بحث ميداني عن ظاهرة من الظواهر.

ومن هذه الأنواع التقرير المتتابع الذي يقدم عن عمل قائم فعلاً، أو الذي يقدم أثناء دراسة تجري في مجال معين، ومثل التقرير الذي يقدم عن موظف

أثناء قيامه بالعمل، أو عن تجربة مازالت تحت الإجراء، أو عن آلية فنية أثناء تنفيتها.

ومن الأنواع المذكورة التقرير الميداني، مثل التقرير الذي يقدم إلى فرد من أجل إنشاء محل تجاري، أو التقرير الذي يقدم إلى الدولة من أجل إنشاء مستشفى أو مدرسة أو مؤسسة صناعية إلى غير ذلك من الأمثلة.

وهكذا تتعدد أنواع التقارير، وتتعدد أوصانها - بدرجة أكبر - المجالات التي تطرقها وتعالجها؛ إذ أن واحداً من الأنواع السابقة مثل التقرير النهائي يشمل معظم مجالات الحياة كالتعليم، والصحة، والزراعة، والطبع، والمحاسبة، والإدارة والصناعة كما يشمل مائر العلوم الإنسانية وغيرها.

الخطوات المتقدمة في كتابة التقرير:

(١) لا بد أن يحرص كاتب التقرير على معرفة الفرق بين الأنواع السابقة للتقرير، إذ أن لكل واحد منها متطلبات معينة في الإعداد والتنفيذ.

(٢) معرفة الهدف من التقرير إذ أن تحديد الهدف يزدوج دراً كبيراً في نجاح التقرير...، وهنا يجب على كاتب التقرير أن ينتبه إلى مسألة في غاية الأهمية هي أن تحديد الهدف من التقرير لا يقوم به الكاتب نفسه كما يراه بل يأتي تحديده من طالب التقرير...^(١).

(٣) جمع البيانات والخرائط (إذا وجدت) والمعلومات والاستبيانات والحقائق من المصادر المختلفة، ويشترط أن تكون هذه البيانات صحيحة،

^(١) التحرير العربي المذكورين: أحمد شرقى وعثمان الصالح، نشر جامعة الملك سعود بالرياض، من ٢٠٠.

ومنشأة من مصادر موثق بها، علماً بأن هذه المصادر تختلف من تقرير إلى آخر، وينبغي للكاتب أن ينعرف على مراكز المعلومات والمكتبات ودور الصحف، فضلاً عن مشاهداته ومقابلاته؛ إذ أن كل هذه المعلومات التي تتعدد مصادرها دوراً كبيراً في الوصول بالتقرير إلى المستوى المطلوب.

(٤) الاتجاه في الكتابة نحو النقاط الأساسية في التقرير، ومن الأفضل أن يبعد الكاتب عن التعليلات المطلوبة التي لا تنصل بموضوع الدراسة، وأن يتجنب التأثير على القارئ على حساب الحقائق، ومن الأفضل أن يوجه كل جهده نحو النقاط الأساسية، ولا يتيق بالكاتب أن ينخدع من أعداد الأوراق المكتوبة معياراً لجودة التقرير، فليست الميزة في عدد الصفحات، وإنما تأتي المعالجة الجيدة، وبسط الحلول العمالية في المرتبة الأولى عند الحكم على التقرير... «إن الاتجاه المعاشر نحو النقاط الأساسية في الدراسة هو القاعدة الأولى في الكتابة.. دون مقدمات وحواش، وتعليلات بعيدة عن سلب الموضوع».. ومن المفروغ منه أن الباحث الذي انتهى من دراسته الدقيقة الناجحة يعرف عن موضوعه ومشكلة بحثه كل شيء تقريراً.. فعقله مليء بالمعلومات. لقد وضع الغرض، ووجد الدليل الذي يزيد.. فهو يعرف بالضبط لماذا يؤمن بأن هذا الغرض صحيح؟.. أي أن الباحث يعرف ماذا فعل في مراحل بحثه ودراسته، وهو الدليل الذي يزيد ثقافته، وبالتالي فينبغي أن يكون قادراً على كتابة وتدوين ما يعرّف في كلمات^(١).

(١) أصول البحث العلمي ومتاهجه: د. أحمد سدر، الكريست وكالة المطبوعات ١٩٧٧م، من ٣٢٠، من ٣٢١.

(٥) وضع الاطار أو الخطة التي تسمى في تحديد النقاط المهمة في تقرير، وتنظيم المعلومات المتعلقة بال موضوع، وترتيب الميديات التي تعد ضرورية ومهمة في اتخاذ القرارات ووسط النتائج، ويجب أن يدرك الكاتب أن الخطة التي يسوق وضمنها قابلة للتغير في صورة الدراسات التي قام بها، والنتائج الأولية التي توصل إليها.

إطار التقرير:

يشبه التقرير المقال من نواح متعددة، ومن هذه النواحي بناء كل منها على ثلاثة أجزاء، ولهذا يتقسم إطار التقرير إلى مقدمة، وصلب التقرير، وخاتمة، ويختلف الإطارات عن هذه الصورة أحياناً لأن يسوق ببعض المواد المنهجية مثل قوائم المدحويات والجدوال والأشكال والخرائط وغيرها، وإن كانت هذه الأمور ليست داخلة في صلب التقرير أو لا يتعدى دورها حدود التمهيد الذي يسبق كل بحث أو دراسة.

١ - المقدمة :

تأتي المقدمة أحياناً مسبوقة بالجزء التمهيدي الذي تتضمن من خلاله المشكلة التي يراد بحثها، مع بيان كيفية مواجهتها، والنتائج السابقة التي تم التوصل إليها، وربما رأى الكاتب أن يعرض لهذه الأمور وساعلي شاكلتها في المقدمة، مثل بيان الغرض من الدراسة، وبين المصطلحات التي سيتم عرضها لفترة بحث الموضوع أو المشكلة، ويمكن أن يكون الأسلوب في هذا الجزء تلقياً وإنصاً محدثاً، ويأخذ الكاتب من المقدمة مجالاً للتعریف بال موضوع وبين الهدف منه، وشرح جوانب المشكلة أو القضية التي يطرحها للبحث، وإيضاح

المنهج الذي اتباه، أو الذي سوف يتبعه أثناء الكتابة، على أن المقدمة - إذ سبقت بمقدمة - يمكن توجيهها إلى التعريف بالمشكلة المدروسة بالتفصير، وتكون لذلك متصلاً بصلب التقرير، علماً بأن اختيار الخطة يرجع أولاً إلى الكاتب نفسه حيث يسلك المنهج المتافق مع ميله ورغباته.

وتشمل مقدمة التقرير المعد حول البحوث الجامعية^(١) على الأقسام الآتية:

«خلفية الدراسة، مشكلة البحث، التعريفات والافتراضات، والفرضون»^(٢).

وقد وضح لنا أن المقدمة ذات أهمية في التقرير مهما اختلفت أنواعه؛ إذ يدهن الكاتب بأعظم فكرة عن المشكلة وبيان المعلومات المبحوث عنها، وذكر الدراسات السابقة - إذا وجدت - وربط الدراسة الحاضرة بذلك الدراسات السابقة. ويرجب أن يصف الباحث مشكلته موضوع الدراسة في وضوح واقتدار، حتى لا يكون هناك أى ليس فيما يتعلق بالموضوع المحدد للدراسة.. وفيما يتعلق بالسؤال الذي تحاول الدراسة الإجابة عنه،^(٣)

ب - صلب التقرير:

بعد صلب التقرير القسم الأكثر أهمية، إذ أنه يتضمن كل المعلومات المطلوبة والمتعلقة بموضوع التقرير... إن هذا القسم من التقرير هو بمثابة شهادة يدلي بها الكاتب إيجابية عن الأسئلة المطروحة يتطلب ما تضليله الشهادة من نزاهة وموضوعية^(٤).

(١) مثل رسائل الماجستير والدكتوراه.

(٢) المنهج وكتابة تقرير البحث: د. عبد الله محمود سليمان، الأنجول المصرية، عام ١٩٧٣ م.

(٣) أصول البحث العلمي وطريقه: د. أحمد بدرا، مكتبة غريب بالقاهرة، ٢٣ عام ١٩٧٣.

(٤) التحرير العربي: من ٢٠٢، من ٣٤.

وهذا القسم هو الأساس الرئيسي في التقرير، ومن الأفضل تقسيمه إلى عدة عناصر أو أجزاء يدم من خلالها بحث الحديثات والمناقشات المختلفة، وتقديم كل جزئية مشرفة بعنوان جانبي خاص في التقارير التي تذكر عدد سفحاتها عن الحد المأثور.

ويقسم بعض العلماء هذا الجزء إلى عدة أقسام وهي:
 «المقدمة، وطريقة المعالجة، وعرض الأدلة، وتحليلها، والخلاصة،
 والنتائج»^(١)، ونعتقد أن ما يتوافق مع صلب التقرير من هذه الأجزاء التي ذكرت هو طريقة المعالجة وعرض الأدلة وتحليلها، لأن هذينالجزئين يتوافقان تماماً مع صلب التقرير - أما المقدمة فقد سبق الكلام عنها، وسيأتي الحديث عن الخلاصة والنتائج من خلال الخاتمة.

إن طريقة المعالجة كجزء من صلب التقرير تتوقف على طبيعة الدراسة وعلى حجم المعلومات التي تم الحصول عليها، وتتحمس نتائجها على الكاتب نفسه من حيث ثقافته وخبرته في كتابة الأبحاث والتقارير ومدى قناعته بالمشكلة التي يعرض لها.

ويقتصر عرض الأدلة وتحليلها جزءاً من المعانبة على لا يهملي بياناً أو ذليلاً مما بين يديه، استجابة للتقرير الأولية، يصرف النظر عن النقائص هذه الأدلة مع الدراسات السابقة أو اختلافها منها.

(١) مناجي البحث في التربية وعلم النفس: دير بول فران دالين، ترجمة د. محمد فليل، نوبل وأخرين.

فالاتساع في الاستنتاجات، والقفز إلى النتائج بدون سط للأدلة خطأ كبير، حتى لو كانت النتائج صحيحة.

ج - المقدمة:

ينهض كاتب التقرير بالخيس النتائج التي توصل إليها في الخاتمة، وهي الجزء الأخير من التقرير الذي يشكل أهمية كبيرة لكتير من القراء؛ لأنه يتضمن المعلومات المقدمة في الفصول (أو الأجزاء) السابقة في صورة مختصرة ويدل على القراء بأهم تفاصيل الدراسة وإنجازاتها. لذلك يلجأ معظم القراء إلى القراءة السريعة لخلاصة التقرير أولاً، لكن يحصلوا على نظرة إجمالية للمشكلة، ويجدوا فائدتها بالنسبة لهم، فإذا ناسبت الدراسة هدفهم، انتقلا إلى فحص بقية الفصول قبل قبول نتائج البحث^(١).

ومن المعروف لدى المشغلين بكلية الأبحاث والتقارير أن الخاتمة لا تتصل على معلومات جديدة، ولا تعرض للتفاصيل المتصلة بالموضوع؛ ولذا كان من الأفضل أن تتجه إلى الخاتمة حدود الشخص الموجز للدراسة المقدمة.

ومن الجائز أن يدخل الكاتب النتيجة في صلب التقرير وعند ذلك يقتصر دور الخاتمة على تلخيص ما جاء في التقرير، انتهاء من طرح المشكلة وانتهاء بتقديم الحلول العلمية السليمة، على أن مسألة تنظيم التقرير وتقسيمه إلى أجزاء تختلف من باحث إلى آخر، ولكن المسؤول عليه هو النتائج التي أمكن الوصول إليها بعد عرض المشكلة عرضاً سلماً وأضحاها.

(١) السابق، ص ٥٨٣.

المبادئ العامة في كتابة التقارير:

- (١) الحرص على استخدام الأسلوب البسيط الواضح مع الالتزام بالدقة الكاملة في عرض البيانات، ولذا يحسن ترك التفاصيل غير الازمة والاكتفاء بإيجاز النتائج.
- (٢) إعداد التقرير في مسودة أولية؛ حتى يأخذ قدراً من التتفيف وما يتبعه من إضافة أو حذف.
- (٣) العناية بجمع كل ما يصل بالموضوع من بيانات، مع التوثيق بالجهود السابقة، وبيان مدى اسهاماتها في المشكلة المطروحة للبحث.
- (٤) العناية بالهياكل والمصادر والمراجع والدوريات وغيرها.
- (٥) من الأفضل أن يقدم كاتب التقرير مسودة التقرير إلى من يعيد قراءتها؛ لكتف ما في التقرير من فجوات أو ثغرات، أو نقاط ضعف، أو أفكار غير واضحة؛ حتى يمكن تلافيها قبل الكتابة النهائية.

الإخطاء في كتابة التقارير:

- (١) عدم اتباع الخطوات المقررة في الكتابة بصرف النظر عن الأساليب، وذلك ذاتي النتائج غير صحيحة.
- (٢) التسرع في الاستنتاجات دون تقديم البيانات والمعلومات الكافية.
- (٣) إغفال الدراسات السابقة.
- (٤) تقديم الأدلة والقرائن بدون تحليل ومعالجة.
- (٥) كثرة التعليلات الشخصية، التي تغير عن وجهة نظر الكتاب أثناء عرضهم للمعلومات؛ مما يجعل القارئ ممسيناً في التمييز بين المعلومة

والرأي الشخصي...^(١) على أنه من الممكن إرجاء الآراء الشخصية إلى الخامسة، حيث يحتم على الكاتب أن يكتفى عن رؤيته الشخصية شريطة أن تكون هذه الرؤية مفروضة بالأدلة والبراهين.

التقارير المختصرة:

تأخذ بعض التقارير صورة مختصرة خاصة إذا كان التقرير موجهاً إلى موظف أو عامل، إذ يقدم التقرير إلى الموظف في صورة نموذج سهل إعداده من الجهة التي ينتمي إليها، وليس عليه إلا أن يملأ هذه النموذج بالإجابة على الأسئلة والاختبارات الموجودة في التقرير - وهذه صورة من تقرير كفاية موظف^(٢):

(١) التحرير العربي: من ٢٠٢.

(٢) نقلًا عن كتاب التحرير العربي.

تقرير كفاية موقف أو عامل

اسم الموظف: _____
 قسم: _____
 الوظيفة: _____
 المرتبة الحالية: _____
 تاريخ آخر ترقية: _____

عدد مرات التقييم بعدن: _____ بدون عنبر: _____ مرات التأثير: _____

لا يفتح الحد الأدنى	الحد الأدنى	ما هو متوقع	ما هو متوقع	أكثر مما هو متوقع	قدرته على الإنتاج
أقل من المتوسط	متوسط	جيد	معمتاز	نوعية النتائج	إمامه بالعمل
أقل من المتوسط	متوسط	جيد	نظام	تحمس	إقباله على العمل
يتنفسه الاهتمام	سلبي	يبدل إلى عمله	غيره	القدرة على الإبداع	القدرة على الإبداع
قليل جداً	واسط	أحياناً كبيرة	غيرها	اعتماده على النفس	الاعتماد على النفس
قليل	واسط	جيد	معمتاز	الشخصية القيادية	الشخصية القيادية
يتنفس المدة	ليس على درجة كبيرة	وائق من نفسه	غيره للثقة	فريق المؤذنة	سلوك الشخص
بالنفس	واسط	يريد أحياناً	يريد		
ويأخذ دائماً	واسط	واسط	واسط		
ويأخذ كثيراً	واسط	واسط	واسط		

- هل هو سعيد بعمله؟
 - هل يرغب في التقليل؟
 - هل هو مؤهل لوظيفة أعلى؟
 - هل تتصفح بصفاته؟
 - هل تفتخر له علامة؟
- أليس كذلك؟

اسم مقدم التقرير توقيعه التاريخ

إن هذا التقرير ليس إلا صورة واحدة يمكن القياس عليها بالعديد من النماذج والأشكال، استجابة لرؤية الجهة التي تطلب التقرير وتجبرها عن رفضتها نجاه الموظفين والعاملين بها.

ونؤكد أن النماذج المختلفة للتقارير يمكن أن تختلف في السنوات القادمة عن الصورة التي هي عليه الآن، حيث يشهد العالم ثورة علمية رهيبة وبخاصة في مجال الحاسوب الآلي (الكمبيوتر) وإذا ما دخل هذا الجهاز في الدوائر الحكومية، وانتشر استخدامه في المجالات المختلفة، فلا تستبعد عند ذلك أن يأخذ التقرير صورة مصغرة عما هو عليه الآن إذ يمكن لمديري إحدى المدارس أو إحدى المستشفيات من الضغط على ملف خدمته في الجهة التي يعمل بها، أو سخر للأغراض أخرى في الجهات التي تطلب كتابة التقارير.

* * *

الفصل الخامس

تحقيق المخطوطات العربية وطبعها

شهدت بدايات العصر العباسي الأول نهضة أدبية وعلمية فريدة غير مسبوقة، كان مرجحها إلى عدة أمور واضحة ومعروفة، لعل من أهم أسبابها رغبة الخلفاء في الحفاظ على التراث العربي، وإحياء الفقافة الإسلامية، وتتمثل ذلك في القلم بجهود جبار؛ الذي ورث هذا التراث، والانتقال به من عصر الرواية إلى مرحلة جديدة زاد فيها الحرص على التسجيل والحفظ، وكتابة كل ما يدخله الرواة عن ساقفهم.

ولقد أثّرهم في نجاحات هذا الأمر ظهور مجموعة من الرواة المخطوطة الثقات، مثل أبي عمرو بن العلاء، والمفضل الصبّاني، وحمد الرأوي، والأصمي وغيرهم، وجعل الحكماء والعلماء مزواً من رسالاتهم نحو دينهم ودنياهم العمل على تقليل حضارات الأمم الأخرى، فنهضت حركة الترجمة من الفارسية والهنديّة واليونانية الرومانية إلى العربية وبذلك صار لدى العرب والمسلمين آثاراً ثراثاً من التراث من المرويات والمتّرجمات، والذى بدأ في النمو والازدهار بجهود أخرى في التأليف والإبداع.

ولم يعد كل هذا التراث - على اختلاف علومه وأداته - قاصراً على موطنه القديم في الجزيرة العربية والشام والعراق ومصر، وإنما امتد خارج هذه الدائرة إلى أراضٍ جديدة في جنوب آسيا ووسطها وشماليها، وإلى الشمال والغرب الأفريقي والأندلس وإلى أصقاع جديدة لم تخطر على قلب بشر.

وастمر هذا النشاط في التكاثر والازدياد؛ لفرض العلماء على نشر المؤلفات وجمعها واقتنائها في المكتبات الخاصة والعامة، وظهرت طوائف عديدة من أصحاب الخطوط الذين يستأجرون للكتابة بالأجرة، وانتشرت الوراقفة، وهي نسخ الكتب والتجارة فيها، وبقي الرواة المقلات على إخلاصهم للعلم ورثيائهم في الخلط عليه، فكانوا يستغلون الراغبين فيه الذين يأخذون منهم، ويستفيدون بهم، وكان هؤلاء الطلاب يجتمعون في تحصيلهم بين الصحائف والأوراق والسماع عن الشيخ الذين يرحلون إليهم، وانتشرت معاذن العلم في أماكن كثيرة خاصة في المدينة ومصر والمغرب.

ولعل الفارغ في رغبة لطرح سؤال عن مصير كل هذه المخطوطات التي يشهد بها القرن الرابع الهجري وما تلاه...

والإجابة فيها شيء من المرازة والأسى، لأن معظم البلدان العربية والإسلامية قد وقعت أسريرة لخصوصها وأعذلها، ودخلت في حروب طويلة مع الأسبان والروماني ثم مع المسلمين والذار في مرحلة تالية، ومن بذل الصراع الذي امتد فرورنا ثم الاستيلاء على قدر كبير من القرارات العربي بخاصة، وأودع معظمها في مكتبات أوروبية عديدة وغير أوروبية كذلك، وصانع قدر آخر لا ينتبهان به ما بون حرق وإبادة واتلاف، وتلرجح بالذاكرة إلى ما حدث أثناء حروب التذار وكيف كانت مكتبة بغداد إحدى الصحايا لهمجية هؤلاء المغزيرين الذين ألقوا - بلا رحمة - بالتراث العربي ونتائج الفكر الإنساني في نهر دجلة؛ ليبقى الحدث عارا على من ألقوا وعلى الذين تقهقر أمامهم في ذلك وانكسار.

أما ما نهى من كل ما سبق، وما أضيف إليه من مستحدثات، فقد يبقى محفوظاً في مكتبات عديدة علمية وخاصة ببلدان العالم الإسلامي.

ونقصى الأمانة العلمية للقول بأن الأوربيين – فيما بعد – كانوا الأسبق والأكثر وعياً بقيمة هذا التراث الغالي، فخرصوا على جموعه وبخزيته، وأنشأوا أقساماً للدراسات الشرفية في عدد من الجامعات الأوروبية، أخذت على عاتقها مهمة الحفاظ على هذه المخطوطات، وفهرستها وإلقاء الأضواء عليها، وأسندت تلك النبعة إلى جماعات من المستشرقين الذين جعلوا تحقيق التراث العربي ونشره جزءاً من رسالتهم، وقاموا بجهود رائعة في هذا المجال، وقد قلت ذلك منذ سنوات في أكثر من لقاء، وكتبه وشرته في مجلات وصحف عربية.*

وكان البعض يتعجب من هذا الكلام قائلاً: كيف تشهد بالفضل للمستشرقين، وهم الذين أسهموا في تغريب المعنوية الإسلامية من بعض مكوناتها؟.. كيف تقول ذلك، ولا تدين الغزو الثقافي؟، وقلت لهم ولغيرهم إن المستشرقين ليسوا سوءاً، وقرأت لهم يومها جزءاً مما كتبه الدكتور محمود حمدي زقزوق في كتابه (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع

* في مجلة الطالب جزء من دراسة لي عن الاستشراق العدد (٨) شعبان ١٤٠٩ مارس ١٩٨٩.

كما تشرت لي دراسة عن الموضوع نفسه بمجلة كلية اللغة العربية بالرازي العدد السابع عشر ١٤٢٧، مارس ١٩٩٧، كما أحضرت عن الموضوع نفسه في كلية إعداد المعلمين بالطالب وكليات اللغة العربية بالرازي، وتحتت عنده في بعض البرامج الدراسية. وفي هذا الكتاب قصل خاص بهذا الموضوع.

الحضاري) ولا أود - هنا - أن أدمى القلوب، وأتكي العيون على هذه المسأة التي لا زلت حية مجسدة في ذاكرة الكبارين.

قال الدكتور محمود زقزوق: «لهم المستشرقون منذ زمن طوبيل بجمع المخطوطات العربية من كل مكان في بلاد الشرق الإسلامي، وكان هذا العمل ميدانياً على وعي ثام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل ثراثاً غنياً في شتى مجالات العلم. وكان بعض الحكماء في أوروبا يفرضون على كل سفينة تجارية تعامل مع الشرق أن تحضر معها بعض المخطوطات، وقد ساعد الفوضي الهائل من المخطوطات المجلوبة من الشرق على تسهيل مهمة الدراسات العربية في أوروبا وتنشيطها. ومنذ لحمة التأليفيون على مصر عام ١٧٩٨ م ظل نفوذ أوروبا في الشرق، وساعد ذلك على جلب الكثير من المخطوطات».^(١)

إذن فقد كان المستشرقون الأسبق إلى حفظ المخطوطات وصنع الفهارس لها، مما سهل من المرحلة الثانية وهي التحقير والنشر.

تحقيق المخطوطات ونشرها:

ابتدأ المستشرقون هذا الاتجاه في ظل ظهور الطباعة وتطوراتها، وكانت مصر - بخاصة - من أولى دول الشرق التي انتقلت إليها آلات الطباعة، فظهرت فيها الصحف، ثم شرعت مع غيرها من الدول الإسلامية في طبع الكتب بوسائل تقل عما كان لدى الغرب من مطابع وألات، وتلك خدمة جليلة أخرى نثراها لطائفة من المستشرقين الحريصين على العلم، الأمانة على

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود محمد زقزوق ص ٦١.

الكلمة الذين يخلعون عباءات التهمس، ويجردون أنفسهم للمعنى الإنسانية السامية النبيلة، وما كتبه الدكتور زغزوق عن ذلك أيضا قوله: «ولم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات وفهمها، بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر. فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث وفاضوا بين الصخ والمخنقة، ولاحظوا الفروق وأثبتوها ورجحوا منها ما يسميه أصحابها وأعدلها، وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للم الموضوعات والأعلام أثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها، وقاموا في بعض الأحيان بشرح الكتب شرحا مفيدا».

وهكذا استطاعوا أن ينشروا عددا كبيرا جدا من المجلفات العربية، كانت غونا كبيرة للباحثين الأوروبيين من المستشرقين وغيرهم من بلاد الشرق^(١).

ومن أشهر الكتب التي سبقوا إلى تحقيقها ونشرها: الشعر والشعراء، وعيون الأخبار لابن قتيبة، وال الكامل للمربرد، وال فهيست لابن التديم، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والمقدسي لابن جنبي، ومعجم الأدباء، ومعجم البلدان ليافورت العموري، ووفيات الأعيان لابن حلكان، والواقي بالوليقات للصفدي.

كما أسهموا بخدمات أخرى في الدليل والترجمة، وذلك باللغات الأخرى الحية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والأسبانية والإيطالية والهولندية، وترجمت معظم هذه الأعمال إلى اللغة العربية في مرحلة تالية، وانصل بعض العرب والمسلمين بهؤلاء المستشرقين فأخذوا عنهم، وتذلّلوا على أيديهم، وكشف بعض أهل الشرق كثيرا من إيماءات نفر من

(١) السابق: ص ٦٣.

ال المستشرقون للدين الإسلامي . مما يؤكد أهمية أن تؤخذ كتابات الالذين منهم في الدين الإسلامي - خاصة - بشيء من المطرد .

وقد قام الباحث التركي المعاصر فؤاد سوزكين - والذين كان تلميذه للمستشرق الألماني (هيلموت ريتز) بإكمال كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ، ذلك الكتاب الذي أعدته برصده المصطلحات العربية المخطوطة منها والمطبوع إذ كان بروكلمان يصنف - فيما - إلى كتابه كل ما يكتشف من مخطوطات ، فنهض فؤاد سوزكين بتأليف كتاب (تاريخ التراث العربي) بالألمانية ، وترجم بعضه إلى العربية ، وظفر عنه بجائزة الملك فيصل العالمية .

وأعود فأقول إن الاهتمام بتحقيق التراث ونشره قد انتقل إلى الصاجة العربية والإسلامية ، وتقديم نقداً ملحوظاً يفضل المرجعيات التي سار عليها المستشرقون ، وبفضل وسائل الرصد والتتسجيل والطبع من خلال مجموعة أنشئت هذا القرن ، وأخلصت له ، وذكرت لنفسها منهج صارت قاعدة ودعالما في تحقيق التراث ، وتنذر منهم بكل إعزاز وتقدير الأمانة أحمد محمد شاكر ومحمد محمد شاكر والسيد صقر عبد السلام هارون وعلى محمد البخاري ومحمد أبي الفضل إبراهيم وأحمد أمين .. ومحمد كرد على (من الشام) وحمد الجاسر (من السعودية) ... وكان الأستاذ عبد السلام محمد هارون أسبق الذين جمعوا في تحقيق التراث بين النظرية والتطبيق إذ كان كل من ينopsis بتحقيق كتاب يهدى به مقدمة يشرح فيها خطته ومنهجه في التحقيق ، وكان الأستاذ عبد السلام يسلط الشيء نفسه في مسئول مقدماته للنص المحقق ، ولم يكتف بذلك بل عمد إلى مع كل خبرته وتجربته في تحقيق التراث ، ثم طرحها في كتاب بعنوان (تحقيق

النصوص ونشرها، وأعقب العنوان بقوله: «أول كتاب عربي في هذا الفن يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته»، وسوف اعتمد عليه كثيراً في صفحات تالية... أما هنا فاحب أن أشير إلى جهود أخرى ليست على مستوى الأفراد، وإنما يجري العمل فيها من خلال المؤسسات، وأقصد بذلك معهد المخطوطات العربية الذي تجري نشاطاته ضمن أعمال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية، وقد تابعت إسستاراته من يوم أن كانت القاهرة مقراً له، وخلال رحلته إلى تونس ومنها إلى الكويت، وبعد عودته إلى القاهرة، ذلك المعهد الذي لم تقتصر أعماله على المخطوطات الأدبية والتقريرية والدينية، بل امتدت لتشمل العديد من الجوانب الأخرى مثل التراث العلمي، وكانت آخر الجوائز التي قدمها عن تحقيق كتاب «مادة البقاء» في إصلاح قasad الهواء والحرز من صدر الأربعاء، الحمد بن أحمد التعميمي المقدس، وهو من رجال القرن الرابع الهجري، وقام بتحقيقه المحقق النراقي (يحيى شعاع)، وهو مهندس مدني سوري، وكان المعهد قد نشر تحقيقاً للمخطوطات في الرياضيات والجيولوجيا والبيئة، للتأكد على أن التراث العربي لا يقتصر على الأدب واللغة والدين والطقة، بل يشمل كل ما تركه الأئم من علوم وطب وهندسة وفلك وكيمياء وجين، وفي فعاليات الندوة^(١) التي عقدها المعهد أخيراً، ذكر أن نسبة التراث العلمي تتراوح ما بين ستمائة ألف إلى مليون مخطوط علمية، وينصي هذا التراث بأنه موسوعي، فدخلت فيه العلوم بالمعارف، ففي كتب الأدب نجد الملح، وفي كتب العلوم نجد الشعر، وهكذا.

(١) دررت كلية منها في جريدة الأدب بجريدة الأهرام يوم الجمعة ٢١/١٠/٢٠٠٦م.

وقد كانت مكتبة العزيز بالله الفاطمي بها ستة آلاف وخمسماه كتاب في التنجوم والهندسة والفلسفة، وتيرجع من شاء إلى كتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، لابن سينا وكتاب الفولج للرازي^(١) ، وكتاب الموجز في الطب لابن النفيس^(٢).

إن فلادن من العناية الفائقة بالتراث، وذلك بنشر أخباره، والإهتمة الكاملة بأماكن وجوده، وعمل النهارين الكاملة له وتصويره على (ديسكات كمبيوتر) وعلى شرائط (ميكروفيلم) ونشره على شبكات الأنترنت كإجراء (وقائي) ونشره مطبوعاً محفقاً.

ولابد من التحقيق الكامل بين الأجهزة المختلفة فيسائر الدول التي تتواجد بها المخطوطات العربية.

وقد عجبت ذات يوم عند نقالي بباحثة عربية متخرجة في سوريا عاشت جزءاً من حياتها بألمانيا، وكانت بيدها نسخة مخطوطة ترغب في تقديم أطروحة جامعية عنها بالجامعة السورية في (برلين) قسم الدراسات الشرقية على ما اعتقاد، والمخطوطة ليست قديمة جداً وهي عن قصة سيدنا يوسف أصبيلت إليها بعض المقامات الشعبية لزوم الحكمة الفصصية التي ثبت صياغتها باللغة العربية التي اختلفت بها بقية لهجوة شعبية ترجع إلى بعض ما يتحدث به

(١) طبعها بمتحف المخطوطات العربية.

(٢) صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عن المجلس الأعلى للذوقون الإسلامية بالقاهرة عام ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) . والطبعة الثانية بالإنجليزية لجنة علم ١٤١٨هـ (١٩٩٧م).

قونما في مصر - قلت: من الذي ذهب إلى سويسرا بهذه المخطوطات
باتتها العربية ولهجتها الصعيدية ومؤسسها الديني المعمون في الوجهان
الشعي؟

لأن التحجب يبلغ مداره - وأنا أثق ببعض مطبوعات معهد المخطوطات،
والتي قام بإعدادها باحثون يعلمون فيه، سافروا إلى أماكن متعددة، وهذه بعض
فواتح المخطوطات:

- * فهرس المخطوطات العربية في مكتبة ستريبورج الوطنية والجامعة بباريس
- إعداد الدكتور نزيه كسيبي.
- * فهرس مكتبة السيد محمد باقر المطبلاني بكرلاه - إعداد سليمان
هادي الطعمة.
- * مجموعات مخطوطة في مكتبة استالبول - إعداد الدكتور طه محسن.
- * فهرس الخزانة الصيدلانية بسلا في المغرب - إعداد الدكتور محمد حمي.

ورتحت بي قواقي ببعض المخطوطات المطبوعة بالمعهد أيضاً والتي

ترصد نراثنا العربي منها:

- المخطوطات العربية في بوغسلافيا، (تقرير عن المخطوطات العربية في
مدينة سراييفو خاصة، وضمه عصام محمد الشنطي).
- المخطوطات العربية في نيجيريا الانحادية: تقرير أعدد الطيب عبد الرحيم
محمد، راجحة واختصره د. خالد عبد الكريم جمعة
- المخطوطات العربية في الهند، تقرير عن المخطوطات العربية في خمس
مدن هندية. وضمه / عصام محمد الشنطي.

كل هذا التراث وغيره الذي شهدته الكثيرون - وإنما منهم - في حاجة إلى توحيد الجهود، واستحداث الوسائل، وتوجيه المدارس إليه أيضاً وقد، لكن تلك العناية ينبغي أن تكون رشيدة فاحصة، بحيث لا تنتقل المخطوطة إلى الصديق والطبع إلا إنها كانت جديرة بما ينفق عليها من جهد ومال.

وتعود إلى كتاب الأستاذ عبد السلام هارون السابق ذكره؛ لقرده في بابه، حيث طرح العديد من القضايا المتعلقة بالتراث العربي، والتي كانت تماراً نافعاً للفلسفه منها كل محب عاشق لهذا التراث الصنف، ومن بعده قدم معهد المخطوطات العربية كتبها بعنوان (أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه)، وأئمهم الكثيرون في تأصيل القواعد لهذا الفن الذي يجب بقاوه وتطوره باستخدام الوسائل الحديثة في الجمع والحفظ والنشرة.

خطوات التحقيق

أولاً: اختبار المخطوطة:

يكون للتحقيق - غالباً - مخطوطة مكتوبة باليد، أو سبق تحقيقها واحتاجت إلى من يعيد تحقيقها، وقد تطورت عملية نسخ المخطوطات والأدوات المستعملة فيها من أقلام وأخيار وأوراق، إلى أن غدت على المسيرة المشاهدة والمحفوظة في المكتبات، كما تنوّعت الخطوط فمنها الكوفي والأفريقي والأندلسي والمغربي والمصري، وأختلف ترتيب الحروف بين المشرق والمغرب.

وي ينبغي أن يكون اختبار المخطوطة خاصاً لتقدير الأهم على المهم، والأصول على الفروع والختارات، وتقديم مالم ينشر على ما سبق نشره،

ولوخذ في الاعتبار المطبوعات التي لم يرأع في تحقيقها الأصول العلمية^(١).
ويقدم عند الاختيار أصول النصوص، أو أعلاها، وهي كما قال الأستاذ عبد

السلام هارون:

أعلى النصوص هي تلك المخطوطات التي وصلت إليها حاملة عنوان
الكتاب، باسم مؤلفه، وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسماً المؤلف
وكتبها بنفسه، أو يكون قد أشار بكتابتها، أو أملأها، أو أحازها؛ ويكون في
النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها أو اقراره لها.^(٢)

وتصنف أمثل هذه النسخ بالنسخة الأم، وهي التي تحدد بالمرجعيات
الم سابقة إلى جانب المعرفة الكاملة بأنواع الخطوط والأوراق والتواتر وتجدنا
للخلط في فهم عبارة (كتبه فلان) فقد تكون للمؤلف، أو للناسخ، وكلما زادت
أعداد النسخ المخطوطة كلما كان ذلك أصل، ويلزم لذلك الاعتماد على قدم
التاريخ في النسخ المعدة للتحقيق.

وفيما يتصل بمنازل النسخ أوضح الأستاذ عبد السلام هارون أن ترتيب
أصول المحفوظات يجعل نسخة المؤلف هي الأولى، وثانيةً بعدها المنسوبة إليها،
وتصير هي الأولى، إذا صنعت تلك.

ويقتضي كل ذلك إلى حدّ الحقّ خاصّة إذا اجتمع لديه عدة نسخ
مجهولة النسب، فالأسأل أن تقدم النسخة ذات التاريخ الأقدم ثم التي عليها

(١) راجع لسن تحقّق الفرات العربي ومتلجه من ١٥.

(٢) تحقيق النصوص ونشرها من ٦٧.

خطوط العلماء^(١) إلا إذا كان النسخ للأسبق أقل كفاءة، فلا يكون التاريخ فيصلاً عند الاختيار والتقديم، ثم إن تجميع الأصول عملية شاقة فقد ينافي المحقق بعد الانتهاء من عمله، وطبع الكتاب بوجود تسطة يمكن أن تغير في النسخة التي اعتمدتها ثغيرة ملحوظة، ووقع هذا فعلاً في أحوال كثيرة منها ما حدث مع عالم كبير هو الأستاذ محمود شاكر في تحقيقه لكتاب طبقات فحول الشراء، فإن العنوان المذكور لم يكن بهذه الصورة عند طبع تحقيقه لكتاب في أول مرة، وليس على الباحث إلا أن يجتهد قدر طاقته بحيث يكتب على ظنه أنه قد وصل إلى الغاية.

وتحمود مرجعية فحص النسخ إلى أمور كثيرة، منها معرفة اسم المؤلف، وهذه نقطة مهمة، فبعض المخطوطات لا تحمل اسماء مؤلفيها مثل رسائل إخوان الصفا وألف ليلة وليلة، فقد طبعت دون تحديد لاسم مؤلفيها، كما أن بعض المخطوطات حمل اسماء ليس لمؤلفها، مثل كتاب (تقد المثل) المنسب إلى فدامه ابن جفر، و(الناج) المنسب للجاحظ، والإمامية والسياسة المنسب لابن فقيه^(٢).

وطبع في مصر كتاب بعنوان أخبار النساء، منسوباً لابن فهم الجوزي، ثم ثبت أن مؤلفه الحقيقي هو ابن الجوزي البغدادي^(٣).

(١) رابع من ٣٥ من الكتاب السابق.

(٢) رابع درائنا المخطوبة من المأثور إلى الورقة د، على الخطيب من ٣٨، هدية مجلة الأزهر (العام ١٩٠٤).

(٣) انظر مقدمة صديق الماظهار لابن الجوزي والتي أعدتها الأستاذ على الطبلاوي، والكتاب من مطبوعات دار الفكر بدمشق.

قد يكون الاسم سقط سهواً أو عمدًاً أو زلت الكتابة مع طول الزمن، أو ثقت البرقة الأولى أو فقدت، ولكن الحقيقة مهما خفيت على الناس سوف تظهر في يوم من الأيام، وهذا قضية شائكة، خاصة إذا كان موضوع الكتاب أو عنوانه مشتركاً بين أكثر من شخص. فمعرفة اسم المؤلف مسألة مهمة، حيث يمكن الاهتداء من خلاله للكتير من المقالات عن العصر والبيئة، والمصادر التي نقل منها واعتمد عليها، وكذلك الكتب التي أخذت عنه إملاً أو سعاماً، فالتعامل مع المخطوطات عملية عسيرة، ولن يستويلاً معهنة لكل شخص، وإنما تحتاج إلى عدت ومشقة وجهد كبير، يستلزم المعرفة الشاملة ل بتاريخ الأوراق وخطوط الإساح، وأسمائهم في النقل، وعنوان الكتاب، وأبوابه وفصوله، وسائر المعاينات المتصلة بالتحقيق الذي عزفه شيخنا عبد السلام هارون رحمة الله فقال:

يقصد به بذلك حذابة خاصة بالمخطوطات؛ حتى يمكن التثبت من استيفائها للشروط معينة.

فالكتاب المحقق هو الذي صبحَ علione، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب [إليه، وكان منه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه].^(١) فأول ما يدين أن يوجه إلى المخطوط عند تتحققه هو التأكيد من سحة العنوان، ومن نسبة الكتاب إلى صاحبها، وتحديد المخطوطات الأم، و مقابلتها بالنسخ الأخرى، وحصر الصفحات، والتعرف على منهج المؤلف؛ خوفاً من أن يكن قد دخل في الأوراق ما ليس منها، أو اقطع بعضها، وكل ذلك للتأكد على سلامة النص من الزيادة والتقصان، وبعد هذا مدخلأً أو دراسة للتصارير المحيطة بخوم النص.

(١) تحقيق التصوّر من ٣٩.

ثانياً: تحقيق النص:

إن تحقيق النص والوصول به إلى المستوى الذي تركه عليه المؤلف أدى إلى نسخة يحتاج إلى كثير من الجهد في عدد من المخطوطات.

ومعنى تحقيق متن الكتاب: أن يودي الكتاب أداء صادقاً كما وضعه مؤلفه كما وكيفاً يقدر الإمكان، فليس معنى تحقيق الكتاب أن تنسى للأسلوب النازل لسلوكيه هو أعلى منه، أو تحمل الكلمة صحيحة محل أخرى مصححة، بدعوى أن لولاها أولى بمكانها، أو أجمل، أو أرقق، أو ينسب صاحب الكتاب نصاً من النصوص إلى قاتل وهو مخطيء في هذه النسبة فيبدل المحقق ذلك الخطأ ويحل محله المسواب، أو أن يخطيء في عبارة خطأ نحرياً دقيراً فيمسح خطأ في ذلك، أو أن يوجز عبارته ليجازأ مثلاً فيربط المحقق عبارته بما يدفع الإخلال.^(١)

وعلى المحقق أن يتحلى بالأمانة والصبر، فإن النص حكم على المؤلف وعصره وبيئته، ولذا يتلقي احترامه وعدم الاعتداء عليه، أما للتبني على الأخطاء فيكون في الهامش أو الماشي فوق آخر الكتاب، أو في أوله، حرصاً على الأمانة العلمية، مع ما يصاحب ذلك من علت ومشقة نفسية عند التفرير بين أخطاء المؤلف وأخطاء الناسخ، ثم بعد ذلك يبقى الأمر في يد المحقق. ومن بهذه الطابع، وذلك مشكلة أخرى.

(١) تحقيق النسخ من رواياتها من ٤٤.

وينبغي أن تضبط الكلمات ضبطاً دقيقاً، وكان المؤلفون يجمعون في
الضبط بين الحركات والحروف في الكلمات المتشابهة التي يقع اللبس فيها،
وسار على ذلك سدنة التحقيق، لكن العزائم قد فترت - لأن - ولصرف
الكتاب عن هذه الرسالة، وقد كانت الهمة قوية يوم أن كان
المؤلفون والمحققون من بعدهم يخسرون وقع الألفاظ في متابعة التحريف
والتصحيف^(١).

ولابد أن تراعى الدقة الكاملة في ضبط الآيات القرآنية والأحاديث
الشريفة والأشعار، والحكم والأمثال، والأعلام، والغريب من الألفاظ، وما يبيه
من المصطلحات والدراءات مع الاستعانة بالمصادر الموثوقة فيها، والمراجع
المختصة^(٢).

وإذا كان احترام نص المولف (العن) واجباً فإن استطلاع التحريف
القرآنى في الآيات الموجودة في النص واجب بذلني عدم المكرر عليه مهما
كانت الأسباب وقد ذكر الأستاذ عبد السلام هارون نماذج كثيرة عايها بنفسه
وهو يقصد تحقيق كتاب الحيون للجاحظ، ولم يطلق إلا ردها إلى الصواب

(١) في بيان المحتوى من متن الإصطلاحين كلام كثير ثبت الأستاذ عبد السلام هارون معتبراً
في كتابه المثلث المذكر من ٦٠ وما يبعدها والأقرب إلى الأخذ هو أن العريف تغير في معنى
الكلمة ب شيئاً عن تغير في شكل رسم الحرف كريم الراء دال.
والتصحيف: تغير في الكلمة بسبب التحفظ معبقاء صورة الحرف أو بسبب الالتباس في نقط
الحروف المتشابهة كالماء والفاء والباء، والجيم والصاد والصاد.

(٢) انظر (أنس تحقيق القرآن) ص ١٩.

وإصلاح ما وقع من أخطاء في النص القرآني الذي ورد بمن الكتاب، وقبل ذلك أيضاً في تحقيقه لمخطوطات أخرى لتهيي بعدها إلى التبيه على أمرين قال عنهما: أما أحدهما فإنه يجب أن يستشعر المحقق العذر الكامل في تحقيق الآيات القرآنية، وألا يركن إلىأمانة غيره في ذلك مهما بلغ قدره.

وأما الآخر فأن للزتمت في إبقاء النص القرآني المحرف في الصلب كما هو، فيه مزنة للأقسام، فإن حضر القرآن الكريم يدل عن أن نجاحه فيه مخالطاً، أو تحفظ فيه حق مؤلف لم يتلزم الدقة فيما يجب عليه فيه أن يتلزم غایة العذر^(١). ولا يكفي في تحقيق هذه المسألة بالمحض المدارل، وإنما لا بد من الرجوع إلى كتب التفسير والقرامات؛ لاحتمال أن يكون النص المذكور محمولاً على رؤوية معينة، أو قراءة شاذة مثلاً.

ولا يكون الأمر بهذا العذر في الحديث، لتعذر روایاته، وإمكانية تزيجه على إحداها، أو بجعل المؤلف أمانة روایته ونقطه.

ولايتعارض مع هذه الأمانة تدخل المحقق لمعالجة خطأ بين في نسخة ثانية، إذ فقدت النسخة الأصلية، فإن ترك الخطأ في النص دون التبيه عليه سليمة باللغة واتکال أمرع، فالأمانة الحقيقة تكون بإصلاح الخطأ والتبيه عليه في الهرامش، أما إذا كان الخطأ هنا فيمكن إيقاؤه على حاليه، أو وضعه داخل أقواس، والإشارة إليه في المراجع أيعنى، وينبغي إشغال العبارات المقحمة التي تتضمن زيايتها من السياق، خاصة عندما توجد في نسخة دون أخرى.

(١) تحقيق النصوص ونشرها من ١٦.

فروع النسخة ومقدار الخطأ وشخص الناسخ، وبيان الزيادات بين نسخة وأخرى، أو بين رواية وأخرى كل ذلك جدير بأن يأخذ في الاعتبار عند الحفظين الثقات.

وقد شاهدت بنفس كثيراً محققة بها كثير من المواقع تركت فيها مسافات بيضاء فارغة، كان المحقق يعقب عليها في العاشرة قائلاً: هذا ما وجدته في النسخة الأصلية، أو هكذا وجدت في سائر النسخ.

فالأمانة في معالجة النصوص تقتضي من المحقق أن يشير في الهاشم إلى المدخلات التي قام بها؛ للفصل فيها بين الخطأ والصواب.

ولربما جمع المحقق بين روایتين بالتفريق بينهما، متى كانت كل واحدة منها تحمل نصف الصواب ونصف الخطأ^(١)، فله أن يثبت ما يراه مع الإشارة إلى الروایات كلها، وقد طالعت شيئاً من ذلك في تحقيق أحمد محمد شاكر لكتاب الشعر والشعراء ابن قهیة فوجده قد جمع في الترجمة لامری «القیس بين أكثر من رواية بيدو التعارض ظاهراً بينها، فثبت حذكه ورسوخ قدمه وعدم سطوه على مخطوطه ابن قهیة التي ارتكبها».

وفي هذه القضية كلام كثير واجهادات لا يأس بها تخضع لرؤية المحقق والمراجع التي اعتمد عليها، للنصوص التي نقل المؤلف منها أو نقلت من كتابه، خاصة فيما يتصل بالأشعار التي يدخل وزنها، ولا يستند الاستطراب فيها

(١) راجع تحقيق النصوص لمحمد السلام هارون من ٦٧.

على ضرورة شعرية أو أي مخرج عروضي من زحافات لو عدل، أو آلة أو زان
شاذة أو نادرة.

ثالثاً: التعليق على النص:

من المزكى أن التعليق على النص من أzym الهمام التي ينهض بها المحقق،
شريطة أن يكون ذلك في الحدود التي يضعها المتن، متجنبنا الإسراف في
القول، ومتغريا على الرغبة في حشد المعلومات والمعارف القراءة والبعيدة عن
موضوع المخطوط.

وتوجه العلامة لآيات الفوارق بين النسخ، والتعليق عند ترجيح واحدة
على أخرى، والإشارة إلى الأدلة في كل قول.

ومن لوازم التعليق الربط بين أجزاء النص قال الأستاذ هارون: «وما
يقتضيه التعليق ربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض، فقد ترد إشارة لاحقة إلى
لقطة سابقة في الكتاب، فمن المستحسن كذلك أن يشير المحقق إلى المصادر
الماضية، وهو إن استطاع التنبية في المصادر السابقة إلى ما سيأتي في
اللاحقة، جلب بذلك إلى القاريء كثيرة من الفائدة، وأضاء الكتاب بعضه
بعض»^(١) ..

وثمة نقطة ينبغي الحرص عليها وهي التعريف بالأعلام والبلدان
الخامضة أو المشابهة بدون استقصاء واستطراد، وتوضيح الإشارات التاريخية
والأدبية والدينية وغيرها^(٢) .

(١) السابق من ٧٥ من ٧٦.

(٢) انظر: السابق من ٧٨.

ونأى إلى قضية مهمة سبقت الإشارة إليها وهي تحرير الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والأشعار، فيذكر اسم السورة ورقم الآية، ويبحث مصادر الأحاديث ومرتبة الاستناد فيها، ويرد الشعر إلى مكانه من الديوان أو إلى المصادر التي أورده مع الحرص على الربط بين النقول ومواضعها الأصلية، والإشارة إلى الرواية والتوصيف والاختلاف بين النسخ، وإثبات الموارد مقرونة باسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة والطبيعة إذا كان المصدر أو المورد مطروعاً.

رابعاً: تقديم المحقق للنص:

تأتي مقدمة المحقق في الصحفات الأولى؛ لتكون مدخلاً يلهم القارئ منه؛ للوقوف على معظم ما يحصل بالكتاب، فهذه المقدمة مهمة جداً لأن كليرا من القراء يكتفون بها - ومعها مقدمة المؤلف أيضاً - إلى أن يسعفهم الوقت، وتقتضي الحاجة الرجوع إلى الكتاب أو بعض منه.

ويراعي المحقق فيها مجموعة من الأمور الضرورية التي لا غنى عنها مثل التعريف بالمؤلف تعريراً موجزاً، وبيان عصره، وмесفاته، وتذكرة المصادر التي يمكن الرجوع إليها، للوقوف على تفاصيل هذا التعريف.

ويلى ذلك تقديم نبذة أو دراسة موجزة عن موضوع الكتاب، وعلاقته بغيره ومكانته بين الكتب المشابهة، ومن صلب تقديم المحقق للنص الحديث عن النسخ المعتمدة للتحقيق، مقارنة بما يزكى نسبة الكتاب إلى صاحبه وسلامة متنه، وتحليل صفحاته، وبيان خطبه وخطنه وهكذا.

«وتجدر بالمحقق أن يشرك القارئ، معه بأن يصف له النسخ التي عول عليها، وصفاً تفصيلاً يتناول خطها، وورقها، وحجمها، ومدادها، وتاريخها، وما

تملئه من إجازات وتعليلات، ويتناول كذلك كل ما يلقى الضوء على قيمها التاريخية، وهو لين قرن ذلك بتقديم بعض نماذج مصورة لها كان ذلك اجدر به وأولى.

وقد جرت العادة أن يصور في ذلك وجه الكتاب وبعض صفحاته، ولا سيما صفحاته الأولى والأخيرة؛ لأنها أولى الصفحات في التعبير عن تقدير المخطوطات.^(١)

إن من البسيط على القارئ معرفة كل ذلك بنفسه بعد مراجعته لعشرة كتب مثلاً تم تحقيقها بشخاص مختلفين أسلوباً ومتهاجاً، وليسوا في زمن واحد؛ ليقف السنافي على مراحل التطور بهذا المعنى الذي يرعاه محمد المخطوطات العربي بعناية خاصة، كما أن الكثيرون من أمثال الذين عاشوا شطراً كبيراً من أعمارهم في التعامل مع كتب التراث المحفوظ والمخطوطية يستطيعون أن يصنف إلى هذا العلم بعض التجارب التي لمسها عند رؤاد التحقيق الذين كانوا يتمتعون بقدر عظيم من العلم والثقافة والأمانة والموهبة والتوفيق.

خامساً: عمل الفهارس:

إن الهدف الرئيسي من الفهارس هو مساعدة القارئ في الالتفاع بالكتاب لأقصى حد ممكن، كما أن منهاج كل نص، وبخصوص الكتابة في موضوعه هي التي تفرض إضافة أنواع من الفهارس دون التقيد بالطرق العامة والمعتمدة في قهresa كل ما يمكن أن يغرس كالآيات القرآنية والأحاديث

(١) السابع من ٧٨.

الشريقة والأشعار والحكم والأمثال والاعلام المشهورة والخطب والرسائل والوصايا والخيال والبلدان والأيام والمعصيات وألغاظ المضاربة والمسطحات العلمية فضلاً عن الفهارس الخاصة بالموضوعات المبذولة في ثنايا النص، ويمكن إضافة فهارس أخرى حسب الموضوعات، ففي كتاب «الميون» تمت إضافة مهمن لأثواب الميون وفي كتاب «البيان والتبيين» أضيف مهمن للميون والبلاغة وهكذا.

أما ذرية الفهارس فيكون على حسب ما جرى به العرف العلمي، فالبداية بالقرآن الكريم ثم بالحديث الشريف، ولا يتوافق محقق مع آخر في منهاج الفهرسة إذ أنها تخضع - كما سبق للقول - إلى رؤى المحققين وطبيعة الكتاب، فما يطبع في فهرسة كتاب كالشعر والشعراء يختلف عما يطبع في فهارس ديوان لأحد الشعراء في القضية كلام كثير ومهاجم جديدة أضافها المستشرقون وأفادت البحث العلمي بدرجة كبيرة، ويستطيع القارئ أن يعرف على سائر المناهج في صناعة الفهارس من خلال مطالعته، وتعرفه بنفسه على التطبيق الحديث في بعض المحققات.

السادس: الأستدراك والتذليل:

تغير هذان الكلمتان عن قصيدة مهمة يكتبهما، وتبه إليها الأستاذ عبد السلام هارون الذي كان يحلل للبعض أن يطلق عليه (جوائز جنى التراث) قال: «ففي باب الاستدراك والتذليل الذي يلحق غالباً بنهاية الكتاب، مجال واسع لذكر ما فات محقق الكتاب أو شارجه، أو مازن فيه فكره أو تلمه، وبعض

الناشرين لا يحل هذا الأمر محله من العابرة؛ ليسدل ثواب الجلال على كتابه، فيزعم لنفسه بدركه هنا الاستدراك أن كتابه قد سلم من الخطأ فكان بذلك كالناعمة، إذ تغلى رأسها زاعمة أن أحنا أن يزاها لأنها لا غراء^(١).

إن الخطأ في معالجة النصوص أمر مشترك بين العلماء جميعاً، لا يتم ولا حوب ولكن كتمان الخطأ فيه الإثم، والتقصير في أداء الأمانة. ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل^(٢).

ولا يقتصر الاستدراك على الكتب المحققة، وإنما يشمل الدواوين الشعرية المجمعة والكتب المطبوعة بمعرفة أصحابها، فكثير من المؤلفات لا تنتهي صفحاتها ولا يطوى أغلفتها قبل أن تختتم بمجموعة من الاستدراكات التي لا تقتل من المحقق أو المؤلف، وإنما توكل مدى الحرص على الأمانة العلمية، فالكمال لله وحده، والنفوس عن التمام من خصالهن البشر.

سابعاً: الطياعة:

إن تحقيق المخطوط مقدمة ضرورية لانتقال به من هيلته التي كان عليها إلى حالة جديدة يتم فيها طبعه؛ ليسهل الالتفاق به، ويذكر نداوله، وتزداد الاستفادة منه، فالطياعة – إذن – ولادة جديدة للمخطوط خاصة إذا كان تحقيقه جيداً ومؤلفه رائد، فقيمة المحقق في إعداد الكتاب للطبع تتمثل في النقاط التي سبق الحديث عنها.

(١) تحقيق النصوص من ٩٣.

ولا ينوقف الأمر عند ذلك، وإنما لابد من العداية بعلامات الترقيم وتنظيم الفقرات والحواشي، وإثبات الفوارق بين المدن والهامش حسب منهج المحقق وموضوعات الكتاب، كما لابد من ترقيم الصفحات بالصورة الجديدة المصاحبة للطبع، والإشارة إلى أرقام الصفحات السابقة، وليراجع القارئ، شيئاً من ذلك في كتاب الأشئري لأبي الفرج «طبعة دار الكتب»، حيث أشارت إلى أرقام الصفحات في طبعة (بولاق)، وتزفيم الأسطر بحيث تكون خماسية، فيوضع الحق أو الطابع الرقم (٥) مقابل السطر الخامس، ويوضع الرقم (١٠) مقابل السطر العاشر، وهكذا، فإذا أراد القارئ «إحصاء الأسطر» فلا يدها من أولها، وإنما يكتفى بعد الأسطر التي بين الأرقام وهكذا.

ومن المهم أن ننصر المراجعة بعد بخارب الطبع حتى يعلم على كل المحقق أن عمله قد وصل إلى درجة يرضى عنها، فإذا أتم كل ذلك، واكتمل الطبع كان عليه أن يراجع الكتاب للمرة الأخيرة، ويفحص إلى صفحاته الأخيرة ما أمكن رصده من أخطاء فيذكر سوابقها تحت العنوان المشهور (تصويب الخطأ). كما يحسن أن تكون هذه المراجعة من شخص آخر يكون يقتضاها عقل عنه الحق، وحتى يمكن استدراكه في الطبعة الجديدة.

وهذه كلمة أخيرة حول القواعد العامة لتحقيق التراث أثيناها هنا، لقىاعدي بأهمية أن تربى جامعة الدول العربية من خلال معهد المخطوطات العربية تربينا عدابة خاصة بالتتعرف عليه، وجمعه، وقهرسته، وتنسق طبعه، والتعاون مع الهيئات العلمية فيسائر دول العالم من أجل الوصول إلى ما شاء منه، ويعث

الحياة فيما لم يتحقق منه، وترجمة الكثير من روائعه إلى اللغات الحية المتدالة؛ حتى تزداد معرفة الآخرين بهذا التراث الآخر.

وهذه هي القواعد العامة التي أقرتها لجنة وضع مشروع أسن تحقيق التراث العربي ومناهجه بمحمد المخطوطات العربية في عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) :

- ١ - أن يكون تحقيق التراث في أي أهمية، قادرة عليه، فلا يطال^(١) إليه من لم تكتمل أداته اللغوية والعلمية والفنية.
- ٢ - أن يبني التحقيق على مناهج منظمة وأسلوبات مرتبة.
- ٣ - أن تخضع أعمال حديثي المهد بالتحقيق للتدقيق والمراجعة، على أن يتحمل الأستاذ المراجع التبعة العلمية في ذلك كاملة.
- ٤ - أن تصرف عناية خاصة إلى التراث الطهي استجابة للحاجة المحسوبة الراغبة، وتحققًا للوارثين بين الراهنين: العلمي والأدبي.
- ٥ - أن تنشأ في العاصم العربي فروع لمحمد المخطوطات العربية، يودع في كل فرع منها نسخ من الرفقة المصورة المحفوظة في مقر المهد.
- ٦ - أقرت اللجنة أن تكون للتحقيق ثلاثة مقاصد، وأن تراعي هذه المقاصد في وضع المناهج والتوصيات:

الأول: تقديم النص صحيحاً مطابقاً للحصول العلمية.

الثاني: تحديد النص نسبةً ومادةً.

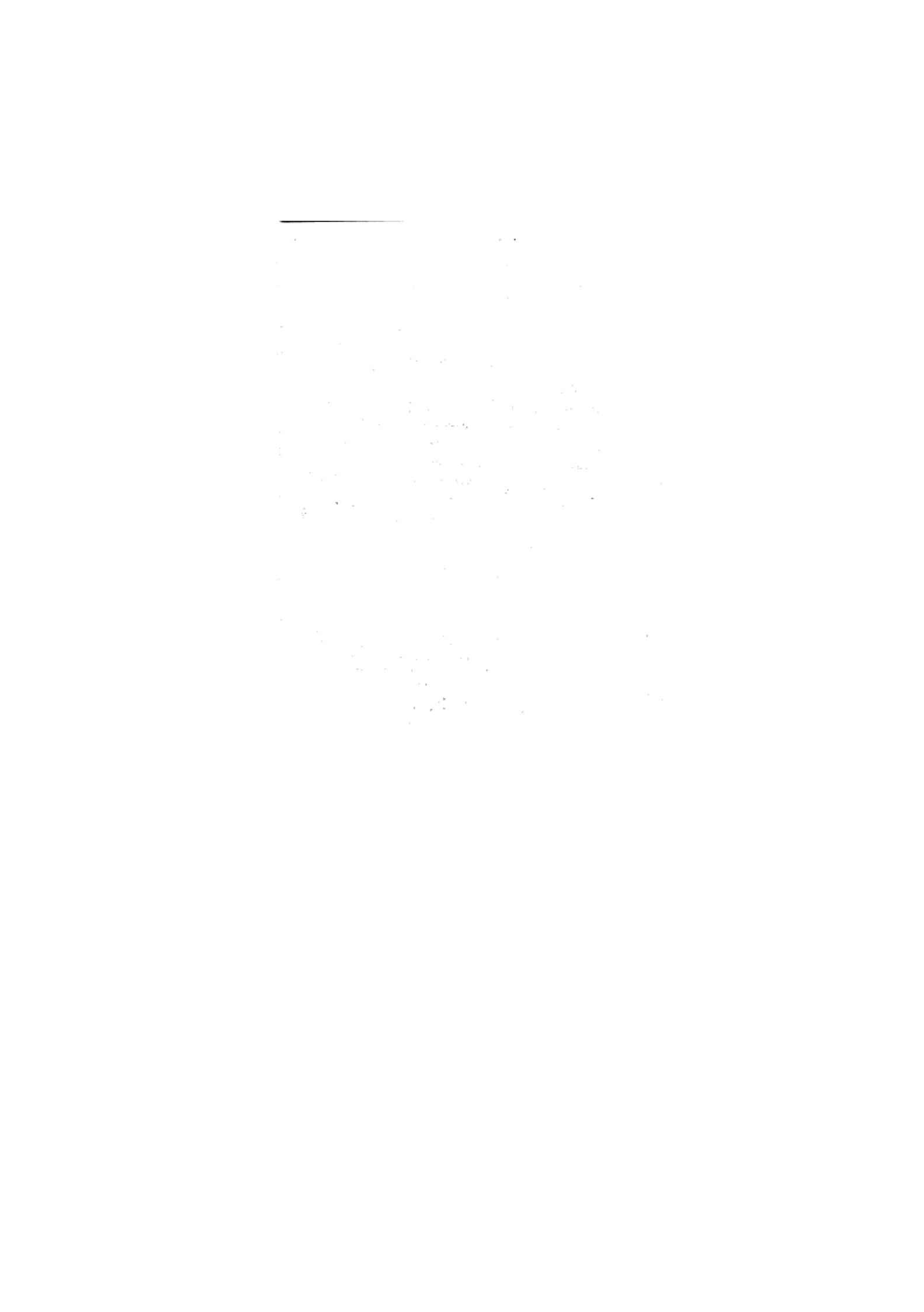
(١) أي: فلا يطال

الثالث: توسيع النص وضبطه^(١)

ويعد.. خلاداً تتفق من هذه القاعدة؟ وما الذي لم يتحقق؟ ذلك بعض ما يدور في ذهن المثقف العربي، والباحث العلمي، والأستاذ الأكاديمي، والمحقق الوعي للسحب لديه ولغته وتراثه وقومه.

إن من يطالع كتاباً محققاً مثل نوادر المخطوطات يشهد أن المحسوب العلمي والفكري من المطالعة لا يتوقف على ما أثبته المؤلفون لهذه المخطوطات المختار، وإنما يحصل على وجية ثقافية دسمة ومهلة البعض، تشهد بها عظمة هذا التراث وحب العاملين فيه لفهمتهم، ويشهد للشيء نفسه وهو يطالع ما رصده عبد السلام هارون في البيان والتبيين، وفي الحيوان وهذا للجاحظ، أو يشهد جهود محمود شاكر في طبقات قحول الشعراء للجمхи أو ما قام به أحمد شاكر في تحقيقه للشعر والشعراء ابن قتيبة ومحمد أبو الفضل إبراهيم في إخراجيه لدواوين أمرىء القيس وغيرها كثير، آه..

(١) أنس تحقق التراث العربي من ١٢ ويسقط في المدار - إن أرد أن يراجع به النهج والوصلات العامة من ١٢ وما بعدها.

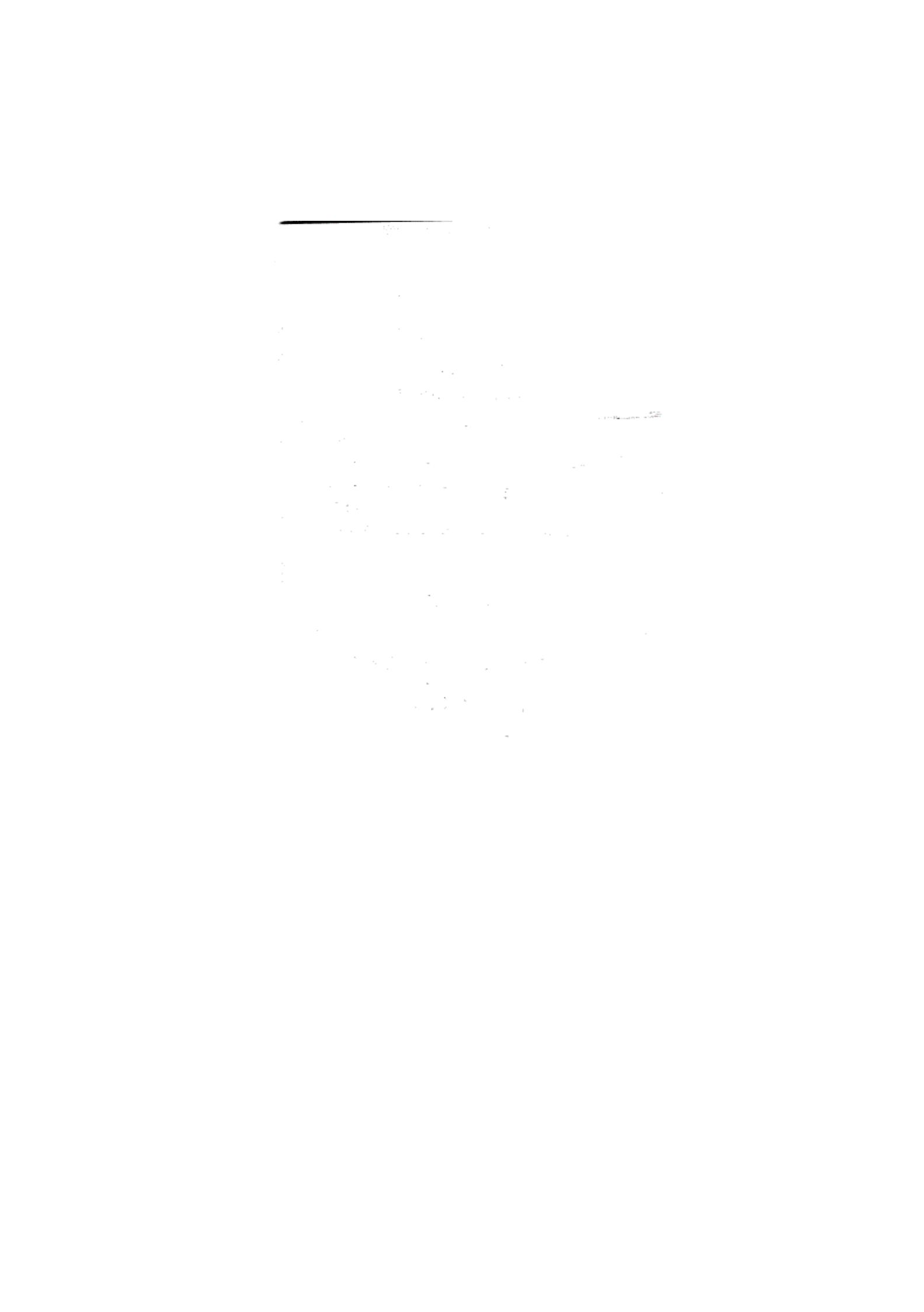




الباب الثاني قضايا وبحوث تطبيقية

- الفصل الأول: الاستشراف بين الفرع العقدي والنشاط القيمي .
الفصل الثاني: المجالات الثقافية ودورها في إثارة، التفكير وال النقد والإبداع .
الفصل الثالث: تعليم القراءة للمبتدئين .
الفصل الرابع: دور المدرسة في تنمية الجانبين الفكري والتجريبي .
الفصل الخامس: الصحف في الإيلا... النشكه والهل (دراسة تطبيقية)





الفصل الأول

الاستشراق بين الصراع العقدي والنساطة الأدبية *

الاستشراق:

الاستشراق في معناه العام: علم الشرق، أو هو علم العالم الشرقي، وفي معناه الخاص: الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغائه، وأدابه وناريه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام^(١). أو هو «انصراف بعض العلماء إلى دراسة الشرق، وأحوال دولة، وتاريخ شعوبه، وأديان أمه ولغاتها، وما لهذه الأمم من أدب وعلوم وعادات وتقاليد في خابر أيامها وحاضرها»^(٢).

والمستشرق: كما تقول دوائر المعارف عالم متتمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وأدباه. أو هو «كل عالم غربي يشغله بدراسة الشرق كله: أقصاه وواسله وأداته، في لغاته وأدابه وحضارته وأديانه»^(٣).

غير أن هذه التعريفات لا تشمل الباعث على الاستشراق، وهو ذو أهمية كبيرة في الحكم على الفكر الاستشارقي، والتعرف على ملائمه ومرتكزاته، فهو يتطلب إلى الاستشراق على أنه حقيقة ميائية في المقام الأول، لم أنه اتجاه ثقافي

* نشرت في مجلة كلية اللغة العربية بالزانق، العدد السادس عشر ١٤١٧ - ١٩٩٧ م.

(١) الاستشراق والخلفية التكورية للصراع العصاري، د/ محمود زغبي رفوق من ١٨ كتاب الآلة صفرة ١٤٠٤ هـ - مطبوع الورقة.

(٢) الأدب العربي الحديث ومدارسه: د/ محمد عبد المنعم خلاجمى من ٣٦٨ طبیع دار الطیاعة الحمدية.

(٣) الاستشراق: د/ محمود زغبي رفوق من ١٨.

ومعروف، أم أنه سلوك عقدي وهدف تنصيري؟ وهل يمثل الاستشراق الخلقية الفكرية للصراع الحضاري بين الشرق والغرب؟ ولم لا يكون الرد هنا إيجابياً خاصةً أننا نعرف جرس الأوروبيين على الاستفادة من الحضارة العربية في عصور ازدهارها بدءاً من القرن الثامن الميلادي، وما صبّه من تحولات في العد الإسلامي إلى الغرب، وإلى أقصى الشرق أيضاً.

ولقد تناقضت الآراء حول الاستشراق في العالم العربي بخاصة، فالبعض يؤيد إلى أقصى حد، والبعض يرفضه جملة وتفصيلاً.

أما الذين تحمسوا له فكانت نظرائهم مشغولة بما قام به بعض المستشرقين من جهود طيبة في مجال اللغة وأدابها من تحقيق التراث وفهمه للمخطوطات، وتأليف لكتب ومعالجة لقصصها الأدبية التي شغل الناس بها آرماناً طويلة، ومن تدرّيس في التعليم الجامعي، ومن نشاط مجتمعي إلى غير ذلك من جهود وأفعال.

أما الذين رفضوه، وهم الأغلبية، فلأن كثيراً من دراسات المستشرقين في مجال الإسلام تهدف بقصد ودون قصد أحياناً - إلى طمس معالم هويتنا الإسلامية، والإساءة إلى عقيدتنا الدينية، وأن أكثر المستشرقين لم يستطعوا التحرر من أفكارهم السابقة التي يطبّق عليها اطلاع الطفاني، كما أنهم لم يتخروا عن أهدافهم التنصيرية والاستعمارية عند دراستهم لعلوم الشرق ولذاته وأدابه وعقائده.

أهداف الاستشراق:

يمثل الاستشراق واحدة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب في الألف سنة الأخيرة، وإن نوع هذا الصراع حسب الظروف المحيطة به، فنراه مرة صراعاً عقدياً، ومرة صراعاً عسكرياً، وفي أخرى صراعاً فكرياً، وتبعاً لذلك تعددت أهداف الاستشراق على النحو التالي:

١ - الهدف الديني:

بعد الهدف الديني ألم يابعه لنشأة الاستشراق، ثم تكاثر الأهداف الأخرى؟ لتحقيق مطامع الدول الغربية، وقد انتصراً لهذا الهدف إبان الحروب الصليبية وبعدها، إلى أن ظهرت حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر بأوروبا، فهدأت ثورة الحقد والكرامة عن ذي قبل، وظهرت موجة جديدة من الاعتدال فيما يكتبه بعض المستشرقين، وليس معنى ذلك أن الياущ الدين قد أنهى دوره... كلاً فقد ظل رجال الكنيسة (الكلاروبيك) متزعمين لحركة التبشير حتى القرن الثامن عشر الميلادي، وكثروا تدخلاتهم في شؤون البلاد الإسلامية من خلال الجماعة الاستعمارية التي عاشوا تحت لوائها.

أما حركة العداء التي قام بها الأسبان ضد المسلمين فكانت أعنف ما شهدته التاريخ الإنساني من أساليب التحصّب الديني، كإكراه المسلمين على التنصير وترك الإسلام، وحرق الكتب، وحرق الشعائر الإسلامية، ومنع استعمال اللغة العربية إلى غير ذلك من التحصّب الديني البغيض، وقد كان هدف الرهبان أن يبتعدوا لتشعيبهم أن الإسلام «دين لا يسحق الانشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء بذتهم على

البلات الجسدية، ويعدهم عن كل سير روحي وخلق^(١)، وكان الهدف من هذا الهجوم صرف الأوروبيين عن عقائدهم وكنيتهم المقدسة.

وقد حرص كثيرون من المستشرقين من عملها في خدمة التنصير على توهين القيم الإسلامية، وبث الفرق بين الشعب الإسلامي والعرب.

ولم تكون محاولاتهم مباشرة في الدعوة إلى المسيحية، وإنما عن الإسلام بل كان أسلوبهم موجهاً إلى تشويه هذا الدين بكل الوسائل المعاصرة لهم حتى تتسع رغبة العالم المسيحي بعد ذلك.

٢ - الهدف الاستعماري:

بعد أن نهت الحروب الصليبية التي كانت دينية في ظاهرها، استعمارية في باطنها، والدول الأوروبية تسعى جاهدة لاحتلال العالم الإسلامي، إلى أن تم له ذلك في أواخر القرن الناسع عشر.

ولاشك في أن هذه الدول قد أستعانت بجهود المستشرقين، وسخراهم لخدمة أغراض الاستعمار.

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمة الله: «ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دواعي تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نوسينا، وبث الرهن والإرباك في تفكيرنا، وذلك عن طريق التشكيك بقادرة ما في أيدينا من ثبات، وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فتفقد اللغة بأنفسنا، وذرني في أحضان الغرب نستجدى منه المقاريس الأخلاقية والمجاذيف العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خصوتنا لحضارتهم وتقالفهم خصوحا لا تقوم لنا من بعده قائلة»^(٢).

(١) الاستشراق وأمستشرقون: د/ مصطفى السباعي من ٦٧، طبع الكتاب الإسلامي بـ٣٠٠٠ درهما.

(٢) السابق من ١٧

ومن مستشرقين الذين انحرفوا عن أخلاقيات الباحث إلى الأهواء الاستعمارية المستشرق الإنجليزي (بالمر) ، (١٨٤٠ - ١٨٨٢ م) الذي كان في هبة الاستكشاف في فلسطين، وارزاد صحراء بيتنا، وسافر إلى لبنان ودمشق وإستانبول، والمستشرق الألماني (بيكر)، (١٨٧٦ - ١٩٣٣) الذي اشتغل بمسلسل السياسة الشرقية، والمستشرق الإيطالي (روسي)، (١٨٩٤ - ١٩٥٥ م) الذي سافر إلى ليبيا ضمن الجيش الإيطالي، وتعلم اللغة العربية، وأسهم في تحرير مجلة (الشرق الحديث) التي كانت تهتم بأحوال العالم الإسلامي^(١) ، وغيرهم كثيرون.

وليس معنى ذلك أن كل المستشرقين قد انحرفوا في حماة الاستعمار الغربي فإن منهم من تحلى عن التعصي السياسية كالمستشرق المجري عبد لكريمة جرمانيوس (١٨٨٤ م - ...) والمستشرق الإيطالي (روسيتي) (١٨٢٧ - ١٩١٢ م) والمستشرق الفرنسي (ماس)، (١٨٨٦ - ١٩٦٩) وغيرهم. ولقد أحضرت بعض المؤلفات^(٢) أسماء المستشرقين الذين انجهوا في بعض أنشطتهم إلى السياسة والاستعمار مع التفاوت بطبيعة الحال في هذه الأنشطة ووصلت بأعذارهم إلى ما فوق المائة، وهو عدد لا يمتها به حتى لو لم تظهر السمعة السياسية لبعضهم، لأنها لم تكن في خدمة الاستعمار بطريقة مباشرة.

(١) انظر الكتاب، (مستشرقون) لشيران عثمان من طبع دار راس، جدة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) السابق من ٥٥ وما يليها.

ولننظر إلى حملة تابليون، وما صاحبته من المستشرقين، ولننظر أيضاً إلى ما قيل عن «ابن»^(١) ، الذي لم يكن يتخذ قراراً فيما يخص الشرق الأوسط إلا بعد الرجوع إلى عدد من المستشرقين، على أن دور هذه الطائفة يمثل أهمية كبيرة، لدى رجال الحرب المستعمرات، إذ يهمهم أن يتعرفوا على طبيعة البلاد التي سيحتلها، وفهم عقلية شعوبها وعاداتها وتقاليدها، قبل أن يدخلوها مستعمرات ومستعدين.

٣ - الهدف العلمي:

يمثل الهدف العلمي بعضاً من جوانب الصورة المقوولة عند المستشرقين، فقد نهض فريق منهم بتقديم الدراسات المطلوبة عن الحضارة القديمة، ونشط آخرون في تجميع المخطوطات العربية والإسلامية - بصرف النظر عن الوسيلة - وقاموا بنشرها، ووضع الفهارس لها.

وقام آخرون بالمشاركة في التدريس الجامعي ببعض البلدان الشرقية، وعقد المؤتمرات العلمية عن الاستشراق، وكتابة الدراسات المطلوبة حول اللغة العربية وأدبها، وتأليف العديد من الكتب في التاريخ الأدبي، كما شارك عدد كبير منهم في الأنشطة الجمعوية مثل المستشرق الأنجلو أمريكي جوب Gibb، مدير مركز دراسات الشرق الأوسط، والمستشرق الإيطالي «كارلو نيليدو»، (١٨٧٢م - ١٩٣٨م) والمستشرق الإنجليزي تالفید صمويل مرجليوث. على أن الهدف العلمي لم يكن قد ينبع فقط الاستشراق، ولا يمكن أن يرجع في بدايته على أقصى تقدير إلى القرن السادس عشر الميلادي.

(١) ابن هو وزير الحرب البريطاني، والذي صار بعد ذلك رئيساً للوزراء.

غير أن هنا قد ظهر في آن صورة مع منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وهي المرحلة التي بلغ فيها صنعف البلدان الإسلامية والعربية حداً كبيراً، وكانت بطبيعة الحال هدفاً للأطماع الاستعمارية.

لم يكن هذا يابع المصلح في درجة واحدة عند المستشرقين الذين نشطوا في بحوثهم ومحاضراتهم ومؤلفاتهم العلمية، حيث وجد نفر منهم تخاشوا الدين والتجريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلىمنهج المنهج العلمي المسلمين من أصحاب الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل إن منهم من اهتمى إلى الإسلام وأمن برجاله^(١).

إن هذه الفئة المنصصة لا يتيسر لها السير على هنا المنهج إلا حين يكون لها من الموارد المالية، وما يمكنها من متابعة بحوثها الاستشرافية بعدل وإنصاف، لأن مثل هذه البحوث لا ظلق رواجا عند رجال الدين ورجال السياسة وعامة الباحثين، وهي لذلك لا تدر عليهم رحما ولا يعند علها كمورد مهول للبحوث والمؤلفات.

٤ - أهداف أخرى:
سبق أن ذكرنا ثلاثة أهداف للاستشراق، وهي على أهميتها لا تشكل مجموع الدوافع الاستشرافية، فهناك بعض الأهداف الأخرى مثل الهدف التجاري الذي يمثل رغبة الأوروبيين في ترويج بصناعتهم، وشراء الموارد من البلاد الإسلامية بأبخس الأثمان، وربما يعود هذا الهدف التجاري إلى المستشرق نفسه الذي يروج أبحاثه ومؤلفاته في العالم الإسلامي.

(١) الاستشراق والمستشرقون لمصطفى المباعي ص ١٩.

ونؤكد على تشارب أقوال العرب والمسلمين خلال مواقفهم من الاستشراق، كمظهر من مظاهر الصراع الحضاري بين الأمم والشعوب، فكثير من الكتاب يعمون في أحکامهم على المستشرقين، ويقولون إنهم أعداء للإسلام، وحاقدون له، وحاذرون عليه، وعلى التقيين من ذلك تماماً ما نقرأه لبعض الأعلام العرب المشهورين الذين وحدون كل صدیع المستشرقين، ويعيذون النهاية للغرب في مناهج الفكر وأساليب التطور.

وليس وجهاًتنا متفقة مع أحد الفريقين، بل إنها كما قلت تقر بأن المستشرقين ليسوا سواء.

إن التواصل بين الأمم والشعوب، وتبادل الخبرات والمعارف هدف نبيل، واتجاه حميد، فلا يخفى علينا أن التواصل بين الإغريق والروماني في الغرب القديمة، بما في هذا الدلالي بين تأثير وتأثر في جوانب متعددة من الآداب والفنون والعلوم واللغات.

كما أنت لا تنسى ما أحدثته حركة الترجمة في العصر العباسى من تأثير على اللغة والأدب، إذ استفاد العرب بالنشاط للفكري لدى الإغريق والهند والغرس والصين، وجعل أقرب الأمثلة على ذلك كتاب كليلة ودمنة بليبيا وكتاباً لرسمر «فن الشعر» و«فن النثر»، ولكن هذا الاتصال يصير مفترقاً بدرجة كبيرة جداً لـ صحبته نظرة استعلائية، أو أهداف تصويرية بعيدة - بالطبع - عن روح العلم وحقيقة البحث.

وعندما نجلس إلى طلابنا في قاعات الدرس، ونحدثهم عن أساطير النهضة الأدبية الحديثة نذكر منها جهود المستشرقين في دراسة اللغة والأدب، وإرساء تاريخ المصور الأدبية التي تسير عليها كليات الآداب واللغة العربية والتربية في الجامعات العربية، ثم إذا حدثناهم عن ظهور بعض الفنون الأدبية كالمسرحية مثلاً فلنا لهم: إن هذا الشكل الأدبي أوربي المولد، وقد نقل إلينا في مرحلة زمنية معينة، ثم تستمع إليهم وهو يتساءلون: هل قام المستشرقون بكل ذلك؟ فنقول لهم: نعم، وبأكثر من ذلك.

ويردفون بعد ذلك قائلين: إذن لماذا بهاجم المستشرقون في الكتب التي أرخت للانسياق، أو تحدثت عن الغزو الفكري وحملات التعریف وغيرها مما تناول الصراع بين الشرق والغرب؟ فنقول لهم: إن المستشرقون ليسوا سواء.

قطاعقة منهم: «انتصت الإسلام وكانته ونبيه، وتحدثت عن ذلك كله بصدق وإنفاعة»^(١).

أما الطائفة الثانية فمسئولة بالحق والكلراهي على الإسلام والمسلمين، وهذه أكبر عدداً، وأمكن تقويتها وأكثر اتصالاً بحملات التنصير والاستعمار حيث كانت دراساتهم في القالب موجهة لأغراض معاينة، وأهداف خبيثة، كإشمار العرب والمسلمين بالذلة والتبعية، وفقدان القدرة على الانتصار، والنظر إلى القضايا نظرة كلية عامة، وأسلوبهم في كل ذلك استعداد العرب والمسلمين لهذا الغزو

(١) جريدة الشرق الأوسط قي ٢٢/٨/١٤٠٧ - ٢٠/١٩٨٧م من كتاب للأستاذ/ أحمد محمد جمال.

كنتيجة طبيعية لحياة الصنف والرائد الذي سمع أشعارهم عشرات السنين ولها
لابد أن ننطلق في دراستنا لأعمال المستشرقين من خلال الآية الكريمة التي
تقول: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا بِأَلْبَانَ تَبَعُّ دِيَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىَ هُدَىُ اللَّهِ﴾^(١).

كما أنه لا ينفي أن تهمل ما كتبه المستشرقون وتلاميذهم من نصاري
العرب، فلابد أن نتعامل مع هذه الكتابات بوعي وحذر شديدين، فما كان منها
صالحاً ومحظياً لل المسلمين والإسلام أثمنا به، وتحذينا عنه، وقحضا له صحفنا
ومجلاتنا إذ أن مثل هذه الكتابات - إذا تحقق فيها الصدق والالتزام - يمكن أن
تخدم الإسلام ولغة العربية والأدب بأكثر مما تخدمه كتابات الكثيرون من
علماء الإسلام. وأظن أنأغلب الذين لا يعرّفون شيئاً عن ديننا إلا أنه يقيم
الحدود من قصاص وقطع وغيرها، هؤلاء يمكن أن يكون افتقارهم به كبيراً
فراءه مكتوب بالقلام هؤلاء المستشرقين.

ونعود إلى الجانب الثاني من كتابة المستشرقين التي تنظر بالحد
والكرامة، والعداء الشديد للإسلام، وهذه ذات خطر كبير على الدِّين الإسلامي
بالشرق والغرب على السواء، كما لا ينفي أن نخضع بلون آخر من هنا، حيث
يبدو الإنصاف في ظاهر المعلجية الفكريّة ويختفي في ثوابها لسم القاتل، ولذلك
لابد من البقحة الثانية لكل ما يكتبه هؤلاء، وبخاصة ما اتصل منها بالدولتين
الاستعمارية، والمعارك التصريحية في شبي بذلك الغرب.

(١) سورة آل عمران (٣٢).

بدايات الاستشراق:

لا يتفق الدارسون للاستشراق حول بدایته ونثّاته، فيذكر البعض أنه بدأ في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، حيث تجسّدت الأطّماع الأوروبيّة في العالم الإسلامي، وما صاحب ذلك من منعف في دول المشرق، وكانت الحملة الفرنسية على مصر والشام من مظاهر هذه الأطّماع، وتأنّك ذلك معن جاء مع الحملة من مستشرقين قاموا بدراسات مختلفة ومتعدّلة في اللغة والتاريخ والحضارة والفكـر.

ويرجع البعض بتاريخ الاستشراق إلى ما قبل القرن العاشر، لأنّه «من المؤكّد أن بعض الرهبان الغربيّين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها، وتنقّلوا في مدارسها، وزرّحـوا القرآن والكتب العربيّة إلى لغائهم، وتلقّلـوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات... ومن أوائل هؤلاء الرهبان، الراهب الفرنسي جيربرت Jerbert، الذي انتخب بابا للكنيسة روما عام ٩٩٩ بعد تعلمه في معاهد الأندلس، وعودته إلى بلاده...»^(١) ويقول البعض: إن الاستشراق بدأ في الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادي، حين اشتُدّت حملة الصليبيّين الأنجلوـيين على المسلمين، فدعا «ألفونس، ملك قشتالة» ميشيل سكوت، ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضارتهم فجمع «سكوت» طائفة من الرهبان في إحدى الأديرة، وشرّوا في ترجمة بعض الكتب من اللغة العربيّة إلى لغة الفرنجـية، ثم أذْهمـها سكوت، لملك صقلية الذي أمر باستئصال نسخ منها، وبعث بها هدية إلى جامعة باريس^(٢).

(١) الاستشراق والمستشرقون المسلمون النباعي من ٧٤١٢.

(٢) أسلوب التزوـر الفكري: على جريـلة وأخـر من ١٨ دار الاعتصـام بالقـاهرة.

وفي ضوء ما سبق، ومن خلال التعرف على تاريخ الصراع بين الغرب والشرق تستطيع أن تتفق على جذور الاستشراق وبنابه الأولى إلى أن ظهر بصورته المعروفة في القرن العشرين

المرحلة الأولى:

يمكن أن تبدأ هذه المرحلة في القرن (الثاني الهجري) وتحتاج إلى آثار القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) عند انتهاء الحروب الصليبية^(١) حيث زاد العداء بين الغرب والشرق، عندما امتدت موجة الإسلام إلى أسيانها، وافتتحت من الدولة الرومانية أقصى ممتلكاتها في البلاد الشرقية، ثم كانت الحروب الصليبية أكبر تكبة للنصارى وال المسلمين على السواحل، كما افتتح الغربيون في نهايتها على أن الحروب المسلاحة لا تعود على المسيحية بشيء، فلذلك تغيرت أساليبهم مع انتفاضة تيران هذه الحروب.

ولا شك في أن انتشار الإسلام في القرن الأولى قد أدخل رجال الالهوت للنصارى، ففيما يتعلمون على هذا الدين، واهتموا بدراساته، ثم زاد حرصهم على معرفته بعد أن أخذت الحضارة الإسلامية تشع بنورها على أجزاء كثيرة من العالم، في الوقت الذي كان فيه الغربيون يقطنون في نوم عميق، ويعيشون في جهالات القرون الوسطى، وإن لم يتوقف النشاط الكنسي عن تتبع الإسلام ودراسة أسرار قرنه، والتعرف على مظاهر عظمته، فكان أن تخاوب بعض العرب النصارى مع رجال الالهوت، وقدموا لهم بعض مستنقائهم حول هذا

(١) ي بدأت الحروب الصليبية عام ١٢٥٧ - ١٣٩٠ م وانتهت في ١٢٦٠ - ١٤٥٣ م.

الدين الجديد، ومن هؤلاء الرجال العالم التنصري بيوننا الدمشقي (٦٧٦م - ٧٤٩م) الذي قدم للنصارى الغرب كتابه (محاورة مع مسلم) وكتابه (إرشادات النصارى في جدل المسلمين)، وربما كان هذا النصارى من أوائل الذين حملوا رياض التصوف في مرحلة متقدمة من عمر الصراع بين الشرق والغرب، وإن كانت دراسته لا تدخل في صميم الاستشراق؛ لأن الرجل من أهل الشرق، وقد عاش في أحصان الدولة الأموية، ولكن نشاطه في الدس على الإسلام يؤكد عنابة رجال الكنيسة الغربية بتأديبهم من نصارى العرب، وكان هؤلاء دائماً أكبر عن للمستشرقين في التغلغل داخل الدائرة العربية، والتي حرص العثمانيون الأتراك - فيما بعد - على إغلاقها في وجه الاتصالات الأوروبية.

إن هذه المرحلة لا تظهر فيها الاملاع الدراسات الاستشرافية كاملة، وإن كانت تعد حلقة من حلقات الصراع الفكري بين الغرب والشرق، الذي تمحض عليه الصراع الدموي إبان الغزوات الصليبية، وإن ظهرت بعض الاملاع التي يمكن أن تطلق عليها اسم الاستشراق السلمي أو غير الرسمي حيث حرص الأوروبيون على الاستفادة من الحضارة الإسلامية بشتى الطرق؛ ففي سنة ١١٣٠م لفتت في طليطلة مدرسة للترجمة تولاها الأسقف «ريمون»، أخذت تنقل جلالات الأسفار العربية إلى اللاتينية، وعاثم على ذلك اليهود، فيبعثت هذه الترجمة في أوروبا الخامدة شعراً لمطيناً وروحاً طيبة^(١).

(١) تاريخ الأدب العربي: أحمد حسن الزيات من ٢٥، طبع دار البحوث العلمية بكليريت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠.

وأعقب ذلك بوقت قصير ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية لأول مرة عام (١١٤٣م) ثم تلاها ظهور بعض الكتب الاستشرافية حول الرسول عليه صلی الله علیه وسلم وبعض صحابته، بهدف الطعن في الإسلام، وجنب المسلمين إلى التنصيرية. وهكذا اختلف الصراع بين الشرق والغرب في آخر هذه المرحلة عن الصراع الذي بدأ به.

المرحلة الثانية:

تمتد هذه المرحلة من بداية القرن الرابع عشر (أي بعد نهاية الغزو المسلمين للشام) إلى نهاية القرن الثامن عشر (حيث كانت الحملة الفرنسية على مصر والشام)، وقد تميز الصراع في هذه المقدمة بالعداء الشديد بين الغرب والشرق، وأسلهم في ذلك العداء ما مني به حملة الصليب من فشل والكسار في تلك الغزوات التي استمرت قرابة المائتين عام، ولذلك لجأوا إلى أسلوب آخر أطلق عليه البعض اسم الغزو الفكري.

وقد كشف الاستشراف في هذه المدة عن وجهه منذ أن أصدر مجمع (فيينا) قراره في عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية.^(١)

وهكذا لم يقتصر النشاط الاستشرافي على الدين الإسلامي - كما كان من قبل - بل شمل في هذه المقدمة لغة العربية وعلومها، وإن كان الهدف الأول من تعلمها هو تخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين، ويردون عليهم

(١) الاستشراف: د/ محمود محمد زغروق.

ببراهين من الكتب الإسلامية، كذلك لتحقيق الكتاب المقدس، ولتدريب أدباء ي打交道ون بالعربية للقيام على خدمة الحجاج من أصقاع العالم في الأرض المقدسة^(١).

ثم توسيع عناية الأوربيين باللغة العربية والعادات الاجتماعية للناطقين بها، وسخروا لذلك جماعة من المتخصصين الذين يقدرون على معرفة الحالة التي عليها أهل الشرق المسلمين، وقد تأكّلت هذه العناية بعد فتح السلطان محمد الثاني (المالقب بالفاتح) للقدسية عام ١٤٥٣ (٢٠٥٧).

ولاشك في أن خطط الأوربيين قد تغيرت إبان هذه المرحلة حيث زاد حرصهم على تعلم علوم المسلمين، ليتمكنوا من إحكام السيطرة التكريبة عليهم، وقد سعى إلى هذه السيطرة بعد انتشار علمات المصور الوسطي عن العرب وبداية عصر النهضة في القرن الخامس عشر، وظهور حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر، وصاحب ذلك تقهقر المسلمين بالأندلس، ولقد نشط المستشرقون في القرن السابع عشر في جمع المخطوطات الإسلامية بشتى الطرق، بينما كان ظهور حركة الإصلاح الديني لدى الغرب قسرة سائحة أمام بعض العقلاة الغربيين، لكن يقفوا على حقيقة الظلم والإجحاف الذي تلقاه الإسلام من نصارى الغرب في القرون الوسطى^(٢). وإنما كان الاستشراق يختلف باختلاف بوعيه وأسلوبه، فإن ذلك القرن يمكن أن يكون بناية الاستشراق في مجال تاريخ الأدب العربي؛ لما تحقق فيه

(١) أضواء على الاستشراق: د/ محمد عبد الفتاح من ٢٥ - ٦٠١١ - ١٩٨٠ .
(٢) انظر ما كتبه د/ زغوى في كتابه الاستشراق، بالتعريف ببعض ما كتبه هؤلاء المتخصصون.

من منجزات نهاية اللغة العربية سواء من ناحية طباعة الكتب العربية، أو من ناحية إنشاء بعض الكراسي للغة العربية في أماكن مختلفة.

وشهد القرن الثامن عشر ركوداً للبحث العلمي لدى المسلمين لأسباب عديدة، ربما يكون منها سitar العزلة الذي فرضته الدولة العثمانية على رعاياها آنذاك، وبذلك حرموا من الاستفادة بقدام مناجح البحث العلمي عند الأوروبيين، ثم تطرق الصحف والمؤتمرون إلى هذه الدولة مع نهاية القرن المذكور حتى مطلع فيها الأوروبيون الذين استقadero وقبها بالتقدير العلمي الذي انتشار في كثير من البلدان الأوروبية، ولم تكن الحملة الفرنسية على مصر والشام إلا مظهراً من مظاهر الأضياع الغربية، كما ظهر في نهاية هذا القرن مصطلح (مستشرق) Orientaliste على أن الدراسات الإسلامية والعربية قد سقطت هذا القرن الذي ظهر فيه هذا المصطلح لأول مرة، أما من أثر لامسحراق ببداية القرن التاسع عشر فقد يبني وجهته على أساس ظهور مصطلح مستشرق، وإدراج «مفهوم الاستشرق،» "Orientalism" في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٦م^(١).

المرحلة الثالثة:

تبدأ هذه المرحلة في أوائل القرن التاسع عشر حتى الآن، حيث بلغ فيها النشاط الاستشرافي حداً كبيراً، وزارت كبرى اللغات العربية في الجامعات الأوروبية، وكانت بالنسبة لعدد المستشرقين، ولم تعد أنشطتهم محصورة على الإسلام واللغة، بل تجاوزتها إلى التاريخ والجغرافيا والفلسفة والفن العربي والحضارة الإسلامية والحياة الاجتماعية.

(١) الاستشرق: د. محمود زقزوق: من ٢٠ ومن ٢١.

وتوارد المستشرقون على بلاد الشرق للتعرف بأنفسهم على هذه البلدان، والتغرب من علمائها وشعوبها، وعندما نقرأ كتاب (المستشرقون) لنجيب العفيفي سوف نعجب لهذا الكم الهائل من المعلومات التي استولى عليها الأوروبيون من العرب والمسلمين، ونقلوها إلى مكتبات بلداتهم، وتعاملوا معها بعذابة وحرس، وعقدوا لها القهارين المطلولة، كما أسمهم في جمع الخطوطات النادرة عدد من (تفاصيل) الدول الأوروبية في بلدان العالم الإسلامي، مما يؤكد تكاليف الجهد بين الاستشراق والاسعفار في الوقت الذي تخنس فيه الاستشراق من نفوذ اللاهوت، وتشكل كعلم قائم بنفسه، ولذلك زاد عدد المستشرقين الذين تحدثوا عن الإسلام بجرأة وإنصاف عن ذي قبل.

إن تحول كثير من المستشرقين إلى دراسة اللغة العربية وفهمها مع
أحوالها السامية، فيما صحيحاً صاحبه المتعاطف من بعض التراثيين إلى المقاومة
بدراسات الاستشراق حول اللغة العربية بخاصة، وهذا هو السبب الذي يظل من
أهم المستشرقون العاملون في تصعيد اللجوء بمناي عن هموم الرأي العام

(١) السابق: ص ٣٩.

العربي الإسلامي في أيامنا هذه، بينما ينهم المستشرقون العاملون في صعيد الدراسات الإسلامية بسوء النية في أحوال ليست بالنادرة»^(١).

ولقد ظهرت الشخصيات في القرن التاسع عشر بين المستشرقين، فبعضهم اتجه نحو الدراسات الإسلامية كما جمع بعضهم - مثل ثولتك، وقلهارز بين الدراسات الإسلامية والعربية..، بينما تخصص دى سلسي وغيره في اللغة العربية والأدب، وحرص الأوروبيون على زيارة الشاطئ الاستوائي، وذلك بإنشاء الجمعيات التي تتابع هذا النشاط، وأصدروا النشرات والمطبوعات والمجلات التي تبرز جهود المستشرقين، وقد شهد القرن التاسع عشر أيضاً بنادياً للمؤتمرات الدولية للمستشرقين وقد أثاحت هذه المؤتمرات للمستشرقين في كل مكان الفرصة لزيادة التنسيق، وتقويق أواصر التعاون، والتعرف بصورة مباشرة على أعمال بعضهم، وتجنب ازدواج العمل هرماناً على تجميع الجهود، وعدم تبديدها في أعمال مكررة»^(٢).

وعدد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣ م، ثم توالى عقد المؤتمرات فيما بعد. وأنشأ الأوروبيون العديد من المؤسسات التعليمية في البلدان الإسلامية والعربية؛ لترجمة التعليم في هذه البلاد، ولخدمة الأغراض الاستشراقية والاستعمارية فيها، مثل الجامعة الموسوعية والجامعة الأمريكية في لبنان، والجامعة الأمريكية بالقاهرة والجامعة الأمريكية بباسيلوبول، والكلية الفرنسية في لاهور، وكليية غوردون بالخرطون^(٣).

(١) السابق من ٤٠ نقلًا عن المستشرق بارتر.

(٢) السابق: من ٢٢.

(٣) غوردون مهابط الجليزى قتل بالسودان أثناء الثورة المهدية عام ١٨٨٥ م.

وعندما أنشئت بعض الجامعات العربية والإسلامية شارك فيها المستشرفون بالمحاضرات والتدريس في اللغات والأدب الإسلامي، ووصلت أعدادهم حسب بعض الإحصائيات^(١) إلى ثلاثة وخمسين مستشففاً نهضوا جميعاً بالتدريس في الجامعات والمعاهد العلمية بالمغرب والجزائر وتونس ومصر ولبنان وسوريا، وغيرها من البلدان العربية والإسلامية، ولم يعكر هؤلاء المستشرفون على اختلاف جنسياتهم على التدريس والمحاضرات - بطبيعة الحال - بل توسيع آنشطتهم إلى السياسة والتنصير، وإلى الجاسوسية أحياناً.

وعندما أنشئت المجمع اللغوي في سوريا ومصر والعراق شارك فيها المستشرفون بمعارفهم وجهودهم في التأليف والبحث ، ويبلغ عدد المستشرفون بمجمع دمشق سنة وسبعين فرداً، وكانوا يمثلون نصف الأعضاء تقريباً بينما بلغ عددهم بالمجمع اللغوي بالقاهرة سبعة عشر عضواً، وجمع بعضهم بين عضوية المجمعين مثل «بلشير» و«هاملر جب»، وكارل

ـ "Nallino"ـ .

(١) فظر: كتاب «مستشرفون»، تأثير حمدان من ١٢٠ وما بعدها.

أثر المستشرقين في الدراسات العربية:

١ - جهود المستشرقين في جمع التراث العربي وتأثيره:

عندما نتحدث عن تراثنا العربي نحزن كثيراً لما صنع وتلف من هذا التراث، إذ لم تكن إغارة المستشرقين على مخطوطاتنا القديمة إلا حلقة من حلقات السطو الفكري والحضاري في مرحلة من عمر الزمن، وتساءل عن كم هذا التراث فلا تجد إجابة شافية، فمن ذا الذي يستطيع أن يحصي ما حرقه الصليبيون في حملاتهم على البلدان العربية؟ ومن يعرف على وجه التحديد بما يكتبه بذلة من تخريب إبان الهجوم التتر؟ إلى غير ذلك من حلقات الإبادة الملعونة، وتبعد عن المخطوطات التي سلمت من الحرق والإتلاف فتجدها موزعة على معظم دول العالم، وأوست قواصرة على البلدان الأوروبية فقط.

ومما يوحي له أن هذه المخطوطات التي نهيت وجئت إلى كثير من بلدان العالم العربي وخاصة قد هربت لها الملاحة والعتبة بدرجة تفوق ما عليه حال المخطوطات التي بقيت في دهاليز المكتبات العربية. لقد كان المستشرقون أول وأكثر من أخذت بهذه المخطوطات،وها نحن نذكر لك بعض طرقهم في جمعها... وكان بعض المكان في أوروبا يفرضون على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تحضر منها بعض المخطوطات، وقد ساعد الفيش الهائل من المخطوطات الموجودة من الشرق على تسهيل مهمة الدراسات العربية في أوروبا وتنشيطها^(١).

(١) الاستشراق د/ زفروق من ٦١.

ولجأت الجهات المعنية هناك إلى العديد من الوسائل منها إرسال المبعوثين لشراء المخطوطات من الشرق حتى وصلت أعدادها في الدول الأوروبية إلى مئات الآلاف، على أن انتقال هذه المخطوطات إلى أوروبا – بالطرق المشروعة وغير المشروعة .. وقد هيأ لها أحدث وسائل الحفظ والعناية الفائقة والاهرمة الدقيقة، وعندما أقول هناأشعر بالأسى والحسرة لحال المخطوطات النادرة في كثير من بلادنا العربية والإسلامية، وما آل إليه حال الكثير منها من التلف والتآكل ، وصورية أو استحالة الاستقادة منها^(١).

لقد جمع المستشرقون هذا التراث، وعملوا على حفظه وصيانته، ويسروا سبل الاتصال به، وأصدروا له الفهارس العلمية الشافية، التي «تصف المخطوط وصفاً دقیقاً، وتشير إلى ما يتضمنه من موضوعات، وتذكر اسم المؤلف، وتاريخ مولاده، ووفاته، وتاريخ تأليف الكتاب أو نسخه ..»^(٢)

ونضرب مثلاً على ذلك بما قام به المستشرق الألماني (أوارد) من وضع الفهارس للمخطوطات العربية في مكتبة برلين في عشرة مجلدات جمع فيها عشرة آلاف مخطوط.

ولم تترافق مجدهما عند حد الجمع والفهرسة، بل تجاوزتهما إلى تحقيق المخطوطات ونشرها لكثير الإفادة منها، وصار منهجهما على أساس المعاونة بين النسخ، وتسجيل ما بينها من فروق، وترجيح ما حسنه صحيحاً، وأعدوا فهارس

(١) السابق من ٧٧.

(٢) السابق من ٦٦.

للموضوعات والأعلام، وجعلوها في آخر الكتب، وقاموا أحياناً بشرح بعض المؤلفات، ونقدم هنا بعضنا من أسماء الكتب التي نشروها، وإن لم يتسن لنا حصر كل ما تم نشره، ولا معرفة نسبة منشوراتهم من الكتب التي تم تحقيقها إلى وقت قريب، كما أنهم لم يقرروا في نشرهم بين كتاب وأخر، وإنما كان البعض قد غضب من تحقيقهم لكتاب (ألف ليلة وليلة) وكتاب (الأغاني) فأطلقه لم يغترب لما قاموا بنشره وتحقيقه من أمهات كتب التراث مثل سيرة ابن هشام والإتقان للسيوطى، والمخازى للراقدى والكتاب للزمخرى، و تاريخ الطبرى، والكتاب لسيوطى، والاشتقاق لابن دريد، والأنساب المسعانى، ومعجم الأدباء ومعجم البدان ليافوت الحموى، ووفيات الأعيان لابن حاكم، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والتكامل للمرد، وفالحسن جزير والتفرزدى، وشرح المختللات لابن الأبارى.

وحققوا أيضاً مجموعة كبيرة من كتب الأصمعى مثل الإبل، والأصمعيات والأصداد وخلق الإنسان، والخيل، والدارات والشاء والثبات والشجر والتدخل والكرم والروحوى، وحققوا صحيح للبخارى والمتنسب لابن جنى، والواقى للصفدى، والأوائل للسيوطى، وعيون الأخبار لابن قتيبة، وأخرجوا كما هالا من دواوين الشعر فى المصور المختلفة.

ومن غيرائب ما يحكى عن صبرتهم فى البحث ما ذكر حول المستشرق (لامتن) من أنه قرأ (الأغاني) سبع عشرة مرة، ليتمكن، من وضع الفهارس له.

ونتسائل بعد ذلك عن مدى سلامة النية في جهود هؤلاء المستشرقين، ونجيب قائلين باتفاقه السلامة التامة للنية، وتوفر قدر من سوء الفقصد، فلا شك أن هؤلاء بشر ويمكن لعواملهم أن تتغلب أحياناً فيحرف الواحد منهم في النص، أو يخون في المنهج، ولكن ذلك قليل على كل حال، حيث كانت روح البحث هي المسيطرة على مناهج الكثيرون منهم، لكن هذه التجاوزات يمكن أن تتحصل إذا قيست بما يوجه من تقدّم وتصويب حول بعض الكتب التي ينهض بتحقيقها بعض العرب المسلمين، ولنا أن نتفاكر من ذلك إذا رجعنا إلى كتاب مثل الشعر والشعراء والذي حققه أحمد محمد شاكر - وهو واحد من الرواد في تحقيق المخطوطات سوف نرى في بدايته انتقاداً مطولاً حول تحقيق الشيخ شاكر من زميله وصديقه السيد محمد صقر، وبهذا عالمان صاحبوا لسانين عربين، فما بالك بجهود المستشرقين الذين ينشرون عشرات المخطوطات التي كتبت بلغة غير لغتهم، ولا أقصد بذلك أن أثير الخوازير، أو أنسام مع الخطأ، ولكنني أقدر حقيقة ملموسة لكل من تعامل مع المخطوطات تحقيقاً وقهرسة وشرحها.

٢- دور المستشرقين في الدليل اللغوي والأدبي:

لم يقتصر دور المستشرقين على جمع المخطوطات ونشرها، بل أعدوا المؤلفات الاباقية المقيدة التي سجلوا فيها كثيراً من ملاحظاتهم القيمة حول لغات الشرق وأدبها، وإن التقى منهم فيما يخص البحث اللغوي والأدبي قد حاد عن الطريق، أو إبهأه اتباع في درسه بعض المناهج التي لم يأتُ بها العرب، أو تعرض في بحوثه ليغضض القضايا الأدبية الحساسة مثل الانتحال في الشعر الجاهلي، ودراسة الرواية والرواة، ونشأة الشعر الجاهلي وغيرها، ثم إن المستشرقين في

دراساتهم لهذه التصانيات قد اعتمدوا على كنابات عربية قديمة أو حديثة، وقدموها بصورة جريئة مكتشفة ففتقنها البعض ورفضها الآخرون.

وقد ذكرت بعض الإحصاءات^(١) أن المستشرقين قد أثروا نحو من ستين ألف كتاب عن الشرق خلال قرن ونصف من الزمان (من أوائل القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين) وحتى إذا كانت هذه البيانات صحيحة فإننا لا نستطيع أن نفصل فيها بين كتب اللغة والأدب وغيرها، ولكنها مؤشر يدفعنا إلى التأكيد على عملية المستشرقين بأحوال الشرق بصفة عامة.

أما ما يخص الدراسات اللغوية والأدبية فإننا نراها موزعة بين ثالث الكتب، وإعداد المسعاجم ، وكتابية المقالات، وعقد المقدمات المطبولة في أوائل بعض الكتب. وقد ظهر تاريخ الأدب العربي بأهمية خاصة، فكتب كارل بروكلن، عام ١٩٥٦ م مؤلفه الضخم في خمس مجلدات ثم تقسيمه إلى ثماني عشر جزءاً لتعريفها ولم يترجم منها (للاسف) إلا ستة أجزاء على نفقة جامعة الدول العربية.

وقدم ديلاشور، تأريخاً شاملاً للأدب العربي في كتابه الذي ترجمه إبراهيم الكيلاني وعنوانه (تاريخ الأدب العربي)، وللمستشرق الإيطالي كارلو تافليو كتاب بعنوان (تاريخ الأدب العربية) كما أعد هامilton جيب، كتاباً بعنوان (دراسات في الأدب العربي المعاصر)، وألف مرجللوث، كتاباً باسم (منشأ الشعر الجاهلي)، ويعرض الدكتور «أحمد سمايلوفتش»^(٢) في كتابه (فلسفة

(١) راجع: كتاب الاستشراق لأبوارد سعيد ص ٢١٦.

(٢) أحمد سمايلوفتش باحث إسلامي ووف்ரيلاني من البروسته حاصل على الدكتوراه من جامعة الأزهر بالقاهرة على أطروحته بالعنوان المذكور وهو «فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر».

الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر)؛ لاهتمام المستشرقين بالأدب العربي، ويرجع ذلك إلى أسباب منها «صلة الأدب بالإسلام، وأهميته لدراسة الشخصية العربية، وأثره في آدب الشعوب الأخرى، وصلاته بين الآداب العالمية، وهذا ينطبق بالأدب التقديم، أما المعاصر فوري الكاتب صعوبة تلمس أثر الاستشراق فيه، وذلك لأن بحثه - كما يراها حديثة المهد لم تتبادر فكريها وهي مرکزة بالذالى حول القضايا السياسية والدينية، وأن الاستعمار مازالت آثاره ولائحة في مجال الثقافة والتوجيه^(١).

كما أن المستشرقين باعوا طويلاً في وضع القوامين اللغوية التي تجمع بين العربية وغيرها من اللغات الأوروبية المختلفة.

وهناك مستشرقون يتفقون على عصرهم في إعداد مثل هذه المعاجم، وحسبنا أن نشير هنا إلى معجم اللغة العربية القديمة المرتب حسب المصادر، فقد قصني «أرجست فيشر» (ت ١٩٤٩م) أربعين عاماً في جمعه وتنسيقه، وتعاون معه فيه عدد من المستشرقين، ونخص بالذكر هنا أيضاً المعجم المقهري لألفاظ الحديث الشريف الذي يشمل كتب الحديث السنة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمي، وموطأ مالك، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وقد تم نشره في سبعة مجلدات ضخمة.^(٢)

(١) مجلة الفكر العربي من ٢١ مارس - يونيو ١٩٨٣م، العدد الثاني والثلاثين - السنة الخامسة.

(٢) الاستشراق / د/ محمود زغروه من ٦٩ وص ٧٠.

تكشف دائرة المعارف الإسلامية التي أعدها جماعة من المستشرقين عن الجهد والعاية الكبيرة بعلوم الشرق ولغاته وأدبه مع تحفظنا على قيامهم بهذا العمل حتى لو أخرجوها في طبعة جديدة صرروا فيها بعض تجاوزاتهم في الطبيعة الأولى، كما تكشف هذه الموسوعة عما بين المستشرقين من تعاون علمي حتى لو اختلفت جنسياتهم، ولقد احتلوا أيضاً مكانة المقالات الأدبية واللغوية ونشر الأبحاث في المجالات المتعددة والمتنوعة، وأسهموا أيضاً عند إخراجهم للخطوطات فقد استندوا في أحوال الكتب التي نشرواها، وعندما نرجع إلى الشعر والشعراء لابن فقيه ضوف نطالع مقدمة دى غوريه، التي ابتدأ بها هنا الكتاب وقد تحدث فيها عن مخطوطاته، وكشف بها عن مذهبه في التحقيق، وختم مقالته بقوله: «وقد بذلت مجاهداً كبيراً في إصلاح الأصول ومراجعتها، ولكن الأخطاء لم تفارقها أبداً، فهي إما عن سهو مني، أو من الطابع، فإذا سمع الوقت أعددت طبع هذا الكتاب وتوكيدت الدقة في قراءة الأصول ومراجعتها مرات عديدة»^(١).

وتشير بعض هؤلاء المستشرقين بسعة الجهد وكثرة العطاء، وشدة النقاوئ، فكان دى ساسى، المحرك الأول للدراسات العربية في أوروبا في النصف الأول من القرن الخامس عشر، وخلفه بعض تلاميذه الذين تأثروا به، وأكملوا بعض مشروعاته. أما المستشرق الأسباني «اسين بلاسيوس»، فقد ترك ما يقرب من مائتين وخمسة وأربعين كتاباً وبحثاً حول موضوعات مختلفة.

ولذا كان ترافقه الكثير مما كتبه المستشرقون عن الإسلام فإننا نقل الكثير مما كتبوه في محض اللغة والأدب في القرنين الآخرين وخاصة.

(١) الشعر والشعراء: لابن فقيه - تحقيق محمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة من ٣٥.

وإنما لمن نظر إلى اليوم الذي تستفني فيه عن هذه الدراسات حتى تستغل شخصيتها العربية والإسلامية استغلاً تاماً، وليس ذلك على الله ببعض.

٣ - جوانب أخرى من عناية المستشرقين باللغة والأدب:

لقد تعددت الجوانب التي تكشف عن عناية المستشرقين باللغة والأدب مثل تحرير المجلات، كالجملة الأسيوية الملكية التي كانت تصدر في لندن، ونهضوا بها هنا الدور في أمريكا والنساء رايطاليا وروسيا، وألختر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة العالم الإسلامي^(١).

وشاركوا جميعاً على اختلاف جنسياتهم ومناقفهم في مجال اللغة والأدب بإلقاء المحاضرات مثل بلاشير وجويدي وكازانوفا.. وكانت موافقهم من أدبية القرآن وأعجازه متباعدة، ونظرتهم في كثير من شعرانا كالتبحري والمتنبي والمغربي متغيرة..^(٢)

كما نقلوا مقداراً كبيراً من تراثنا الأدبي والتلقو إلى تعلّمهم الأوروبية مما نقل إلى الفرنسية دواوين أمرى، القيس والمابقة وطرفة بن العبد والختماء، والبردة للبيوصيري، وشعر الفرزدق وبعض أشعار الهندلبيين، وبعض أشعار الأغاني، وبعض أشعار المتنبي وأبي العلاء وما نقل إلى الألمانية المعلمات، وديوان ليبد، وتألية ابن القارهش، وشعر ابن قيس الرقيات وبعض ديوان أبي

(١) الاستشرق والمستشرقون لمصطفى اليازجي، ص ٦٩.

(٢) مستشرقون: تأثير حمدان، ص ٢٥٤.

فران، غير ما نقل إلى اللغات الأخرى، كما نقلوا إلى اللغة الفرنسية واللغة الألمانية عدداً كبيراً من كتب اللغة والأدب.

ولا شك في أن ذلك يعود بالتفع على لغتنا ولبننا، حيث تكثر الدراسات حولهما قتلهما الفرنسة للانطلاق إلى محطة العالمية الرحيبة.

وقد عقد المستشرقون عدداً كبيراً من المؤتمرات، ودعوا إليها كثيراً من الباحثين في علوم اللغة العربية وأدبها، وأشاد بعض العرب الذين حضروا هذه المؤتمرات بجهود المستشرقين في خدمة اللغة، وعذابتهم بالأدب العربي، وحرصهم على المخطوطات النادرة. وليس من المقبول - بعد ذلك - أن ترفض المستشرقون حملة، لأن تسوى بين إشكاله منهم للإسلام والمحب له، والمغفل عليه، وما علينا إلا أن ننظر إلى أعمالهم بصفتها وحرصهم، ليكون القبول أو الرفض لها صادراً عن هدى وبصيرة.

الفصل الثاني

المجلات الثقافية ودورها في إنارة

التفكير والنقاش والابداع*

تدورن المجالات الثقافية في العصر الحديث بدور مهم وبازر في إرساء القيم الحضارية، وأنصبـلـلـلـفـكـرـعـرـبـيـ،ـوـالـانـتـقـالـبـهـمـمـرـجـحـةـالـأـثـارـبـالـآـخـرـينـإـلـىـمـجـالـالـذـائـرـفـيـهـمـوـالـاـرـتـقاءـبـهـمـبـالـنـقـدـالـهـادـفـوـالـأـلـبـالـرـصـيـنـوـقـدـشـفـلـالـأـلـبـادـوـالـمـفـكـرـونـبـالـنـقـافـةـوـقـصـيـاـبـاـهـالـمـخـلـفـةـسـوـاءـمـاـتـقـسـلـمـنـهـبـدـرـانـاـالـعـرـبـيـأـوـيـغـيـرـهـمـنـالـأـلـبـادـالـعـالـمـيـةـالـتـيـصـارـتـمـجـالـاـرـجـحـاـلـلـمـعـدـدـمـنـالـبـحـوثـالـقـارـنـةـ،ـوـصـارـالـفـكـرـعـرـبـيــالـذـيـيـعـدـلـمـكـانـالـصـدارـةـفـيـالـنـقـافـةـالـعـرـبـيــصـارـمـوـضـعـاـلـجـدـلـكـبـيرـبـيـنـالـعـدـدـمـنـأـسـاحـاتـالـتـوـجـهـاتـالـمـخـلـفـةــفـكـبـالـدـكـتـورـمـهـجـسـمـيـعـنـمـسـتـقـبـلـالـنـقـافـةـفـيـمـصـرـمـنـسـنـنـعـامـ،ـفـقـالـ:ـالـمـوـضـوعـالـذـيـأـرـيـدـأـنـأـنـبـيـهـهـهـذـاـعـدـيـثـهـمـسـتـقـبـلـالـنـقـافـةـفـيـمـصـرـالـتـيـرـدـإـلـيـهـالـحـرـيـةـبـاـحـيـاءـالـدـسـتـورـ،ـوـأـعـيـدـإـلـيـهـالـكـرـاسـةـبـتـحـقـيقـالـاسـفـالـ،ـفـخـنـنـعـيـشـفـيـعـصـرـمـأـخـصـمـاـبـوـرـصـفـبـهـأـنـالـحـرـيـةـوـالـاسـتـقـالـفـيـلـيـسـعـاـيـةـتـقـصـدـإـلـيـهـالـشـعـوبـوـتـسـعـنـإـلـيـهـالـأـمـ،ـوـلـمـهـاـوـسـلـةـإـلـىـأـخـرـاضـأـرـقـيـمـنـهـاـوـأـبـقـيـ،ـوـأـشـمـلـفـاتـةـوـأـعـمـنـفـهـاـ،ـوـلـسـنـبـصـدـعـرـضـمـاقـيـهـذـاـكـلـبـاـنـوـالـخـلـافـحـولـهـ،ـوـلـمـنـعـنـإـلـىـتـاكـيدـعـلـىـأـهـمـيـةـالـنـقـافـةـوـاـنـشـالـمـفـكـرـيـنـوـرـوـادـلـلـتـبـيـرـيـهـاـمـنـخـالـمـؤـلـفـهـمـوـمـقـالـهـمـفـيـالـمـسـحـفـوـالـمـجـلـاتـ،ـ

* نشر هذا البحث في مجلة كلية اللغة العربية والزفايق العدد (١٨) ١٤٢٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(١) سلسلة المكتبة المصرية - طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٢، من ٢٢

وكان أحمد حسن الزبيات وأحمد أمين من رواد الثقافة العربية، فأبرزا تاريخها المشرق ورسالتها الحضارية ودورها في إثراء الفكر وتأصيل النقد وتطور الإبداع، وعرضنا لمراحل تدهورها، وعصور انحطاطها وارتباطها بالعلوم الإنسانية التي تتميز بها أمة عن أمة،

ويذكر - في الوقت الراهن - نقاش كبير عن بعض القضايا الثقافية مثل: التراث والمعاصرة، والترجمة العربية للأدب العالمي، ومدى الدلائل بأذكار المستشرقين، وتتنوع النقافة والاختلاف متزوجها بين الأديان واللغات والأدب والعلوم، وإعادة قراءة التراث، والتطرق بين المستوى الإلهي والمستوى البشري من التراث، والأدب بين الإلزام والالتزام وغيرها.

ولعل كتاب الدكتور يوسف القرضاوي (الثقافة العربية الإسلامية بين الأصلية والمعاصرة)^(١) آخر التساليفات التي وصلت إلينا في هذا الشأن حيث يحجب الكتاب عن الكثير من الأسئلة عن الثقافة العربية، ويوصي بضرورة العودة إلى التراث، والغوص في خصمه الآخر؛ لاستخراج جواهره في الثقافة البداءة، ونذكر للقارئ أن النقاش في هذا الموضوع مفتوح وممتد شريطة أن يكون نقاشاً حرّاً مستنيراً يعيّن آفاقنا الرحبة، ويوصل فكرنا الحديث، ويسعى لدينا الاعتزاز بالماضي والانفتاح عليه، وعدم التخلّي عنه في غمرة الأهمية الثقافية التي بدأت تنتشر بين كثيرون من المتعلمين، مما يجعل الثقافة العربية في مأزق وأزمة حقيقة، حيث التصرف المعنوي إلى ألوان من الفوضى الهاشمة

(١) نشر مكتبة وهبة بالقاهرة عام ١٩٩٤ م.

ولما كان عصر إسماعيل (١٨٦٣ م - ١٨٧٩ م) بعد عهدى عباس وسعيد، ظهرت الصحافة الشعبية (الأهلية)، بالإضافة إلى الصحف الأجنبية التي صاحبت تغلل الأجانب في الحياة الثقافية بمصر، وصدرت في عهده ثلاثة وعشرون صحيفة ومجلة منها جريدة الأهرام التي تعد من أقدم الصحف المصرية، وقام بتحريرها بعض الشاعرسين، وظهر العدد الأول منها في الثامن والعشرين من ديسمبر عام ١٨٧٥ م بمدينة الإسكندرية إلى أن انتقلت إلى القاهرة في عام ألف وتسممانة، وكان الشيخ محمد عبده ينشر فيها - وهو طالب بالأزهر - مقالات عن تطوير الفكر وإصلاح اللغة العربية، وتدريس العلوم المصرية، والطاعة بالأزهر وتطويره، وتولى الرجل رئاسة تحرير الوقائع، فعمل على تطويرها ينشر المقالات التي تتناول شئون التواصي الاجتماعية والأدبية والسياسية *.

ون kali صدور الصحف والمجلات في مصر والشام وبقية الدول العربية، وزادت مساحتها وتجهاتها في القرن العشرين بصورة يصعب معها الحصر والاستقصاء خاصة في التصنيف الثاني من هذا القرن الذي تنوّعت فيه الموضوعات، وأشكال الطياعة، وأساليب الكتابة، واختفت صحف ومجلات كثيرة كانت لها أصوات عالية ودعوات حرة جريئة، وعاد بعضها للظهور إلى جانب مصادر جديدة لأول مرة * وبقي مع الزمن ما تصدى للمتغيرات السياسية والفكرية في كثير من البلدان، قال أحمد شرقى: لسائل زمان مظفوس اية . . . واية هنا السر زمان الصحف

ثالثاً: أبرز المجلات الثقافية:

[١] الماقنطيف: واحدة من أقدم المجلات الثقافية العربية، وقد صدر العدد الأول منها في مايو ١٨٧٦ م في بيروت، ثم انتقلت في عام ١٨٨٥ إلى القاهرة، واستمرت في الصدور شهرياً ستة وسبعين عاماً حتى توقفت في عام ١٩٥٢ م، وأسستها يعقوب سرور وفارس نمر بعد تخرجهما من الكلية السورية الإنجيلية سنة ١٨٧٤ م^(١) ومحضهما على شهادتي البكالوريوس في العلوم، وبداية عملهما في سلك التدريس في الكلية ذاتها، وقد لرتياً بإصدار هذه المجلة بهدف نشر الثقافة العلمية والتعريف بعلوم الغرب الحديثة، وتيسيرها لأنصار الشرق، وصار هذا الهدف يتسع شيئاً فشيئاً حتى راح يشمل الفنون والأداب والديانات والعلوم الاجتماعية وغيرها، كما أن دورها التحريري في مجال الثقافة العلمية جعلها حريصة على التأكيد بالمعتقدات الباطلية المبنية على الأوهام والخرافات.

وتحجب دور هذه المجلة الذي اتسع خارج التوسيع خلال رحلتها الطويلة؛ ليشمل العديد من الجوانب الأبية والثقافية والفكرية، وتدابع عدداً قديماً لهذه المجلة صدر في يناير ١٩٣٦ م، فنراه قد خرج كاملاً عن موسنوع واحد هو «المقني»، ولكنه واحد هو الأمين محمود شاكر، وقد نظر العدد كتاباً كهيئة التي خرج عليها بالمقابل يوم أن كتب محرر المجلة في صدر صفحاتها ما يأتي: «هذا العدد من المقاطف يختلف عن كل عدد صدر منذ سبعين سنة إلى يومنا هذه، فهو في موضوع واحد، ولكنه واحد».

(١) تعود إلى ما يعرف اليوم بجامعة الأمريكية في بيروت منذ عام ١٩٢٠ م.

على حساب الآداب السامية والإبداعات الراقية مع التقدير الكامل للمحارلات الإحياء والبحث لنورنا الحال ونقايتها الأصلية الراخفة *

أولاً: جذور الفكر العربي الحديث:

لا ينفي إغفال دور الأزهر وريادته للثقافة والفكر الديني قبل مجبي الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨م، غير أن جهداً كبيراً للعلماء آنذاك قد انتصر إلى مقاومة حكم المماليك لما كان يمارسونه من سطوة على الشعب تحت ظلال الخلافة العثمانية. وكانت المناهج الرسمية في الأزهر متصرّة على العلوم الدينية مثل التفسير والحديث والفقه، وعلى العلوم اللغوية أو المسائية مثل النحو والصرف والبلاغة، وكان بعض العلماء يتجاوزون حدود المعارف التقليدية، فيجدهم من بيوتهم مدارل لدراسة العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية. مثل الشیخ حسن الجیرتی ولد الموزع عبد الرحمن الجیرتی^(١)، على أن هذا التوجه لم يصرف العلماء عن دراسة علوم الكلام والعقائد والفلسفة والأداب الشعوبية التي تُعنى بالقصص الديني كغير بعض الآباء ومشاهير الأولياء، وحياة الأبطال التاريخيين مثل عثرة والظاهر بيبرس وغيرهما^(٢).

وعرفت مصر الطباعة والصحافة في أعقاب الحملة الفرنسية، ولم يعط «محمد علي، الأزهر حقه من المتابعة والتطوير، إذ حرص على إنشاء مدرسة للهندسة وأخرى للجغرافية مستعيناً بالنموذج العثماني والمعنوية الأوروبية، فقد

(١) صاحب كتاب (عدان الآثار في التراجم والأخبار).

(٢) يراجع كتاب (تاريخ الفكر المصري الحديث) لـ الدكتور لويس عربس، طبع دار الهلال.

استقدم الباحثين والمتخصصين من الدول الغربية ببعثتها التمهذة في مصر، وأرسل العديد من البعثات العلمية إلى أوربة لكي ينزوء المصريون بالعلوم والمعارف من متابعها الأصلية، مع الأخذ في الاعتبار كل ما أحدهم حمله شابليون من تأثير في كافة ميادين الفكر والأدب وسائر نشاطات الحياة، ولم يخفت صوت الأزهر، فقد اتصرخ تلاميذه (الشيخ حسن العطار والشيخ أحمد الخشاب والشيخ عبد الرحمن الجبرتي) إلى الفكر الجديد، وبخاصمة رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣م) الذي كان واحداً من المثقفين المصريين الذين رأوا أن الثقافة التي يحصلونها في الأزهر تحتاج إلى المزيد الذي يتناسب مع عصرهم، ولذلك لا بد لهم [إغفال النشاط الثقافي لرفاعة بصفة خاصة في تاريخ الفكر المصري الحديث]^(١)، وإنما الفكر العربي، وصارت له أخضان وأوراق وشار عبر رحلته الطويلة مع التطور والتجديد.

ثانياً: بدايات الصحافة العربية:

لم يكن للمساواة دور يذكر في إبراز الفكر فضلاً عن تأسيسه في عهد (محمد على) الذي اقتصر نشاطه على إنشاء جريدة (الوقائع المصرية) في ديسمبر ١٨٢٨م والتي كانت بمثابة دعاية له، حيث تنشر فيها المنشورات الرسمية باللغة العربية ولغة التركية الركبة (في أول عهدها)، وتوزع على موظفي الحكومة ومن يتقاضون شهرياً ما مقداره عشرة جنيهات فأكثر حتى يدفعوا ثمن الاشتراك فيها.

(١) تراجع جهود رفاعة رافع الطهطاوي في التطوير وال moden من خلال الاطلاع على كتابه (مناج الأدب المصري في مناج الأدب المصري).

أما الموضوع فأبو الطيب المتنبي، وأما الكاتب فالأستاذ محمود محمد شاكر، وقد رأى محرر (المقطف) في العناية بالاحتقال، بانقضاء ألف سنة على وفاة المتنبي، وفي طرافة المباحث التي نسبت إليها رسالة الأستاذ شاكر، ما يسمغ له أن يجعل هذا المدد بمثابة كتاب يرقمه: إلى أبي الطيب المتنبي^(١) وأنذر القارئ بأن الكتاب المذكور تال به الشيخ شاكر جائزة الملك فیصل العالمية في الأدب العربي عام ١٩٨٤ م.

[٢] الهلال: مجلة ثقافية متفرزة، أسسها جورجى زيدان بمصر، وطبع العدد الأول منها فى سبتمبر عام ١٨٩٢ م، ومصدرت لمدة محدودة نصف شهرية إلى أن عادت لسيرتها الأولى، وبدأت بنفسه أبواب فى الثمين وثلاثين صفحة، ثم زادت الأبواب والأدراق والكتاب زيادة تشهد على تطورها خلال رحلتها الطويلة التى زادت عن مائة عام.

وقد احتفظت بعكانتها لدى القارىء العربى، ولم تختلف عن أيام رسالتها واستمرار ندقها، وتتنوع موضوعاتها، وتعدد أنشطتها للصغار والكبار، وللرجال والنساء ما بين كتب مؤلفة مهدأة وروايات شهرية عربية، ومتدرجة، وكتابات ناقلة لمبدعين ورواد من الشرق والغرب، ومن مصر وخارجها، وقد استهل جورجى زيدان العدد الأول بكلمة أخضن فيها خطبة المجلة وعاليها فقال: «لابد للمرء فيما يشرع من قافية يسهل بها وخطة يسرى عليها، وغاية يسعى إليها ...

(١) المقطف عدد يناير ١٩٣٢ م، ومصدر كتاب المتنبي لمحمود محمد شاكر عام ١٩٧٦ م عن مطبعة المتنبي (في سارين).

أما الغاية التي نرجو الوصول إليها فليقال سواء الناس على مطالعة مالكتيه، وربما لهم بما نختبئه، وإنفاذهم بما نرتکبه فإذا أتيح لنا ذلك كان قد استوفينا أحورنا فتتشظى لما هو أقرب إلى الواجب علينا. أما موسوعة مجلتنا فمقسم إلى خمسة أبواب ...^(١) ثم ذكرها وهي باب أشهر العادات وأعظم الرجال وباب المقالات وباب الروايات وباب تاريخ الشهر وباب للم منتخبات من الأخبار والتقريرات والانتقاد وغير ذلك.

وقد أعددت بحوث ودراسات كثيرة عن رسالة الهلال ودوره في التقدير والتثقيف عبر رحلته الطويلة، كما مقدمت ثلاث ندوات في مناسبة العيد السنوي لهذه المجلة العلاقة التي تجاوزت العادة عام ولازالت شابة فنية يقبل عليها القراء من كل مكان تصل إليه وتخل به، وقد سدر عدد تذكاري في أكتوبر عام ١٩٩٢، وما جاء في التقديم له: «يطالعك، (الهلال) الذي بين يديك بمائة مختارة من المقالات والمواضيع التي نشرها في مائة عام، وبهديها إليك في عيد الميلاد لعلك تعيش معه تلك الأعوام الحافلة بتوالله الفكري، وتترعرعها وتتطورها وسيرها دائماً إلى الأمام».

إن مقالات هذا العدد الخاص من (الهلال) تبدو لنا الآن كأنها مكتوبة لنوها، فهي تتحدث عن أمور مازلنا نتحدث في الكثير منها، وهي تتطلع إلى المستقبل وتستشرف آفاقه بنفس التهفة التي تملأ الأجيال الجديدة.^(٢)

(١) العدد الأول من الهلال من ١٠٣، من ٣، وكتاب لمجلات الأدب، على شكل من ٢٦، من ٣، طبع الهيئة المصرية العامة للطباعة والتوزيع عام ١٩٨٨.

(٢) الهلال السنة ١٠١ أكتوبر ١٩٩٢، من ١٠.

وشاهد القارئ لهذا العدد مقالات حافلة للعقاد وطه حسين وبخليل مطران وفريد وجدي وزكي مبارك ومحرر الرصافى وتوفيق المكيم وأحمد حسن الباقورى والآنسة من زياده وعبل زيدان وكأنهم ما زالوا أحياء ينقاومهم على صفحات الهلال.

[٣] المنشاء، يأتى الحديث عن المدار مرتبطا بمجلة العروبة الرئيسي، التى أصدرها فى باريس جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده، وظهر العدد الأول منها فى منتصف جمادى الأولى عام ١٣٠١ھ (١٨٨٤م)، واستمرت ما يقرب من تسعه أشهر، طبع منها ثمانية عشر عددا، وتحدى عددها عبد القادر المغرى فقال: «كانت العروبة الرئيسي وأسلوبها الكتابية، أساساً لنهضة جديدة في الإنشاء العربى وتجديد الأساليب الكتابية العربية». أما المطالب والموضوعات الاجتماعية والإنقاذية والأخلاقية فحدث عن كلّرتها وفائدتها، وأما الشورونات السياسية فهي بيت القصيد من الأغراض التي أشئت لأجلها العروبة، وكانت عنها الدكتور محمد جابر الأنصاري، قال: «إنها ظاهرة ولدت في المتنى يغدو كوارث وهزائم مصريرية في الوطن ولتها ولدت «ملزمة»، تضع العلم والذكر والبحث في خدمة الأهداف العامة، وتنتهي لجماعة إصلاحية متعددة الفروع، شمولية الأهداف، تحمل اسمها وتغير عن رسالتها، وإنها ولدت توحيدية وحدوية المزاج تحاول تحالف الوطن الكبير عربياً كان أم إسلامياً في أيدي أمتداداته وألقائه».^(٢)

(١) كتاب العربى يوثق ١٩٨١م من ٧١ نقاًلاً من كتاب (جمال الدين الأفغاني) لمحمد المدارى المغاربى من ١٣٠١، من ١٤.

(٢) كتاب العربى يوثق ١٩٨٤م من ٧٢ من بحث الدكتور / محمد جابر الأنصاري بعنوان (العروبة الرئيسي وآثارها - التوفيق بين الأصلية والمعاصرة).

ولم تتمكن العروة الونقى من الاستمرار قد أجهضت فكرتها الخالق نسب بين الأفغانى وتلميذه، أو لانصراف الأول عن العمل الفكري إلى النشاط السياسي قصلاً عما أحدهته الأزمة المالية بها.

وكان تأثير العروة الونقى على الشيخ محمد رشيد رضا كبيراً، إذ صار كالوريث الشرعى لها وتبشرت له المسيل فأصدر مجلة المنار بالقاهرة فى منتصف مارس عام ١٨٩٩م والتي كانت تحمل ... «الاستمرار الأقرب إلى روح العروة» ومنطلقاتها من واقع العلاقة الشخصية والفكريّة الحميمية، إلى نشأت ابن الشيخ محمد عبد رشيد رضا الذي كانت له صلة مبكرة بالأفغانى أيضاً وبintellectuane السياسية غير أنها صلة ججيبها التأثير المتزايد لمحمد عبد على صاحب المنار^(١)، فالمدارج إسلامية، ساقية، إصلاحية، ذات تأثير فعال فى الحفاظ على وحدة الثقافة العربية والتتصدى لنبار العلمانية، وقد استمرت فى الصدور بانتظام شبه كامل إلى أن توقي رشيد رضا فى عام ١٩٣٥م بعد أن طبع منها ما يقرب من ثلاثة مئات عدد وقد تأثر الرجل - رحمة الله - بابن تيمية يحكم ثنائة الحنبلية، وبالدعاة الوهابية في الجزيرة العربية، لأن شيخها (محمد بن عبد الوهاب) متأثر هو الآخر بابن تيمية كما تأثر من قبله برشيد رضا، وعرضت المجلة للعديد من القضايا، وساندت حقوق المرأة التي أثارها قاسم أديين فى كتابه (تحرير المرأة)، وقد قادت الهجوم ضد كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ على عبد الرزاق، وقد كتب الشيخ محمد عبدة عن العدار وصالحها فقال:

(١) المرجع السابق من ٨٢.

لقد أسمحت الرسالة بكتابها ومفكريها في إثراء الفكر وتحذيف الوجдан، وتطور الأدب، والانطلاق بالستند ومدراسه إلى آفاق واسعة مليئة بالطموحات والأمال.

إن المتصفح لكتاب (وحي الرسالة) للزيارات يصل من خلاله إلى التعرف على رسالة هذه المجلة التي دافعت عن الأزهر ولغة الفصحى وبلاحة رسول، والنقد الأدبي الهادف وغيرها من القضايا التي نعماها وحزن الزيارات عليها في مقالاته بالعدد الأخير (الرسالة تحذج) ونشرت في الجزء الرابع من كتابه (وحي الرسالة).

إليها كانت جامعة حرة، عملت على تقرير الأداء إلى عصرهم بمنتجاته الكبيرة في العلوم والفنون، كما عملت على تزويدهم إلى بيئتهم بمشكلاتها وتحدياتها الهائلة، وفي جامعة الرسالة الحرة هذه – إذا صلح التعبير – اتصلت أجيال الأدباء على مستوى الوطن العربي الكبير، وتفاعلوا وعبرت عن هممها، ونفت آثاراً من اللغات الأخرى، ووصلت للقديم والجديد(١).

مجلة الرسالة التي تحدثت عنها وعرضت لها بعض الأطروحات الجامعية ليس من السهل بيان دورها في هنا العرض الموجز خاصة أنها كانت متعددة الموضوعات كروضنة ذاتية النطوف في المقال والنقد والقصيدة والرواية والمسرحية والقصيدة القصيرة وأدب الرحلات والرواية الثانية والشعر بمختلف صنوره وألوانه والتعريف بالكتب وعرض اليوميات وتقديم التحفينات، وطرح

(١) انظر المراجع السابق، من ١١٧.

الأراء، ونقد المجتمع والنفاع عن المخلصين الأحرار وغير ذلك مما ذكرته كتب الصحافة والمجلات^{*}

[٤] الثقافة : مجلة أسبوعية للجتماع والأداب والعلوم والفنون، صدر العدد الأول منها في الثالث من يناير عام ١٩٣٩ م، وكان آخر أعدادها في الخامس من يناير عام ١٩٥٣ م، أي أنها صدرت خلال أربعة عشر عاماً، وقد أشارتها لجنة التأليف والترجمة والنشر بإشراف الأستاذ أحمد أمين، تلك اللجنة التي كرمتها في عام ١٩٤٤ م، أما رئيس تحرير المجلة فكان الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف، وكان بعض أعضاء المجلس يشرفون على تحريرها خاصة في السنوات الأخيرة التي شغل أحمد أمين عنها، مثل محمد فريد أبي هديد ورفيق نجيب محمود.^(١)

أما فيما يتصل بمقالات أحمد أمين في الرسالة ثم في الثقافة فنصيل إلى اللون الاجتماعي والأنماط الإصلاحية، وقد تكون من هذه الكتابات رسيد قيم ألم به أجزاء فيفيض الخطاطر، وأختار منه ماضيه إلى كتابه تكون زعماء الاصلاح في النصر الحديث وغيره، وكان قد استعان بعمله دراسياً في كلية الآداب فأخرج بعض كتبه وهي فجر الإسلام، وضيى الإسلام (ثلاثة أجزاء) وظهر الإسلام (أربعة أجزاء)، والأجزاء الأولى من فيفيض الخطاطر، وكان الأجزاء والقاد والملكون من حملة الأقلام حربيين على جمع مقالاتهم، وتحويلها إلى كتب سواء أكان ذلك مما نشر في الرسالة والثقافة أم في غيرهما.

(١) انظر كتاب (دليل المجلات الأدبية) د، على شلن من ١٢، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، من ٨٥

ابن الله بعث بهذا الشاب ليكون مذراً لحياته ومزيداً من عمرى، وإن فى نفس أموراً كثيرة أريد أن أقولها أو أكتبهما للأمة، وقد ابتنى بما شعلنى عنها وهو وقىء بيها الآن كما اعتقاد وأريد^(١)، وقد كانت هذه المجلة - عند ما كان محمد عبد مفتياً للديار المصرية - لسان حال حركة الإصلاحية والمغيرة عما يصدر من دار الإفشاء^{*}.

وهكذا أسممت العناوين في الدور التحريري الإصلاحي الذي نهضت به المجالات الثقافية في مرحلة كان الصدام فيها عنيقاً بين تيار العلمنة وتيار الفكر السلفي الإصلاحي مع انتقامه التشاريين لجبل الشيخ محمد عبد، ذلك الرجل الذي أتجه إلى المزاج بين الأصلة والمعاصرة^{*}.

[٤] الرسالة، مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون، أصدرها محمد حسن الزيات في الخامس عشر من يناير عام ١٩٣٣ م بمساعدة لجنة التأليف والترجمة والنشر، وتوقفت مع آخر عدد في الثالث والعشرين من نوفمبر عام ١٩٥٣ م وبدأت تصف شهرية إلى الثاني من ديسمبر عام ١٩٣٣ م، ثم استمرت في الصدور أسبوعية باقى حياتها الطويلة التي استمرت أكثر من عشرين عاماً، طبع منها (١٠٢٥) عدداً^(٢)، وكان الناس يستقبلونها يوم الأحد قبل تاريخ صدورها المحدد وهو يوم الإثنين من كل أسبوع^{*}.

(١) الكتاب السابق من ١٢ من نسب المفتى محمد يوسف نعم.

(٢) انظر المجالات الأدبية في مصر، تطورها ودورها، د. علي شلبي من ١٩٦١.

ولقد شغل الزهاب بالرسالة، ونفرغ لها تماماً، حيث انفصل بها عن لحنة الداليف والترجمة والنشر، وكان يكتب لها الافتتاحيات والمقالات المختلفة التي كانت كتبه الأساسية مثل (وحي الرسالة) (في ضوء الرسالة) (دفاع عن اليهادفة)، وكذلك اتسم مضمون كتاباته بشكل المقالة وهو - كما يقال - (شكل عميق الجذور في التراث العربي)^(١) ومن فرض اهتمامها بها وتفرغها لها كان يعده في مقرها ندوة عصر الاثنين وهو يوم صدورها يشارك فيها كثير من كتاباتها وقارئتها.

وتصير الرسالة بكلة كتابها وتلوع موضوعاتها، وإخلاصها للوطن ودقاعها عن الحق وتصديقها للخيانة والزيف، والتقي عليها، وأسلهم بالكتابية فيها عمالقة الأدب والنقل والنقل والبلاغة والفلسفة والذكر من مصر وخارجها في مرحلة من عمر الأمة العربية، كان المسراع فيها مخدعًا بين ألسن التراث ورباد العصرية من يتحمرون للأخذ من الثقافة العربية، وفجر كتابها الكبير من المعارك والخصومات الأدبية والنقدية كتلة التي دارت على سلطانها حول مجلة الثقافة في تناول مثل هذه القضايا إذ عرض أحمد أمين لموضوع اختار له عنوان (حنابة الأدب الجاهلي على الأدب العربي) وكتب فيه عدة مقالات بالثقافة، فما كان من زكي مبارك إلا أن رد عليه بسلسلة أطول من المقالات بالرسالة، جعل متواتها (حنابة أحمد أمين على الأدب العربي) *

(١) فرجع السابق من ١٠٧

ونقترب الثقافة من الرسالة في كثير من الترجمات، وفي طريقة الإخراج، كما أن بعض الكتاب كانوا يشاركون في الكتابة بالجلتين، وإن كانت الرسالة لم تتأثر بالحرب العالمية الثانية مثل تأثير الثقافة التي جادلت لها الجنة الدلّيف حتى لا تنفل لها عدوى التوقف الذي شمل كثيراً من المجالات، وإن كانت قد أضيرت بالحرب إذ لم تكون قد استقرت ورسخت مثل الرسالة، وتمثل ذلك في عدم انتظام أبوابها، وتقلص نصيب الأدب بالنظر إلى الموضوعات الأخرى، لكن الدارس للناس صنف بطبع الرصوص إلى بعض الفحصان التي تميز كل واحدة من الجلتين عن الأخرى، فما يقال عن الرسالة ينطبق في الكلمة على الثقافة والمعنى صحيح، ولما لا؟ وكان أكثر الكتاب يشاركون في الجلتين كما سبق القول، فكل واحدة منها جامعة حرة للأدب والفنون والثقافة والعلوم.

وقد نشر في الثقافة الشعر لأبرز الشعراء مثل إبراهيم ناجي ومحمد حسن إسماعيل وغيرهما ونشر أبو حديد أربع روايات تاريخية مسلسلة وهي المهاهل سيد ربيعة والملك الصنليل وزينوبية وسلامة الفتن، وكتب طه حسين سلسلة من المقالات النقدية جعل عنوانها (مع أدبائنا المعاصرين)، وشارك سيد قطب بالكتابة عن دلالة الأنفاس على المعاني، كما قدمت فيها مجموعة من المسرحيات حسب نظام المنهج التاريخي، وكانت الثقافة تميل بحكم خبرات كتابها إلى التأسيس والتقطير في صورة القبرة والتخصيص، فكتاب (نمذج بشرية) وكتاب (في الميزان الجديد) وغيرها من مقالات الثقافة تلك المجلة التي كانت تصدر يوم الثلاثاء من كل أسبوع، ثم الاثنين من يناير عام ١٩٤٩ م.

ولما توقفت الثقافة ولحقت بها الرسالة، كتب أحمد حسن الزيات بقلمه هذا التوقف في مقالة بعنوان (الرسالة تحجب) نشر في آخر عدد بالرسالة وطبع في الجزء الرابع من كتاب (وحي الرسالة) وجاء فيه:

تصوّر الرسالة اليوم في منجمة من أنشاد التصرّف في مصر وأهارنوج العربية في السودان، فلا يطعن إلى زعمها هاتف، ولا يصفع إلى أيديها سند! ومن قبيل ذلك بشهر مات أختها (الثقافة) وكان الناس يومئذ في ثهو قاصف من مهرجان التحرير، فلم تبكيها عين فشاري، ولم يرثها قلب كاتب! كان عشرين سنة للرسالة، وست عشرة سنة للثقافة فمضتها في خدمة الأدب والعلم والفن والإسلام والعروبة لم تنهي لهما مكاناً في الوجود، ولم تنسن لهما أنثراً في الخواطر! وكان هاتين المجلتين أثثنا في أدب مصر مدرستين تُنشئ فيهما جيل، وإن كانت بهما نهضة، وأجتمعت عليهما وحدة، لم تكون إلا ورقاً ما ينشر في الطريق للإعلان بجيبي به الموزع والذهب به الريح^(١).

لقد حرّكت الثقافة كثيراً من العياد الراكرة في بحار الأدب والفكر والإبداع بكلاتها الخطّام وشعرانها الملحميَّن، وقصاصيها المبدعين، ومتكرّها الذين أعلوا شأن اللغة العربية الفحصي بمصر وسائر أرجاء الوطن العربي.

(١) وحي الرسالة جـ٢ من ١٠٣، ١٠٤ طبع نازل بنيته مصر - الطبعة الثانية.

[٦] المتنهل، مجلة شهرية للأداب والعلوم والثقافة، أنسها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، وصدر العدد الأول منها في ذي الحجة سنة ١٣٥٥هـ (فبراير ١٩٣٧م)، وهي أول مجلة أدبية تصدر بال المملكة العربية السعودية (في مدينة جدة) وكانت في بداية صدورها غير شهرية إلى أن انتظمت بعد ذلك.

ويرأس تحريرها الآن الأستاذ ثبيه عبد القدوس الأنصاري، وتنشر العديد من المقالات والبحوث والتحقيقات عن الأدب والنقد والثقافة والفكر وتحضر أقساماً عن الإسلاميات والسياحة وفلسطين والشعر والمرأة واللغة وعالم الكتب بالإضافة إلى المتابعات الجادة لما يعرض فيها من قضايا وأراء ومقالات الافتتاح ومسك الختم مما يجعل لهذه المجلة دوراً رائداً ومتيناً في تنمية الوعي الثقافي عند القارئ العربي. وقد رجعت إلى معظم أعدادها وأثنا بصدور الكتابة عن فن الرواية في المملكة العربية السعودية، وتأكد لدى أن معظم الروايات والمناقب العرب قد أسموها بالكتابة فيها، خاصة في عهد منشئها الأنصاري، كما تحرص المجلة على التغطية الثقافية لكل أرجاء الوطن العربي والإسلامي، وتعرض للعديد من الفضائح الفكرية والثقافية والعلمية، وتخصص أعداداً متفرزة لبعض الموضوعات مثل الهجرة واللغة والتراث والحضارة (العدد ٤٤١) والمسرح العربي (العدد ٤٤٧) والدعوة والذهاد (العدد ٤٤٩) والمج (العدد ٥٣١)، كما تنشر في عدد ذي الحجة من كل عام كتاباً بالكتاب، والموضوعات التي حرصت المجلة لها على مدار السنة.

[٧] *العرب*، مجلة عربية مصورة شهرية جامعة، تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت للمرطن العربي وكل قارئ العربية، في العالم، وهذا هو المعرف الذي يذكر ذكره مع عنوان المجلة في كل عدد جديد.

وكان العريبي قد ظهرت قبل أن تidual الكويت استقلالها^(١)، وصدر العدد الأول من العريبي في شهر ديسمبر عام ١٩٥٨ م (جمادى الأولى عام ١٣٧٨ هـ).

ولقد حرص الكويتيون - قبل إصدار العريبي - على التخطيط الدقيق لهذه المجلة حتى لا تبدأ قوية ثم تزوى وتضعف كشأن الكثير من الصحف والمجلات، فاستشاروا أهل الخبرة في ذلك الوقت، وسافر بعض رجالهم إلى عدة بلدان عربية، وإن استقر الرأي على إسناد رئاسة التحرير إلى الاستاذ الدكتور أحمد زكي الذي ترك له الرأي في اختيار مساعديه، قيدت المجلة بالعديد من القيادات المصرية في ذلك الوقت.

وكتب أحمد زكي في العدد الأول، فقال:
إن مجلة العريبي لهذا الوطن العربي من الخليج شرقاً إلى المحيط غرباً
ومن حلب شمالاً إلى ملقلاً^(٢) وجوباً جنوباً،

(١) ظهرت الكويت باستقلالها عام ١٩٦١ م.

(٢) وردت في المربع الذي اعتمد عليه وهو المجالات الفلاحية والتجارية والمسايرة في في بحث الأستاذ كامل زهيري من ١٩٩٠، (نقلًا عن العدد الأول للعربي) وردت الكلمة (مكال) وألقاها (ملقاً) كما ذكرت.

وهذه بطلاة عن أول عدد للعربي كشفها كامل زهيري قاتلاً (وقد نشر أي هذا العدد) لعباس العقاد عن صلاح الدين الأيوبي، والقومية العربية كما ينفي أن تفهم لمحمد أحمد خلف الله، والتطور والثورة للدكتور كامل عياد أستاذ كلية التربية بالجامعة السعودية، والتباين اللقائى بين الشرق والغرب للدكتور جميل سليمان، ويناقش قضية نقل التراث الحضاري، وهل ساهم العرب في الحضارة العالمية أم اقتصرت على التقليد، ويجمع العدد بين العلم عن الزيت والذرة وأخبار العلم والعلماء وعمره مائة عام على مولد مكتشف الفينازيات، وفي الطب عن السرطان وطبيب الأسرة، وأخبار الطب والأطباء، ويجمع بين القصائد الشعرية والقصص، ويصنف الأستطلاعات المصورة - ولوحة الشهر والإذاعة العربية ولغتها لفاروق خورشيد والمسرح ومرة الرأى العربي، ومرة الرأى العربي^(١).

وقد طبع من هذا العدد ثلاثة ألف نسخة نفذت جميعها منذ الأيام الأولى، واستمرت رئاسة محمد ذكي للتحرير إلى العدد (٢٠٤) توقيعه الأستاذ أحمد بهاء الدين من العدد (٢٠٥) إلى العدد (٢٨٤) بواليه ١٩٨٢ ونطالع أبواب أحد الأعداد في هذه الحقبة الثانية (عهد بهاء الدين) العدد (٢٥١) أكتوبر ١٩٧٩م ونراها على النحو الآتي:

حديث الشهر، والإسلاميات، وعروبة، وشخصيات، واستطلاعات، والطب، والعلوم والدرية وعلم النفس، والأدب وفيه قضيدة للمشاعر صلاح

(١) المجلات اللقلائية بحق للأسلام كامل زهيري، من ١٧١ في كتاب العربي المتكرر مثلاً.

عبد الصبور، وقصة ليوسف العجيد، والفلسفة والطريق والفنون، وكتاب
الشهر، والمتلوعات.

ثم تولى الدكتور محمد الرميجي رئاسة التحرير من العدد (٢٨٥) حتى
الآن (أبريل ١٩٩٨).

وقد صدر في عهده العدد (٣٠٢) (يناير ١٩٨٤م) الذي احتلت فيه
المجلة بدور ربع قرن على صدورها، وجاءت أبرز أبوابها على النحو الآتي:
قضايا عامة - عروبة وإسلام - الغناء - منتدى العربي - طب وعلوم - أدب
وفنون - تاريخ وأشخاص - استطلاعات مصورة - جماعة - أبواب ثابتة.

وتناظر أن الملامح العامة للمجلة ثابتة خلال مراحلها الطويلة التي بلغت
أربعين عاماً أو ستمائتها في ديسمبر الفارط (١٢/١٢/١٩٩٨م) دون اللجوء إلى حقيقة
التوقف أثناء الغزو العراقي للكويت.

ولن اختفت الأبواب والقضايا بين رئيس تحرير وأخر وبهما للمرحلة
الزمنية التي عاشتها المجلة، وما حدث فيها من متغيرات في العديد من قضايا
الثقافة والفكر والسياسة والإبداع.

وكانت المجلة ولازالت معنية بقضايا الثقافة العامة أكثر من عنايتها
بقضايا الإبداع الأدبي والللنفي.

فالعربي مجلة ثقافية تدرس على طرح الآراء من المنظور الواسع
للحرية التي يجب أن تتمتع بها الصحف والمجلات، ولا تعانى من مشكلة

التمويل التي ترتفق بسيها الكثير من المجالات، فيدون المال مكان العربى أن تستغر بالكيفية التي يشاهدنا الناس عليها، وهي تمثل تجربة فريدة حيث تمولها الدولة دون أن تتدخل في موضوعاتها وقضايا التي تطرّحها للرأي، كما أنها تتجنب الخوض في الكثير من الأمور التي تثير الحكومات العربية، وذلك بالعمل إلى النزاعات والتجزء والمغبب عن التفكير والأدب والفن وسائر الموضوعات التي تحذى القارئ والذى بدونه تتحول آية مجلة إلى ركام من الورق، ولكن هذه الأمور كانت العربي ولا زالت من أكثر المجالات شهادة وانتشاراً في الوطن العربي، والمقدمة في نطاق الثقافة والمعرفة وتقييم الطباعة والتصوير.

(٨) وينتicip القاريء العربي العديد من المجالات الثقافية التي تصدر في معظم البلدان العربية وبعض الدول الأجنبية فنطبع بمصر هذه المجالات (فصوص وهي مجلة للنقد الأدبي - وليدأع - المسرح - القصة - الشعر - أدبار الأدب - أدب ونقد - مجلة مجمع اللغة العربية - مجلة الأزهر - الشباب - حرفي - المصوّر - آخر ساعة) وغيرها، ونطبع في السعودية هذه المجالات (الفيصل - القافلة - اليمامة - أقرأ - الحرس الوطني - المجلة العربية) وغيرها، كما نطبع في الكويت (مجلة الكويت - عالم الفكر) وغيرها، ومثل مجلة الدوحة التي تصدر في قطر، وغيرها.

ج ٢

رابعاً: تأسيس الفكر والأدب من خلال المجالات الثقافية:

تعرض المجالات الثقافية الكثير من الفضايا التي يتجاوز حولها وينثر بها أغذية المتعلمين من ذوى الاختصاصات الفكرية والثقافية سواء أكان ذلك من خلال المقال أو التحقيق أو الخبر أو من خلال النص الإبداعي المتميّز.

ولاشك في أن الدور المدرّط بال مجالات الثقافية قد تأثر إلى حد كبير في السنوات الأخيرة لأنّباب عديدة تعلّم منها الصرف المنطقي إلى أجهزة (اللaptop والجهاز) وشكّلة المعلومات والاتصالات الدولية (الإنترنت) وابتعاد كثير من المتعلّفين عن مداومة القراءة التي لم تعد أعمّ وسيلة للتثقيف في الوقت الحاضر، ولنست الآن بعثّل مكانة عليه في النصف الأول من القرن العشرين.

وبحرص كبير من الكتاب من خلال المجالات الثقافية على تأكيد أن اللغة العربية، هي وعاد الفكر العربي، وعصير القرى والفهم الروحي والفكري بين العرب، والقاعدة الصتنية للكتاب القرمي، فإن دعمها وإلغاؤها وتحويلها إلى لغة التعبير الشامل جزء أساسي من عروبتنا، ومن تحريرنا الحضاري، كما أن التصدى لأية محاولة تثالل من مكانتها الثقافية واجب على كل مثقف.^(١)

و قضية اللغة العربية، من أبرز الفضايا الثقافية والفكيرية التي عرضت لها المجالات العربية، عبر تاريخها الطويل، وطالع بعض الأعداد من مجلة أنشأها إبراهيم مسطفى (أناطر دار العلم) وحسن رفقى (طبيب) وذلك في سنة ١٨٨٧م باسم (الصحة) .. للاهتمام بالأخبار الطبية والأنياء والمقالات الأدبية والعلمية، ثم أطلق عليها اسم (الأزهر)،^(٢)

(١) الفرج السايب، من ٣٦٧.

(٢) الصحفة المصرية وموافقها من الاحتلال الإنجليزي، د. سامي عزيز من ٢٩١، نشر دار الكتاب العربي، ١٩٦٨م.

وتعجب عندما نقرأ عن انتقال امتياز صحيفة الأزهر إلى المهندس الانجليزي (ويلكوكس) (المدير العام لإدارة الخزانات) في ذلك الوقت أما العجب فلأن اسم الصحيفة يدل على أنها لابد أن تتحدث عن الأزهر أو عن الإسلام أو عن اللغة العربية لكن الرجل لم يثبت أن تحول بها إلى هذا المجال الأخير، وجعلها حلقة .. من حلقات الدعوة إلى استخدام العامية وإدخالها محل الفصحى في التعليم والأدب^(١).

وقد أثارت دعوة (ويلكوكس) إلى ترك الفصحى والكتابة بالعامية همة الكثريين، فرداً عليها عبد الله التديم في مجلة «الأستان» ثم تناول القضية بتوسيعه في مجلة «النكتة والنكتة»، وتحولت إلى مناظرة طويلة بين كتاب مصر^(٢)

وكتب الدكتور أحمد زكي في الهلال عدد أكتوبر ١٩٤٤ م مقالاً يعنون «بين العامية والفصحي» وكان بحثه عن الألفاظ وأصولها، وأرجح الكثير منها إلى جذوره العربية، وإن انحرفت العامية به إلى غير ما وضع له، ودعا إلى استعمال الألفاظ المهمة المسيرة، قال:

إلتئى لا أُسعو إلى العامية، ولكن أُدعو إلى توسيع الفصحى حتى تشمل أكثر ما في العامية الحاضرة من سلالات عربية أخرى عليها الزمان بضياع أنسابها^(٣).

(١) الفرجع السابق، من ٢٩٢.

(٢) الهلال، العدد الثانى (أكتوبر ١٩١٢) من ٢٩١.

وتشعب الكلام في هذه القضية - فيما بعد - وإن كان الكثيرون من المثقفين قد فهروا أبعادها ومستوياتها خاصة في أساليب القصة والرواية.

وأذكر أنني كنت واحداً من تعززوا للنقد الجارح بسبب الدعوة إلى ضرورة الالتزام بالفصحي في الكتابة الأدبية حتى لو كانا تلهج بالعامية أو نسمع إليها في أناشيدنا وأغانينا بسبب ما وقعن فيه من تفرق بين لغة الأدب واللهجة العامية التي يفهمها جمهور الشعب.

وهذا يمكن دور المجالات الثقافية في تعزيز المسافة بين العامية والفصحي والتوفيق بينهما، حتى تنشأ لغة واحدة، تأخذ من الفصحي سلامتها وبلايتها وسموها، ومن العامية بسلامتها وجوبيتها، ذلك لأننا لا نرغب في صرف الشباب عن اللغة الفصحي بحجة أن العامية أسهل، ولا نود أيضاً (كما يقول أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة) «فصل الأدب عن الدين، وقطع الناصر عن الماضي، وعزل مصر عن العرب»^(١).

كما ناقشت المجالات الثقافية العديد من جوانب الكفر، ولم تخل عن بحث أصول المعرفة عند ابن سينا وعدد غيره من الفلاسفة المسلمين، كما عرضت لاستهان نظريات أرسطو في الفنون الأدبية والتصور والأشكال الفلسفية، وتعددت جوانب الاختلاف حول الناشر الفكرية المعاصرة مثل الواقعية والرمزية والوجودية مع الحرص على تأصيل الفكر العربي والفلسفة الإسلامية التي بحثها وكتب عنها الدكتور إيهيم بيومي مذكور الرئيس السابق لمجمع اللغة العربية، وغيره من الفلاسفة المعاصرين.

(١) وهي الرسالة، جـ ٤، ص ١٢٢.

كما لم تتوقف المجالات عن الدعوة إلى إبراء الفکر وبحث الثقافة العربية والتفريق بين الدراسات الهادفة لعدد من المستشرقين وما يسمى بالغزو الفكري الذي يتصل بالحقيقة الإسلامية، واستمر الإختلاف والجدل حول العديد من النقاشات الثقافية والتوكيدية التي شغل الناس بها كثيرة.

خامساً: دور المجالات في تطور الأدب والنقد:

لأشك في أن المجالات الأدبية والثقافية كانت ولا زالت حريصة على نشر الإبداعات المتقدمة من شعر ونثر، بالإضافة لما تخصصه بعض المجالات من أعمال متقدمة عن فن أو أكثر من الفنون الأدبية، أما المجالات الخاصة بهذه الفنون فلا تتوقف عن نشر التنازج الجادة تكميل الأديب والنقد، وللأقلام الشابة التي لم تزل حظتها من الشهرة والذيع.

لقد قامت المجالات بدور كبير في الحفاظ على اللغة العربية، والتقارب بين أبنائها، وكانت المجلة نافذة مبنية يطل منها المتقون على إخوانهم العرب في العالمين المستطلعة، فكتب في الهلال والرسالة والثقافة كثير من الرواد وأعلام الفكر من سوريا العراق والمعدودية وغيرها، أما المنهل فكانت بداية موقعة للمجالات الثقافية بمنطقة الحجاز، وأسهم بالكتابية الأدبية والتجددية فيها، وفي مجلة العربي (بالكويت) كروكية من أدباء مصر والشام والعراق.

وظهرت مجلة فصول فكانت نقلة حضارية متقدمة للبحوث والمقالات المتقدمة في مجالات الأدب والنقد غير أن عدديتها بالدراسات المعاصرة والناهض الجديدة وساحتها في بحار التأثير بال النقد العربي وإخضاع الأدب للنقد.

والمنطق المقطى والدراسات الرياضية قلل من درجة تفاعಲها مع الأدباء والنقاد الذين لم يرغيوا في بخوار ما ارتبطوا به من تراث القدماء وتطور المحدثين.

ولا يتوقف بحث الإبداع والتجديد في الأدب والنقد على المجالات الثقافية الشخصية بالفترن الأدبية، أو التي تجمع بينها وبين المعارف العامة مثل العربي (بالكريست) وإنما يأتي بحث ذلك ودرسه أيضاً في المجالات الدينية مثل الأزهر (بمصر) والمسكرية مثل الحسيني (بالسعودية) والعلمية مثل الفلكة (بالسعودية).

وتعدهـت قـلـونـ الأـدـبـ وـنـقـدـ النـيـ أـبـرـزـهـاـ وـطـورـهـاـ المـجـلـاتـ،ـ وـيـأـسـ فـيـ مـقـدـمـتهاـ (المـقالـ)ـ إـذـ أـنـ كـلـ مـجـلـةـ تـبـدـيـ بـحـثـ اـنـتـاجـيـ يـكـونـ مـدخـلاـ لـقـارـئـ يـعـرـفـ بـهـ عـلـىـ التـوـرـجـهـ الـذـيـ يـمـلـهـ رـئـيـسـ التـحرـيرـ،ـ وـجـمـاعـةـ الـكتـابـ الـذاـئـعـينـ،ـ وـبـيـانـ مـاـيـمـ السـاحـةـ الـقـاـفـيـةـ فـيـ بـيـانـ الـمـجـلـةـ وـزـمـنـ صـدـورـهـاـ.

وـالـسـقـالـ فـيـ قـدـيمـ شـهـدـ الـأـدـبـ الـحـدـيـثـ تـطـوـرـاـ وـتـجـدـيـداـهـ مـنـ خـالـلـ الصـحـافـةـ،ـ وـقـدـ جـمـعـ كـثـيرـ مـنـ الـأـدـبـ وـالـنـقـدـ مـقـالـاتـهـ فـيـ كـتـبـ مـنـداـوـةـ مـثـلـ أـكـثـرـ مـؤـلـفـاتـ مـهـ حـسـينـ وـعـبـاسـ الـعـقـادـ وـمـحـمـدـ حـسـينـ هـيـكـ وـمـصـطفـيـ صـانـقـ الـرافـعـيـ وـعـبـدـ الـعـزـيزـ الـبـشـرـيـ وـزـكـيـ مـهـارـكـ وـأـمـدـ حـسـنـ الـزيـاتـ وـأـمـدـ أـمـينـ وـمـحـمـدـ مـنـدـورـ وـسـيـدـ قـطـبـ وـمـحـمـودـ شـاـكـرـ وـأـمـدـ زـكـيـ وـبـيـنـ الشـاطـئـ وـزـكـيـ نـجـيبـ مـهـمـودـ وـغـيرـهـ.

وـمـنـ الـكـتبـ الـتـيـ قـدـمـتـ فـيـ شـكـلـ الـمـجـلـاتـ الـقـاـفـيـةـ (وـحـىـ الرـسـالـةـ)ـ الـزـيـاتـ (أـرـبـعـةـ أـجـزـاءـ)ـ وـهـرـ مـقـالـاتـ قـالـ عـلـىـ اـنـصـولـ فـيـ الـأـدـبـ وـالـنـقـدـ وـالـسـيـاسـةـ

والاجتماع والقصص، وإن كان لا يخفى على القارئ لها ما فيها من شمولية أقرب إلى النقد العام الذي لا يتسع فيه صاحبه في طرح الأراء، فضلاً عما يجلب عليها من خصائص المقالات الصحفية التي تعالج القضايا الثقافية والإجتماعية العامة.

أما (فيوض الخاطر) لأحمد أمين (عشرة أجزاء) فهو مجموعة من المقالات الأدبية والإجتماعية التي نشرت في الرسالة والثقافة، وإن كانت هذه تختلف عن تلك (السابقة) من وجوه كثيرة في مقدمتها ميل هذه إلى التوسيع، وإثبات المنفج العلمي والعلمية بالأفكار، والإرتكاز على التراث وتقديمه، وتحقيقه وبحث اقتصادياً الإيجاعية والعلقانية والساطة اللغوية، وفي هذه المناسبة لا أنسى - ما حبيت مكان يوميني به الدكتور/ محمد رجب البيومي حول متوررة القراءة الفاخصة لهذا السفر المميز لأحمد أمين.

أما المقالة النقدية للدون الأدبية وكانت قاسماً مشتركاً بين غالبية الرواد في مصر وخارجها، وقد طالعنا كثيرةً مما نشر في الهلال والسياسة والثقافة والنهل وغيرها عن تقد الشعر والنثر وما أثير على متن الصحفات من معارك نقدية لازال الناس يتحدثون عنها بكل تقدير وإجلال، فكتاب (على السفود) يشهد بعض مظاهر الصراع بين الراقى والمقاد من خلال المقالات التي نشرها الراغب أولأ في مجلة العصور الغراء.

ومن كتب النقد التي كانت شماراً باقعة لما نشر في المجالات الثقافية (حديث الأربعاء) لطه حسين، وقد نقل جزءه الثاني والثالث بعض ما أثير من عراك نقدى بين عميد الأدب ومعاصريه.

أما زكي مبارك فقد انتقض لما كتبه أحمد أمين ناقداً الأدب العربي والتراث بعامة، فرد عليه بالشرين وعشرين مقالة بعنوان (جذابة أحمد أمين على الأدب العربي) طبعت في كتاب بالعنوان نفسه مع عرض ودراسة لحسين خريص (المستشار الثقافي في جامعة الدول العربية) وشارك في هذه المعركة الشرسة كثير من الكتاب والأدباء في مصر والبلاد العربية.

أما (السيزان الجديد) فهو حصيلة لم يضعه مالشهه محمد مت دور عن النقد والنقد في مجالي الرسالة والنقاوة، وقد شمل العقاد وسيد قطب ببعض هذا النقد الذي دار جزء منه حول الشعر الهموس والهمس في الأدب.

وشارك الكثيرون في المعارك التي دارت رحاحها على رؤية العقاد عن الأدب والحياة والمجتمع، وعما ماكتبه طه حسين عن الأدباء المعاصرین وعن دعوة محمد مت دور إلى الالتزام الصالحة في النقد والفكير، وما دعا إليه الآخرون من الحرص على الصدق في الأدب، فانتقل النقد من كونه حركة بعث إلى حركة تجديد ثم إلى تواريات وإنجاهات مشهورة.

وكتب محمد تيمور عن (التنازع بين الفصحي والعجمية في الأدب المصري الحديث) (الهلال ١٩٣٢م)^(١)، كما كتب أحمد زكي (بين العامية والفصحي) (الهلال ١٩٤٤/١٠)^(٢)، وقد عرض الهلال في الكثير من أعداده

(١) الهلال السادس (عدد ديسمبر ١٩٣٧م)، ص ١٨٥.

(٢) الهلال (أكتوبر ١٩٤٢م، ص ٢٢٣).

لتجديد في الشعر وملامح النصبة القصيرة ذلك الفن الجديد الذي وضحت معالمه على صفحات العديد من المجلات خلال القرن العشرين^٢

وقد اتى النقد في بعض جوانبه إلى الحديث عن الكتب وبيان مافيها من جوانب مهمة مثل نقد بنت الشاطئ لكتاب (دفاع عن البلاغة) للزيارات والذي نشر بمجلة الكتاب عام ١٩٤٦ ، فقضى الزيات لهذا النقد عصباً شديداً ثم هدأت تورته.

وكثيراً ما كان يثير هذا اللون من الكتابة النقدية ثورات عارمة تتجاوز الناقد والمستقرد، أو تلقي الأنظار إلى كتاب أو رواية لكتاب جديد، وكان سيد قطب واحداً من النقاد الذين شاركوا في الكتابة عن نقد الكتب، وافتتح اثر أستانه العقاد على عکس ما كان يراه ملء حسين وهكل ومصطفى عبد الرزاق ومحمد مندور في الدعوة إلى إبراء الأدب والنقد بالتزامن بين المقاومين العربية القديمة والأوروبية الحديثة^٣.

وجمعت المجلات الأدبية بين ثغر الشعر ونقده، وظهر كثير من الشعراء على صفحات المجلات مثل محمود حسن إسماعيل (مصر) وعبد الوهاب التبياني (العراق) ومحمد القيدوري (السودان) وبعثت المجلات فصایا الشعر وتطوره والتخلل من الفاقية، واستخدام البهور المجزوحة، وشرح ملامح الشعر الحر والشعر المرسل وسائل القهقحايا التي كتبت فيها نازك الملائكة (العراق)، وصلاح عبد الصبور (مصر) وعبد العزيز المقالح (اليمن) ونizar قفاني (سوريا) وغيرهم من الذين عرّضوا لغة الشعر وأسلوب كتابته وتطوره ميدان الدراما، كما

نشرت مجلة العربي عشرات المقالات عن قديم الشعر وجديده، وجمع بعضها في كتاب العربي (كتوبر ١٩٨٦م) وبعده بأقلام الدكتورة محمد متاور وزكي نجيب محمود وعبد العزيز المقالح وأثنين المتقدسي.

وأهتمت المجالات بالفنون التلرية الجديدة أو المسخدمنة مثل الرواية التي نشر الكثير منها على حلقات مسلسلة، كما كانت بعض المجالات تخوض أعداداً كاملة لرواية واحدة كالمجلة الجديدة التي نشرت رواية (عيث الأفخار) لنجيب محفوظ، وكثير الاهتمام بتعريف الروايات الأجنبية، ولازلت مجلة الهلال تترجم مثل هذه الروايات وتنشرها.

وعرف القراء القصة القصيرة (الحديثة) من خلال إصدارات محمد ومحمود نيمور ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وبخيري حقي ومحمد طاهر لاشين وغيرهم. كما أهتمت مجلة الثقافة التي أنشأها يوسف السباعي في أوائل السبعينيات بإبداع هذا الفن وتقنه، وكذلك، مجلة القصة ومجلة إبداع التي تصدرها الهيئة العامة للكتاب.

وأهتمت المجالات لألوان أخرى من فنون الأدب مثل الترجم للأعلام، وأسمه حله حسين وهوكل والعقاد وأحمد أمين وعلى أنهم ينطاج متميز في هذا النوع، كما كتب بعض الرواد ترجم لحيواناتهم نشروها في المجالات أولاً قبل أن يطبع في كتب مدارلة.

وأهتمت المجالات أيضاً بالمسرحية وهي من الأجناس الأدبية الجديدة تكتبه وانتقدتها بعض أعلام الأدب والذكى في العديد من المجالات وربما توفيق

الحكيم في مقدمة من مارسوا هذا اللون من الإبداع^{*} وعرض الدكتور علي شلش للمجلات الأدبية في مصر من عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٥٢م وذكر أن (الأجناس الأدبية المعروفة) .. كانت - في مجدها - قنوات للتعبير عن الاتجاهات التكربية والأدبية التي عكسها المجالات الأدبية وكذا عن الفصايا التي شغلت المجالات وكتابها، والمعارك التي أثارتها، أو أثاروها فضلاً عن كونها أدلة الكتاب ووسائلهم في خطابية جمهورهم^(١).

إذا كانت المجالات الثقافية والأدبية قد وقفت العلاقة بين الكاتب والقارئ منذ عرف العرب الطياعة فإنها - الآن - لم تتوان عن مواكبة العصر والتفاعل مع الأحداث والمتغيرات، والتعبير عن الفصايا الأدبية والنقدية التي تشغل المثقف العربي في شتى بقاع العالم وقد فرنا - أخيراً - أن بعض المجالات قد تجاوالت مع التطور والتتجدد في مجال نشر الإبداع الثقافي، فانتقلت بسطورها إلى شاشات الحاسوب (الكمبيوتر) وشبكات الاتصال العالمية (الإنترنت) وإن كانت الكلمة المسطرة والمحشورة في مجلة أو كتاب سيفني إلى سحرها وأنثرها عند كثير من المثقفين^{*}.

(١) المجالات الثقافية في مصر، من ٢٠٠، د. علي شلش.

الفصل الثالث

تعليم القراءة للمبتدئين *

(مقدمة)

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أبيه وآله وآل بيته وصحبه وأصحابه...
وبعد - قال تعالى: ﴿أَفَرَا يَاسِنْ وَكَلَّذِي طَقَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَىٰ﴾
﴿أَفَرَا وَكَلَّذِي الْأَكْرَمُ﴾ ﴿الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَ﴾ ﴿عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
«العلق» ٥-٦.

تشهد هذه الآيات - وهي أول ما نزل من القرآن الكريم - على قيمة القراءة والتعليم (بالقلم) ... لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان، ولم تكن هذه الحقيقة إلا ذلك بهذا الموضوع الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية، ولكن الله - سبحانه - كان يعلم قيمة القلم فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية،^(١) مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ ولا يكتب، ولكن الله سبحانه وتعالى أعلى شأن القراءة، وبين أنه مصدرها الذي ليس هناك سواه.

ولقد عرف الإنسان الكتابة والقراءة منذ الآف السنين، وتحدث الخطوط التي دونت بها الحضارات المختلفة، وعرف العرب الكتابة في الجاهلية وسمّلوا

* تم إعداد هذا البحث مساء يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٤م الموافق للحادي عشر من مارس سنة ١٩٩٩م.
(١) في حلول القرآن: ميد فليب ج. من ٣٩٣٩، دار الشروق.

بها بعض أشعارهم، إلى أن جاء القرن الثاني الهجري، فانتقلت العلوم والآداب العربية من القلوب والشفاعة عبر رحلة طويلة مع الرواية إلى الحفظ والتدوين، و«القراءة» عملية يراد بها إيجاد الصلة بين لغة الكلام والرموز الكتابية، وتتألف لغة الكلام من المعاني والآيات التي تؤدي هذه المعانى، ويفهم من هنا أن عناصر القراءة ثلاثة، هي:

- ١ - المعنى النهضي.
- ٢ - النقطة التي يوديه.
- ٣ - الرمز المكتوب.^(١)

فالقارئ يحول الرمز المكتوب إلى المعنى النهضي، وهذه هي القراءة السريعة، أو يحول الرمز إلى الفاظ مسموعة، وهي القراءة الجهرية، وهكذا لا بد أن تشمل القراءة على التعرف والتحقق والفهم بحسب تختلف من شخص أو من تلميذ إلى آخر.

وقد تطور مفهوم القراءة بتطور الكتابة، وألات الطبع الحديثة، وصار القارئ لا يكتفى بالرموز المكتوبة وتعريفها، والتحقق بها، بل أصبح يهتم بالمعنى والفهم الجيد للنص والتفاعل معه ونقاذه وتصصيره والحكم عليه بما يفيد الفرد أو الجماعة، وترتب على ذلك أيضاً أن تغيرت أساليب الكتابة والقراط القراءة، فقد عرف الناس في غمرة التطور العلمي القراءة والكتابية بطريقة (بريل)، وهي خاصة بمن حرموا نعمة البصر، وعرفوا أيضاً أساليب متعددة تستخدم فيها الرموز (والشفرات) من خلال الأجهزة الحديثة.

(١) الترجمة التي لمدرسي اللغة العربية: عبد العليم إبراهيم من ٦٧.

تهدف القراءة إلى معانٍ سامية تتمكن على الفرد والجماعة، وهي نافذة المعرفة، وأداة للاتصال، ووسيلة لتدريب الأذواق، وقناة لربط الماضي بالحاضر، والحاضر بالمستقبل.

والقراءة ذات تأثير كبير في بناء شخصية الإنسان وصقل ثقافته، وتكون فكراً، وهي الأسان في تحصيل المعرفة وترسيخ المعانى وتنمية العقول، لكن ينصken بها القارئ من الكلام قوله وكتابة، وقد قيل: «اقرأ نقل، إن الكلام من الكلام».

ويحظى الفرد بالاحترام وبالمكانة الرفيعة لما درأته على القراءة، فهو يعرف بها أخبار العالم، ومشكلات الشعب، ونوازير الأحداث، وتصبّع بها دائرة معارفه وخبراته، وهي الأسان في كل عملية تعليمية، ولا يتوقف النجاح في الطور المستندة مع الإخفاق في القراءة ولا يمكن أن نعلم أبناءنا القراءة بل يجب علينا أن ندفعهم إلى الاستمرار فيها، فهي تزجية للمراع، واستثمار ثروت، وإحياء للروح، وتنظيم لعلاقة الفرد بالجماعة.

ولذا كان موضوعنا هو «تعليم القراءة للمبتدئين»، فلابد من الإشارة إلى أن المتعلمين يحتاجون أيضاً إلى من يشرح لهم كيفية القراءة، فكثير من المتقفين يواطئون على القراءة، ولكنهم لا يظفرؤن من جهودهم إلا بالقليل من المكانة نتيجة لعدم معرفتهم بالطرق والوسائل الصحيحة للقراءة.

أما المبتدئون فهم الذين يحتاجون إلى من يعلّمهم، ويذلك لهم عقدة المروف، وهو ينقسمون في حدود علمي إلى ثلاثة أقسام، وقد يزيدون عن ذلك.

الأولون: وهم صغار السن، الملتحقون بالمدارس الابتدائية أو رياض الأطفال، وتتراوح أعمارهم بين السادسة والسابعة غالباً، وهؤلاء من سينتظر هدا البحث عليهم؛ لأنهم الأكابرون غدراً وأهمية، وتدور حولهم النظريات التربوية المتصلة بطرق التدريس، ويشغلون جزءاً من اهتمامات رجال التربية وخبراء التعليم.

والثانون: وهم كبار السن المبتدئون في القراءة، وأعدادهم قليلة جداً بالنظر إلى الصغار، وأكثرهم ينهض بأعمال ووظائف، ولهم أسر وبيئات اجتماعية، والنجاح في النتائج القرائية الخاصة بهم ليس كالنجاح الذي يتحقق للصغار، فلا يطغى على أحد أن التعليم في الصغر كان نتائج على المجر.....

والآخرون: هم المتعلمون للقراءة من يطلقون بغير العربية، وهؤلاء قلة قليلة، يقاربون في المستوى والدافع، وتهضم بعض المعاهد العلمية بالإشراف عليهم وتعليمهم القراءة والكتابة.

وقد اعنىت الأبحاث والدراسات المتدرجة بالأطفال الصغار في السنة الأولى الابتدائية بصلة خاصة، وعندما ينتقلون إلى السنة الثانية فإنهم يسعون إلى تطوير وسائلهم القرائية، ويستمر هذا التطوير من عام إلى آخر إلى أن يحصلوا على القراءة، ولا يرتبط هذا بسنة دراسية محددة، كما يختلف من طالب إلى آخر حسب القدرات العقلية والحسية المتفاوتة.

تعليم القراءة للمبتدئين (الصغار)

ما هو معلم سلنا أن الحديث عن طرق تعليم القراءة يتجه إلى أطفال الصنف الأول الابتدائي، وأن الخبراء والمحضرين يبذلون جهداً كبيراً في وضع الخطط والمناهج، وشرح الطرق والوسائل التي تساهم في سرعة التعلم بالنسبة للطلاب وبالم索رة الصحيحة التي لا تجعله ينسى في قليل من الوقت ما تعلمه في سنوات كثيرة بالمدرسة الابتدائية. ولم تعد الطرق التعليمية محتاجة لإضافة طرق أخرى تنقل روؤس المدرسون الذين يدربون الآخرين بأدائهم في كل المختبرات التي تلقي بكتاب القراءة من جميع الزوايا، ولذلك لن أضيف طريقة جديدة أو أكثر، وسوف يقتصر جهدي على بيان الطرق الموجودة، والتي تتحذى من المناهج الفائمة أو التي في حق التجريب أو التي لازلت في حيز الاقتراح أساساً وأنأها لها، مع تقدّها وبيان محسانتها وعيوبها واختيار الطريقة المناسبة لتعليم القراءة .. والتعميد لكل ذلك بما يطبيق فعلاً في المدارس الحكومية للبنين والبنات وغيرها من الجهات المشاركة لها في العملية التعليمية في سائر البلدان العربية.

ويقول أحد الخبراء: أهل رجال التعليم، وعلماء التربية، لم يختلفوا في طريقة التعليم لأية مادة من المواد الدراسية، اختلفوا في طريقة تعليم القراءة للمبتدئين، فقد وقفوا من الطرق المختلفة موقف التأييد أو المعارضنة مع شيء كثير من الجدل والتصويت، ولكننا نستطيع أن نهمنا من هذا الخطاب، وأن نحصر شيئاً من هذا الخلاف إذا رأينا في المعاشرة بين الطرق المختلفة، وأن ن quis

مدى تجاج كل منها في اقتصاد الوقت، وبلغ العالية ومدى مسابرتها للطبات
النفسية والذهنية^(١).

كما أن بعض الخبراء وأرباب الأمور يميزون طريقة على أخرى فيختارون
إحداها؛ لأنهم تعلموا بها، وأنفوا أسلوبها؛ أو لأن أبنائهم وفقورا في التعلم من
خلالها، ويرفضون لذلك آية طريقة أخرى، ويبدون أن التجاج في القراءة يرجع
إلى أمر كثيرة مثل الصنفج واستعمال الطفل، وقذاعة المدرس بمهمته .. ومن
المسلم به أنه - إلى الآن - لا ترجم طريقة سلمت كل السلامة من النقد، أو
حققت أغراضها كاملة، ومن المسلم به - كذلك - أن عماد الطريقة إنما هو
المدرس، فالطريقة الجيدة سبعة في بد المدرس غير الصالح، لأنه ينشئ جمالها،
ويطعم مزاياها، والطريقة السيئة تستطيع المدرس الماهر تعطيله ما بها من
عيوب، ولذلك كان من الصعب الموازنة بين طرفيتين، والحكم بأفضلية إحداها
على الأخرى، ومن الواجب - إذن - أن ننفع بعزاها كل طريقة، وألا نعد
طريقة يعندها فاسدة كل النساء، أو صالحة كل الصلاحية^(٢). كما تتوقف
طريقة التعلم على الطفل من حيث درجة استعداده، ومدى تقبله للقراءة وتبرز
ذلك ثلاثة أساليب هي:

١ - أسلوب التصويب:

ويتمثل في إكراه الأطفال على تعلم القراءة منذ دخولهم المدرسة سواء
كانوا مستعدين لها أم غير مستعدين، وهو الأسلوب الذي يسمى إليه الموجه،

(١) المراجع السابق، من ٧٧.

(٢) المراجع السابق، من ٧٧.

ويتوقعه على الأمر، وقد كانت المدارس تصطحب طريقة الحروف في التعلم، وكان على الأمر برىء اينه ينطق بعض الحروف، فبيش له ويسعد بما بدأ طفله ينطق به ويردد.

وعندما بدأت الدراسة تستعمل الطريقة الكلية، والتي لا يبين أثرها عاجلاً ارتفعت الأصوات بالشكوى من التأخير في القراءة... وانهم المدرس بالعمر والفشل، ولذلك يلجأ المعلم إلى كلة تذكرة الدروس، وتدريب التلاميذ تدريباً مستمراً، وربما لا يأثر ذلك بنتائج مثمرة نتيجة لعدم بلوغ الطفل درجة الاستعداد الكافي، والتصحيح العقلي، وقد يؤدي إكراه التلاميذ على العلم آنذاك إلى اضطرابات نفسية، وبهذا يصبح التعجيل ذات سببٍ، ونتيجة غير مرغوبية.

٢ - أسلوب المنهول:

يتأتي هذا الأسلوب على عكس الأسلوب السابق.. «ولذلك أن يوحّد كل طفل بالسمونة الفردية والتشجيع اللذين يحتاج إليهما لتعلم القراءة حسيناً يكون ممتعداً لعملية التعلم»^(١)

ولا يختلف هذا الأسلوب عن الطريقة التي تعلم الطفل الكلام بها في سنوات عمره الأولى من حيث التدرج في استقبال الكلمات وترديدها، حيث استعمل الآباء أسلوب التمهل في تعلم الحديث، وما عليهم إلا أن يرشدونه عندما يخطئ، ويهملون له الطروف المناسبة لتلقي مفردات اللغة عبر أجهزة السمع والنطق المتوفرة له. ويقول أحد الخبراء عن هذا الأسلوب: «خلاصة هذا

(١) الطفل يتحدد للقراءة: محمد محمود رضوان من ٧٢، دار المعارف بمصر.

الأسلوب أن يتطلّب بتعلّم القراءة بطريقة تقاسية مطبوعة من غير إكراه، وكل ما يتطلّبه هذا الأسلوب أن يهدى المعلمون وأئمّة الأمور شيئاً من الصبر والثبات، وأن يدعوا (الطبيعة) تقدم بدورها في رفق وعوادة^(١).

٣ - أسلوب التأجيل:

يقوم أسلوب التأجيل على إرجاء تعلم التلاميذ للقراءة بعد دخولهم المدرسة مدة قد تطول إلى سنة شهور أو عام دراسي..... والفرق واضح بين أسلوب (التمهيل) وأسلوب (التأجيل)، فال الأول قد يؤدي إلى التأجيل بالنسبة لبعض الأطفال دون بعض، أما الآخر فيعني التأجيل للجميع، وقد يكون هذا التأجيل مناسباً لبعض التلاميذ، ولكنه قد يؤدي إلى حرمان بعضهم الآخر من خبرة القراءة، مع أنهم يلقو استعدادهم لها^(٢). وتنطلق فكرة هذا الأسلوب من الاعتقاد السائد بأن الأطفال يكونون أكثر استعداداً عندما يكبرون، في السن، وليس هذا صحيحاً إذ أننا نشاهد في حياة بعض التلاميذ وقد قطعوا شوطاً كبيراً في تعلم القراءة وتزدادي العمل مع أن عمرهم لم تتحفظ المسماة بعد، فليس العمر الزمني للطفل هو الفيصل الوحيد للنجاح في القراءة؛ إذ أن هناك عوامل أخرى تسمى في سرعة تعلمه للقراءة غير ما ذكرنا، منها الذكاء والتصفح الجسدي والتصفح الاجتماعي والبيئة المحيطة بالطفل، والوسائل التي تهيئه للقراءة، وزيادة ححسيلته اللغوية. ونؤكد أن هنا الأسلوب يجعل الطاقة عند كثير من الأطفال الذين توفرت لديهم الوسائل المادية والمعنوية سواء في البيت أم في

(١) السائل، من .٧٣

(٢) السائل، من .٧٤

المدرسة، ولكنه ربما يناسب مع عدد قليل من التلاميذ الذين يستوعبون بصورة أكبر عندما يزيد عمرهم الزمني سنة شهور مثلاً عن قرنتهم. إذن: فتعلم القراءة والتقدم فيها عند الأطفال يعود إلى أمور كثيرة منها: اختيار الطريقة الملائمة التي تتناسب مع مستوى الذكاء، وال stitching العقلي عند التعلم، والعناية بامداد الكتاب بحيث يقدم الطريقة المختارة بأسلوب ملائم، ورفع المستوى النهائي للمدرس، وعدم إرغامه على العمل بهذه الهيئة إلا لابد أن تكون قادمه بها نابعة من نفسه، وليس لأنها تعطى حواجز أكثر.. وأجازات أطول ولا بد أنها من العناية بالطفل والتعرف على مدى استعداده للتعلم سواء أكان هذا الاستعداد عقلياً أم جسماً أو غير ذلك.

طرق تعلم القراءة.

توجد ثالث طرق لتعليم القراءة للمبتدئين هي الطريقة التركيبية والطريقة التحليلية والطريقة المزدوجة، ومتحدث عن كل واحدة بما يكشف عما يندمج تحت كل واحدة منها من طرق فرعية.

أولاً: الطريقة التركيبية:

تقوم هذه الطريقة على أساس تعلم المعرف، والانتقال منها إلى الكلمات ثم إلى الجمل، ففيها يهدى المعلم بتجهيزه لانتظار الأطفال وأدائهم أولاً إلى المعرف الهجائية وأصوات هذه المعرف، ثم يدرج بهم إلى نطاق كلمات تكون كل منها من حرفين أو أكثر، ولها سمعت (الطريقة التركيبية) لأنها تقصد أولاً إلى الأجزاء، ثم إلى تركيب هذه الأجزاء، لتكوين الكل وتسمى أيضاً (الطريقة

الجزئية)،^(١) وقد اتبعت هذه الطريقة منذ القدم، وتعلم عليها كثير من الناس وتندرج تحتها طريقتان فرعيان هما:

(١) الطريقة الهجائية، أو الطريقة الأبيدية، وتقوم على تعلم الحروف بأسمائها مسلسلة، فيقال: «ألف، باء، ناء، زاء، حيم... إلى باء»، ويكون المعلم منها كلمات لللاميذة، بحيث تكون هذه الكلمات من حروف منفصلة مثل زرع، ثم ينتقل إلى تقديم كلمات تتشابه بعض حروفيها مثل وجد، ثم يقدم كلمات تتشابه كل حروفيها مثل كتب، أو أن يلجم المعلم إلى تحفيظ تلاميذه بعض الحروف الهجائية التي تكون كلمات ذات حروف منفصلة ثم متتشابكة مثل الزاي والراء والعين ويكون منها كلمة (زرع) وينتقل إلى تحفيظه مثلاً الحروف (الواو واليمين والدال) ليشكل منها كلمة (وجد) وينتقل المعلم من تقديم الكلمات إلى الجمل، بحيث تكون أخيرة من الكلمات التي سبق تقديمها، وهكذا ينتقل من تعليم الحرف إلى تعليم الكلمة، ومنها إلى تعليم الجملة، شريطة أن يقدم الحروف محنبوطة بالمركيات (الفتحة - الصمة - الكسرة)، وينتقل منها إلى السكون، ثم إلى الحروف المدورة والحروف المشدة.

ويلاحظ على هذه الطريقة:

- أ - أنها سهلة على المعلمين؛ لأن أعداد الحروف محدودة، ورسمها بسيطة، ويسهل على المعلم معقليها وحفظ أنماطها.
- ب - أنها تقيت قولاً لدى تلزيم الأمور وأكثر المعلمين؛ لأنهم تعلموا بها، خاصة أنها تطلى نتائج سريعة، وهذا يشجع الآباء على التعاون مع المدرسة، كما تساعد على زيادة ثقة المعلمين بأنفسهم.

(١) المترجم الفقى عبد العليم إبراهيم من ٧٨.

ج - أنها تزود الأطفال بمتانج القراءة، وتنقل بهم من الحروف إلى الكلمات، ثم إلى الجمل، وهذا التدرج سهل وطبيعي، ولكنها لم تثبت أن ثبتت الهجوم والمعارضة من الخبراء والمخصيين، ووجهت إليها مجموعة انتقادات من قبل علماء التربية يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أ - تعارض مع مفهوم علم النفس في إدراك الكل قبل الجزء، خاصة أن الأطفال يعترفون على الأشياء تعريفاً كلية.

ب - تربى في التلاميذ عادة البطء في القراءة؛ لأنهم يركزون على الحروف الأولى في حين أنه يرون الكلمة دفعة واحدة.

ج - تختلف طبائع الأشياء؛ لأن الأطفال يعيرون عن المعانى لا على الحروف.

(٢) الطريقة الصوتية: تبدأ هذه الطريقة بالحروف، وتقدم إلى الأطفال بأصواتها لا بأسمائها، فلا تنطق القاف مثلاً على أنها (قاف)، بل تنطق بصوتها (ق)، وتنطق الراء (ر)، وتنطق الميمزة (أ) وتنطق السين (س)، ثم يولف المعلم بيدها، ويتعلّمها الطفل دفعه واحدة (قراء) بحيث يركب بين حروفها تبعاً للحركات المختلفة، ويستطيع المعلم أن يتدرج في تعليمه للقراءة بهذه الطريقة من الحروف التي تكتب منفصلة إلى الحروف التي تكتب مجتمعة كما يبيّن: في الطريقة الهجائية، وقد كتب الأستاذ الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال عن هذه الطريقة فقال: «ولا شك أن الطريقة الصوتية، أفادت تعليم القراءة، وخالصتها من مساوئه كثيرة خلقتها للطريقة الأبجدية (الهجائية)، وشرحت بها مبادئ تعليم القراءة، فبعد أن كان يعلم

الحرف باسمه الكامل، أصبح يعلم بصوته، وكذلك أسماء الحروف أصبحت لا تعلم إلا بعد أن يتعلم التلاميذ جميع الحروف، وينتزن على القراءة نعمينا جيداً، وهي تغرن تعليم مبادئ القراءة بتعليم مبادئ الكتابة بعد أن كانت القراءة في الطور الهجائي تعلم منفصلة عن الكتابة وباسقة لها^(١).

ولعل هذه الفقرة تشير إلى أكثر المزايا التي تتحققها الطريقة الصوتية، والتي تستطيع أن تلخصها في النقاط التالية:

- ١ - تتفق مع الطريقة الهجائية من حيث سهولةها على المعلمين وإرضائها لأولياء الأمور، كما أنها مشجعة للأطفال، إذ يمكنون بها من تعلق الكلمات الجديدة التي تعرض عليهم.
- ب - إنهاء الطريقة الطبيعية لتعلم القراءة حيث يعتنى فيها بالصوت، ويتم الربط بينه وبين الرمز المكتوب، مما هو معروف أن الصوت عنصر مهم من عناصر تسهيل القراءة.
- ج - تتعاون في هذه الطريقة أكثر المعاون لاتمام عملية التعليم، وهي كما يقول الأستاذ عبد العليم إبراهيم: خير من الطريقة الأبجدية، ولكنها لا تعالج كل عيوبها.
- د - تحدث أحد الباحثين عن بعض معيزاتها فقال: «ممكن... الأطفال من إجاد القراءة بسرعة، فالحرف ذكر بمهمة وتنطق بأصواتها بيسرا دون

(١) طرق تدريس اللغة العربية، د. عبد الصمد موسى عبد العال، ص ٩، مكتبة عرب.

اهتمام بمعرفة أسمائها، كما هو متبع في الطريقة الهجائية^(١). ومن المعلوم أن لكل طريقة مزايا وعيوب، ومن مساوئ الطريقة الصوتية مما يأتي:

أ - أنها مثل الطريقة السابقة تسير في عكس الطريق التي يسير فيها عقل الطفل الصغير من حيث التعرف على الجزء قبل الكل.

- ب - يهتم فيها بتعلم أشكال الحروف ونطقوها دون اهتمام بالمعنى.
- ج - ترك في الأطفال عادات قبيحة في النطق، وقد يزداد المد فينطق حرفاً (زائد) في الكلمة، كما أن بعض الحروف تكتب ولا تنطق مثل ألف (مالـة)، والأم الشمشمية؛ وغيرها.

ولقد تخلت أكثر الدول العربية عن الطريقة التركيبية بضمها، ولم تعد فاقدة إلا على بعض مشابخ الكلاتيب الذين لم يتخلا عن الترتيب لللاحضتهم (ألف - باء - ناء...) حسب الطريقة الهجائية أو (ب فتح ب) و (ب كسرة ب) وهكذا.

ثالثاً: الطريقة التحليلية

تعتمد هذه الطريقة على تعلم الكلمات قبل الحروف (أى على عكس الطريقة السابقة) فالطفل يتعلم الكل قبل الجزء، على اعتبار أنها هو الترتيب الطبيعي في الكلام، فالمعلم يقدم إلى التلميذ أسماء الأشياء التي شاهدها في حياته، وتعرف على معظمها قبل مجيئه للمدرسة، ولذا يغفل على الدروس بشوق وشفق، وبعد أن يتعلم الكلمات (صورة وصوتاً) ينتقل تدريجياً إلى النظر

(١) طرق تدريس اللغة العربية: ٢. محمد عبد الفتاح أسماء، من ١٧٨، مكتبة البعثة المصرية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٣.

في أجزائها بارشاد المعلم طبعاً... كي يمكنه معرفتها ثانية، ويقدر على تهجيتها عند مطالعته بكلماتها، ولهذا سميت (الطريقة التحليلية) لأن الطفل يتعلم الكلمة مركبة، ثم يصلها إلى أجزائها وهي الحروف؛ ونسبي كذلك الطريقة الكلية؛ لأنها تبدأ بتعليم الكل، وهو الجملة، أو الكلمة وتنتقل إلى الجزء وهو الحرف، وأشهر ما يدرج تحت هذه الطريقة، طريقة (انظر وقل)^(١) أي أن هذه الطريقة تقوم على السير من الجملة إلى الكلمة إلى الحرف، وقد قيل إنها: تعتمد على تعلم الطفل بواسطة الجملة البسيطة المكونة من الكلمات التي يفهمها الطفل، والتي كثيراً ما يتلفظ بها ويسمعها لأنها مأخوذة من المعجم الذي يعيش فيه، واختيار هذه الكلمات يتم بعناية بحيث تتجاوب مع رغبات الطفل وأعابه، وتجعله يرددتها يفهم ومرح مثل فرا، لعب، تعليم، عصافور، جميل، إلخ. وقد اشتهرت هذه الطريقة باسم (انظر وقل) أي النظر إلى الصورة واقرأ مدلولها^(٢).

وإنتي كثيراً ما تحدثت عن تعليم القراءة للمبتدئين بهذه الطريقة؛ لأنها تؤدي إلى نتائج ممتازة، ولا تزيد أن نهون من الطريقة، أو ننفع إلى بيان مساحتها وعمورها قبل أن أسترجع ما ذكرته في الصفحات السابقة حول التركيز على دور المعلم، ومدى فناعته بالطريقة، واستعداده لبذل الجهد في مهنته، وإخلاصه في تعليم تلاميذه، ولذلك أؤكد ذلك بذلك بقولي: إن الطريقة هي المعلم، ثم يأتي بعد ذلك المستوى الفقلي للطلميد وملامنة المنهج، وتعاون لزيادة الأمور، واختيار الوقت المناسب لبدء التعليم.

(١) الموجه للمن، من ٨١، من ٨٢.

(٢) تعليم القراءة والكتابة، عبد الله العجل وخديع (المقدمة)، المطبع الأهلية للأوقاف بالرياض، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

وينتظر على الطريقة التحليلية (الكلية) طریقان أو أسلوبان:
١ - طريقة الكلمة:

ينظر الطفل في هذه الطريقة إلى الكلمة بصورةها المجملة، ويحلل حروقها، وتهجئها، حتى تثبت صورتها في ذهنه، ثم ينطق بها، ويعرض عليه المدرس مجموعة من الكلمات بصورةها لعدة موازنة بينها. وينشرط الأستاذ عبد التعليم إبراهيم لذلك عدة شروط مثل وضوح الصورة، وتكرار الأنفاس تكراراً كافياً، لتثبت صورتها في اللذن، والقدرة على النطق، وتكرار بعض المعرف في الكلمات، ليسهل بعد ذلك تعليل الكلمة والدرج في الاستثناء عن الصور، حتى يستطيع الطفل أن يميز الكلمة بمجرد النظر إليها. والمدرس أن يضع الأسلوب الملائم لتعريف التلاميذ على الكلمات... وطريقة الكلمة من أسرع طرق تعليم المفردات الأساسية للقراءة، وهي طريقة مباشرة إذا قورنت بالطرق الأخرى في تعلم التلاميذ عملية القراءة^(١)، وبهذه الطريقة عدة مزايا فائدة عن ذلك منها:

- أ - يتعلم الطفل الرمز والتلفظ والمعنى معاً.**
- ب - فيها شرقي للطفل؛ لوضوح الكلمات في ذهنه؛ نظراً لارتباطها بالصور الملائقة لها.**
- ج - تمكن الطفل من التعرف على كلمات متعددة، يسهل عليه تكوين جمل منها في وقت قصير.**
- د - تساعد الطفل على سرعة القراءة - كما ذكرت في السطور السابقة.**

(١) تدريس قون اللغة العربية: على أحمد مذكر، من ١٤٠ مكتبة لللاح بالكويت (١٤٠١ هـ ١٩٨٤) الطبعة الأولى.

هـ - تكتسب هذه الطريقة أهمية كبيرة من جرمن المعلمين على دمجها مع طرقة تكوين الجمل وأسلوب تقديم القصص، وبذلك يعود التلميذ على متابعة المعنى في أثناء القراءة.

ويؤخذ على هذه الطريقة عدة أمور منها:

- أ - استعمال المدرس (أحياناً) لكلمات بعيدة عن الطفل.
- ب - وقوع التشبيه في أخطاء قرائية نتيجة لخلطه بين الكلمات التي تتشابه في رسماها.
- ج - ربما يكون المدرس للأخر في تحليل الكلمة إلى حروف أحد الأسباب في عدم معرفة الطفل على التهجي، وهو أمر مهم في إجادته القراءة والكتابة.

٢ - طريقة الجملة

يعتمد في هذه الطريقة على الجملة... وطريقتها: أن بعد المعلم جملة قصيرة، مما يلتفت الأطفال، أو طالفة من هذه الجملة بينها ارتباط في المعنى، ويكتبهما على السبورة ثم يطلق بالجملة ويرددها الأطفال آفراضاً وجماعات مرات كافية، ثم يعرض جملة أخرى تشارك مع الأولى في بعض الكلمات وهكذا.. ويرشدهم في كل جملة إلى تعليلها إلى كلمات، ثم إلى أجزاء الكلمات، ويحسن أن تقرن الجمل ب بصورة توضحها^(١).

وإنجا بعض المؤسسات التعليمية - كما سبق أن قلت - إلى المزج بين طريقي الكلمة والجملة، ويتم التعرف على ذلك في السنة الأولى الابتدائية.

(١) الموجه الثاني من ٨٦، من ٨٤.

مزایا طريقة الجملة :

- أ - تشوق الأطفال إلى القراءة، وتدفعهم إلى الاستمرار والمتابعة.
 - ب - قدرة التلميذ على فهم معانى الكلمات الموجبة في سياق العمل.
 - ج - تعاير الجانب النفسي من حيث البدء بقراءة الجملة، ومن ثم الكلمة المفردة. وكما هو معلوم، لم تبرأ آية طريقة من العيوب إذ لوحظ على طريقة الجملة ما يأتي:
- ١ - صعوبة تفكك الجملة وتحليل الكلمات إلى حروف بالنسبة لطفل صغير.
 - ٢ - تحتاج هذه الجملة إلى كثير من الوسائل التي ربما لا توفر للمدرس في كثير من المناطق.
 - ٣ - تقلل من أهمية الرسم الإملائي؛ نظراً لأنصراف التلميذ إلى العدائية بالمعنى، والطفل بهذه الطريقة يكون سريعاً في القراءة منعماً في الإملاء.

ثالثاً: الطريقة المزدوجة

وتشتمي الطريقة (الدوليفية) أو (التوفيفية) أو (الطريقة التركيبية التحليلية) التي تجمع بين التركيب والتحليل، أو التي تجمع الجزء والكلن. ويرجع السبب في التجوه إليها، إلى أن كل واحدة من الطريقتين السابقتين تتضمن على مزايا وعيوب فكان الباحث على الطريقة المزدوجة الاستفادة من مزايا الطريقتين (الأولى والثانية) والتوليف بينهما في طريقة واحدة يتجدد فيها أيضاً عيوب الطريقتين السابقتين.

وقد تحدث أحد الخبراء عند ذلك فقال: «تخلو كل من الطريقتين التركيبية والتحليلية عن مأخذ إذا استعماها كل منها على انفراد، وتجنبها لهذان المأخذ يمكن للمدرس أن يجمع بين الطريقتين في طريقة واحدة، يعني أن يبدأ بالطريقة التحليلية (الكلية) ثم يستعين على شرحها باتباع ما جاء في الطريقة التركيبية (الطريقة الصوتية أو الطريقة الأبيجدية)؛ ليجمع بين تصور التلاميذ لرسم الكلمة، وإدراك ما تدل عليه من معنى، وبين أجزاء (الحروف) المكونة لهذه الكلمة، ويعرف هذا الانهاء بالطريقة المزدوجة»^(١).

وتأخذ غالبية الدول العربية بهذه الطريقة^(٢)، سواء في المنهج القائم في المنهج الذي تحت التجريب أو في المنهج المقترن. وإن لوحظت مجموعة من الفوارق بين كتاب رأى آخر. حتى هذه الطريقة التي أشار بها الخبراء لم تجرب بعض المعلمين وأولئك الأمراء؛ إذ لا زالوا ينظرون بشفف إلى الطريقة التركيبية بقصيمها (الهجائية والصوتية) التي تعلموا القراءة بها، كما لا زالوا ينظرون بإعجاب إلى الطريقة التحليلية، والتي يعبر عنها بـ (نظر وقل).

ويشرح بعض الخبراء الأسلوب التطبيقي لتعليم القراءة بهذه الطريقة فيقول: «وفي هذه الطريقة يقدم المعلم إلى الأطفال كلمات أو جملًا من خبرة التلاميذ، وفي تلك إفاده من طريقة الكلمة والجملة، ثم تكرر الكلمات والجمل بأصواتها وأشكالها العامة حتى تترسخ صورها في ذهن الأطفال، وترتبط

(١) طرق تدريس اللغة العربية: د. عبد الله مسعود عبد العال، ص ٦٧.

(٢) تجدها ممتدة في كتب وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية.

الحروف برموزها، وفي ذلك إقادة من الطريقة الصوتية، ثم تحال الجمل إلى كلماتها، والكلمات إلى مقاطعها، والمقاطع إلى حروفها، بحيث يتم التعرف على الحروف أسماء، وفي ذلك إقادة من مزيجاً الطريقة الهجائية.. ولا تخفى الطريقة عند هذه المرحلة، ولكن يستخدم فيها المتعلم الحروف التي توصل إليها في الخطوة السابقة في تركيب كلمات جديدة.^(١)

وقد أفضحت كتب التربية وطرق التدريس في الحديث عن الطريقة المزدوجة حتى باتت أحاديثها صورة طبق الأصل لا تختلف إلا في الصياغة والرؤى البسيطة، ولكنها تناقض حول الإشارة بهذه الطريقة التي تجمع بين العديد من الطرق والأساليب، وأمتدح الفدراء قدرتها على إقادة التلاميذ وصادرتهم في سرعة القراءة والكتابة وتخلصها من عروق الطريق السابقة، وعلى المدرس أن يقتنع بها، ويوفر بعض الوسائل التيسير لها، وأن تكون الكتب القررة واضحة الإخراج، وذلك حروف كبيرة، وأن تكون الصورة ملائمة مع الكلمة، وأن يحرص المعلم على عدم التفريق بين القراءة والكتابة. ويرى الأستاذ عبد العليم إبراهيم أن الطريقة المزدوجة تمر بأربعة مراحل هي:

أ - مرحلة التهدئة .. ويقصد بها أن يتجه العمل في هذه الطريقة إلى تهدئة الأطفال وتنمية استخدامهم للمواقف التعليمية التي سيمارسون فيها أعمالاً جديدة، وعقد الصلة بين البيت والمدرسة حتى لا يصدم التلميذ بمواجهة هذا التغير الفجائي في حياته، وبشكل المدرس من الكشف على المستوى العقلي لللاميد.

(١) طرق تدريس اللغة العربية: د. محمد عبد القادر أحمد، من ١٣٧.

وأن هذه النهاية ذات وسائل متعددة سواءً ما تعاون فيها الآباء مع إدارة المدرسة، أو ما تنهد فيها المدرسين بمحاربة التلاميذ على التعرف على الأشياء ومعرفة ما يدور في حواسهم وأعصابهم التي يستخدمونها في القراءة والكتابة.

بـ - مرحلة التعريف بالكلمات والجمل .. وهي تعد أول محاولة لأخذ الأطفال برموز الحروف المكتوبة . والربط بينها وبين الأصوات والألغاز المنطقية^(١).

ومن أهم الأعمال التي يقوم المدرس بها لذلك:

- ١ـ عرض كلمات سهلة على الأطفال.
- ٢ـ تدريفهم على النطق بها محاكاة للمدرسين، أو منفردین.
- ٣ـ إصافة كلمة جديدة أو أكثر في كل درس جديد.
- ٤ـ تكون جمل من الكلمات السابقة مع التدريب عليها.
- ٥ـ استخدام البطاقات واللوحات ونحوها من الوسائل الحصوية المعينة.
- ٦ـ تدريب الأطفال تدريباً كافياً للثبيت ما عرفوه^(٢).

جـ - مرحلة التحليل والتجريد .. وتهدف إلى تثبيت الكلمة أو الجملة ثبيتها تماماً في أذهان التلاميذ بطريقة التكرار . ويستطيع المدرس أن يبدأ ذلك مع التلاميذ قبل انتصاف العام الدراسي بحيث يتمكنون من تحليل الجملة إلى كلمات، وتجريد أصوات الحروف، وتحليل الكلمة إلى أصوات.

(١) الموجه الثاني: ص ٤٤.

(٢) المرجع السابق: ص ٤٩.

د - مرحلة التركيب... وتهدف إلى تدريب الأطفال على استخدام ما عرفوه من كلمات وأصوات وحروف في بناء جمل^(١). وأن هذالبناء يشمل بناء الجمل وبناء الكلمات .. وعموماً فهذه المراحل تكمل بعضها، وتؤدي إلى غاية واحدة؛ وهي عناصر مهمة في الطريقة المزدوجة تلك الطريقة التي لاحاز إليها أكثر العلماء والمختصين، وأثبتت صلاحيتها في ميدان التعليم، ولكن المشكلة أن كثيراً من المعلمين وأولياء الأمور لا يرثون عنها، وسعفهم النماذج العديدة من اللاميد لإثبات فشلها، وذلك لعدم قدرتهم على القراءة، وهو على أعتاب نهاية المرحلة الابتدائية وتحدى عبد العليم إبراهيم عن الطروض المراكبة لهذه الطريقة فقال: «ولكننا نقرر - منصفين أن هذا كله لا يرجع إلى عيب في جوهرها، أو نقص في أصولها الفنية والت نفسية، وإنما هي سيارة فقدت السائق المدرب الخبر، أو احتاجت أحجزتها في بعض مراحل الطريق إلى شيء من الإصلاح، أو استكمال بعض الأجزاء، ولو ثبّتت لها كل المقومات لوصلت بأربابها إلى القibleة المشودة في سر وسرعة»^(٢) رأى أن هذه الطريقة قد لا زالت سوء الحظ وسوء الفهم وسوء الحكم، حيث لم يأتُها المدرسون فلنكرروا لها، وهي تكفي شيئاً غير قليل من الجهد والتفكير؛ ونحتاج إلى فهم أصولها فيما صحّها واعياً، وأسهم في سوء فهمها نذكر أولياء الأمور لها، كما أن الوزارات المختصة في بعض البلدان المطلقة لها فرضت هذه الطريقة على المدرسين، وقدمنـت الكتب للأطفال بدون أن تشتملها بكتاب ووسائل أخرى تكون معاونة لهم على فهم هذه

(١) المراجع السابق، من ١١٦.

(٢) المراجع السابق، من ١١٨.

الطريقة الجديدة، ثم إنها تحتاج إلى وسائل متعددة سوى الكتب.. وهذه لا تكون متوفرة في مدارس القرى الصغيرة.

ضعف التلاقيبة في القراءة :

القراءة عملية محددة، ويختلف تعليمها من معلم إلى آخر، ومن طريقة إلى أخرى، كما يكون هنا ضعف راجعاً إلى ضعف قدرات التعلم، وعدم استقباله لكل ما يوجه له ويلقى عليه، وقد وضع علماء النفس عدة مقاييس للتعرف على قدرات التلاميذ، وأرجعوها إلى مجموعة من العوامل، وهي لما أن تكون عوامل عضوية أو عقلية أو اجتماعية أو عوامل ترجع إلى طريقة تعليم القراءة نفسها، فلا يخفى على أحد أن بعض التلاميذ يمكن أن يوفقاً في القراءة نتيجة تعليمهم بطريقة معينة، وما كان لذلك أن يتحقق لو استعملت منهم طريقة أخرى مثلاً، على أن هذه العوامل السابقة لها تأثير على ضعف التلاميذ في القراءة، وأن تلاشياً يمكن أن يحقق نتائج غير متوقعة، وأن القضاء على هذه العوامل وإتلافها عن طريق إيجاد القدرة القرائية عند التلاميذ، وبختصار على ما يستجد من مشكلات في التعليم تعود بالدرجة الأولى إلى بعض الخصائص الفيزيولوجية، والتي لا يستطيع الطفل في مرحلة عمره الأولى أن يتعارف عليها بسهولة مثل الحروف التي تزداد في الكتابة أو تختلف منها ، فهذه وغيرها تسبب عسر للتعلم في الصنفين الأول والثاني الابتدائيين بصفة خاصة.

أنواع القراءة :

للمطالعة أنواع كثيرة باعتبارات متعددة، ولا يعنينا هنا إلا أن نشير إلى نوعي القراءة من حيث الشكل وطريقة الأداء لدورهما في تحسين المستوى

القارئ عند تلاميذ الصفوف الأولى في المرحلة الابتدائية وهذان التوعان هما:

١ - القراءة الصامتة:

وهي عملية ذهنية لادخل للنطق فيها، وتنتمي إلى مجموعة من الأسس النفسية والاجتماعية، ولها مزايا عديدة، وستعمل في مواقف كثيرة، ولا تناسب مع السنة الدراسية الأولى في حياة التلميذ، وكما زاد عمره زاد تعوده على القراءة الجهرية، ويستعمل هذا النوع في موقف كبيرة خاصة في حصص المطالعة، وداخل مكتبة المدرسة، وفي قراءة بعض الوسائل التعليمية مثل البطاقات.

٢ - القراءة الجهرية:

هي قراءة تشمل على ما تطلب القراءة الصامتة من تعرف بتصري المزوم الكتابية وإدراك على مدلولاتها ومعانيها، وتزيد عليها التعبير الشفوي عن هذه المدلولات والمعاني، بنطق الكلمات والجمه عنها وبذلك كانت القراءة الجهرية أصعب من القراءة الصامتة^(١). ومن مزاياها أنها تعود التلميذ على إتقان اللغة وإجاد النطق؛ وتناسب مع نمو جسمه، وزيادة معارفه وتندمه في القراءة، ومن المستحسن أن يدرس التعلم تلاميذه عليهما في حصص المطالعة؛ ليسحح خطأهم، ويقوم أستاذهم، و يجعل أساس القراءة لديهم الجمل الناتمة لا الكلمات المنقطعة مع الحياة بموجة النطق ووضوح الكلمات وإخراج الحروف من مخارجها في بس وسهولة.

(١) الرابع السابق: من .٦٩

خاتمة

- ١ - تؤكد أن عماد تعليم القراءة للمبتدئين الصغار في المدارس الابتدائية إنما يشكل من المدرس والمنهج والطريقة.
- ٢ - توصي أبناءنا وزملاءنا من المدرسين وخبراء المناهج وطرق التدريس باتباع أسلوب (التمهيل) في تعليم التلاميذ، لأنه أثبت جدواه، في تقدم مستواهم القرائي بصفة خاصة.
- ٣ - يزدعي تعاون ولي الأمر مع إدارة المدرسة إلى نتائج ملموسة بالنسبة للطلاب وبخاصة فيما يتصل بمستوى تحصيلهم للقراءة.
- ٤ - يقتربن نحو الطريقة إلى التعلم بما يملك من استعدادات، مختلفة سبق الحديث عنها.
- ٥ - يتبعى اختبار الطريقة الملائمة في تعليم التلاميذ للقراءة، وتؤكد أن المدرس هو الطريقة.
- ٦ - تحتاج الطريقة المزدوجة إلى قناعة من المدرسين وأولياء الأمور ويجب على الجهات المختصة أن تعاون المدارس في تنفيذ الخطط والبرامج، والتي تسهم بصورة أو بأخرى في تقدم مستوى القراءة عند التلاميذ.

الفصل الرابع
دور المدرسة في تنمية
الجانب الخلقي للطلبة

(مقدمة)

أحمد الله تبارك وتعالى، وأصلح وأسلم على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله الذي خالقه العولى سبحانه وتعالى فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَكَنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَدِّدين﴾ (القصص: ٥٦).

أشكر الله سبحانه وتعالى على أن يسر لنا سبل هذا اللقاء، كما أشكر كل من أسمهم في عقد مثل هذه اللقاءات التي تثري الفكر، وتنهى في إيمان الرؤية حول تنمية الجوانب الخلقية عند أبنائنا التلاميذ في شئ المراحل التعليمية.

أما موضوع هذه المحاضرة فمن: دور المدرسة في تنمية الجانب الخلقي للطلبة، وهو موضوع وثيق الصلة بدراسة سبق أن أعددتها عن الروعي الديني لدى طلاب المرحلة الابتدائية، ومدى الاستفادة من برامج العلوم الدينية في التعامل والسلوك اليومي بالمدرسة. إذ أن التربية الخلقية جانب مهم من الجوانب المتعددة التي يشملها المنهج التكامل للإسلام، تلك التكامل الذي صار الالتزام به والتحت عليه هدفا لكل مخلص غبور، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «بعثت لأتم حسن الأخلاق». (رواه مالك).^{*}

* قدم هنا البحث في صورة محاضرة بإدارة للعامل بالائف يوم الثلاثاء الثامن من رجب ١٤٢٩ـ الرابع عشر من فبراير عام ١٩٧٩ م.

ونعتقد أن العناية بالروح هدف سامي وغرض، نبيل في الإطار العام لهذا المنهج، ذلك لأن الروح ملائكة مجاهولة لم نتعرف على حقائقها وكثيرها، وليس لدينا إلا ما ذكرته الشريعة في ذلك، ولكنها على كل حال وسيلة إلى الاتصال بالله، وتوصي اللامدة ببعض ما قبل عنها، لتفورة الجانب الخلقى لديهم، والتأكيد على طبيعة الصلة الكمالية بين الله والأرواح.

وإذا أردنا أن نرسى أبناءنا تربية إسلامية قوية، وأن نعمى الجانب الخلقى لديهم، فلابد من أن نلتزم بال تعاليم الإسلام في البيت والمدرسة والشارع والمجتمع كله، ونحن والله لحمد في دولة مسلمة، ولذا من الممكن والمتيسر أن تكون آمالنا في تربية الأطفال وفق المنهج الإسلامي محققة، لرفقية من الهدف المنشود، علما بأن بعض اللامدة لا يستجيبون لتنمية الجانب الخلقية عندهم بالصورة المرغوبة، ربما لعدم تعاون البيت مع المدرسة في ذلك، أو لانشغال الأب أو ليس الأمر عن أبناءه، أو تركهم للخدمة والسوق إلى غير ذلك من صور الإهمال، ومع التطور الحديث في العلوم والتكنولوجيا صار اللامدين فيها مؤذرات كثيرة يأتى في مقدمتها وسائل الإعلام المرئية التي تحرك أبناءنا - في مراحل معينة - إلى أصوات كذبيرة جداً، ومن هنا يأتي دور الأسرة والمدرسة ليكمل بدور المجتمع كل تأثير على اللامدة إيجاباً أو سلباً.

إن تربية الأبناء والإشراف عليهم مستولية أمّا الله سبحانه وتعالى، ولذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «.... فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»، أخرج البخاري ومسلم.

وعندما يدرك الآباء والأمهات تربية أبنائهم إلى من لا يليقون فيهم، أو ينشغلون عنهم بأعمالهم الخاصة، أو يقع الآباء ضحية للصراع بين أفراد الأسرة عند ذلك بعد الشفقة كيأن البيت ويفقد الآباء ذراً كبيراً من العنان والسلطة والشعور بالعطف، ويدفعون هذا وبالتالي على أخلاقهم وسلوكياتهم، ويتفقدون الوعي الديني الذي يهدى من تصرفاتهم، ويؤثر أيضاً على نتائجهم في الامتحانات، وتفسر الأسرة بهذا أسباب كثيرة.

ويتمدّد دور الآباء ليشمل مسؤوليتهم فيما يختارونه للأبناء من برامج «الثليغزون» أو الأجهزة الأخرى، فلا يلقى الآباء وبقية أفراد الأسرة الكبار أن يدركوا الآباء - والصغار خاصة - نهياً لكل ما ينشر وينادى، والذي يصلح للكبار لا يصلح بالضرورة للذائنة كما تنهض الدولة بدور كبير في ترشيد هذه الوسائل، لما في التعامل معها بإشراف من خطورة على الآباء.

وعندما يطرأ الطفل من المنزل إلى المدرسة فإنه يبدأ في الاحتكاك بالمجتمع سواء في ذهابه إلى المسجد، أم في تعرّفه على الأقارب والأصدقاء، أم في زيارته للمجيران. إن المجتمع دائرة أكبر وأوسع من محظوظ الأسرة. يبدأ الصغير في مشاهدة أشخاص من السوق ربما تختلف عما شاهده وتعرف عليه في نطاق أسرته، ومن الأفضل أن يحدث التقارب بين الذي يشاهد ويتعرف عليه في الشارع أو غيره من جوانب البيئة، وبين الذي تعلمه، وتعود عليه في نطاق أسرته حتى لا يحدث التناقض في مرجعيات الطفل فترنّد عليه بانتكاسات كبيرة في تصرفاته السلوكية.

لقد حرصت على أن تأبه - في البداية - إلى خطورة دور، البيت وتأثير الآباء على أبنائهم، وأن التلميذ يواجه نماذج من المجتمع قبل مجده إلى المدرسة، وكذا تكرر المقوله: البيت قبل المدرسة، والتربية قبل التعليم.. على أن دور المدرسة - مع أهميته - لا يدعي أن يكون بمفرز عن تعاظم البيت، وكلاهما يكمل الآخر، ولذا قال الأستاذ/ محمد قطب: «والمفروض في المجتمع المسلم الذي يتحاكم إلى شريعة الله، ويطبق منهاج الله أن تكون المدرسة إسلامية يمعنى أنها تربى تلاميذها ليكونوا صالحين، وتتشتت مع التربية الإسلامية التي يبدأها الطفل في المنزل، ويسير بها خطوات جديدة نحو الاتمام، بل المفروض - وفيها مدرسون متخصصون في التربية - أن تصبح وتقوم ما عسى أن يكون البيت المسلم قد نسيه، أو لم يحسن التوجيه فيه، ظلين كل الآباء موهوبين في فن التربية، وليس كلهم على المستوى المطلوب من حيث التصرف وسعة الإدراك، والمرونة اللازمة لعملية التربية»^(١)

وهكذا تتأكد الصلة بين البيت والمدرسة، إذ أن كليهما يكمل الآخر، ثم تأتي بعد ذلك العوامل الأخرى التي أشرنا إليها، ليظهر أثرها جديداً على الجانب الخلقي عند التلميذ.

الجانب الخلقي:

الأخلاق هي الأفعال والسلوكيات التي توصف بالحسن أو القبح، فالصدق والأمانة خلق، والكذب والخيانة خلق، وعندما نتحدث عن تنمية الجانب الخلقي فإنما نقصد الأخلاق الإيجابية الصحيحة.

(١) ملحوظ التربية الإسلامية، محمد قطب ج ٢ من ١٧٣، دار الفروق.

«إذا قلنا إن التربية هي توجيه سلوك الفرد، فإن الجانب الخلقى من غير شك يحتل مكاناً هاماً في عملية التربية، وذلك لأهمية الجانب الخلقى في حياة الفرد وحياة الجماعة، وهذه الأهمية تتصبغ مما يلاحظ من أن معظم أسباب القتل في الحياة راجع إلى هفوات خلقية وتوجيهية منه».

وغايدنا من التربية الخلقية [إعطاء الأقيمة الخلقية للسلوك الإنساني، وبحث للوجودان الرافق، وحنه على القيام بما هو حق وخير وجمال].^(١)

فالأخلاق هي أيضاً مجموعة الصفات التي يجب أن يتحلى بها الإنسان، ليكون مؤمناً تقيناً ومواطينا صالحاً، وبذلك تتأكد العلاقة بين الخلق والدين وبالأعراف الاجتماعية التي تخضع للقرآن والكتير والسنّة للتربية الشرفية. ومن هنا وجبت العناية بالأخلاق الإيجابية عند التلاميذ، حيث توجههم إلى القيام بالفضائل قبل دعورتهم إلى تحذب الرذائل.

وإنما الأمم الأخلاقية مابالسيست . . فـإن هـم ذهـبـتـ أخـلـاقـهـمـ ذهـبـوا

كان القدماء من التربويين يعتقدون الطفل مجموعة من الشرور يجب القضاء عليها، ولذلك كانوا يميلون إلى القسوة في التربية، ثم جاءت مجموعة أخرى من أمثال جان جاك روسو، واعتبروا الطفل خيراً بالفطرة، وأن اللصينية استعداد فطري، حيث يأنى الطفل إلى الحياة، وهو مزود بها، لكن الفساد يأتي من البخلة والنظرف التي يعيش فيها.

(١) كـيفـ نـرـىـ أـبـانـاـ؟ـ مـعـرـفـ زـرـيقـ مـنـ ٨١ـ دـارـ الـفـكـرـ بـدمـشـقـ.

ثم جاءت الدراسات النفسية الحديثة، وأقرت أن الطفل يأتي إلى الحياة غير خير ولا شرير، ثم يكتسب الاتجاه الخالي بالتقليد والمحاكاة، ويظهر لديه على نحو تدريجي، ويسير بمرحلة طويلة مفتوحة تندمج مع التطور الشامل النفسي الإنسان الذي تجاوز مرحلة الطفولة، وانتقل إلى أنطوار أخرى.

والذى ينظر إلى هذه الرؤية لا يراها تختلف كثيرة عن حديث لرسول صلى الله عليه وسلم قال فيه: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» متفق عليه.

لقد اعتنى الإسلام ب التربية الأبناء، ووضع الأسس التي ينطلق منها المسؤولون على التربية في خواصهم بالتأميم، وأن هذه الأسس متعددة ومتنوعة، فعلمها الجسمية والعقلية والروحية والخلقية، وأن التكثير يأتي ملائماً لعمر الطفل، إذ أن لكل مرحلة سنية ما يلائمها فلاذى يتضمنه ذو السنوات السبع مختلفاً بالطبع عما يتعلمه الطفل الذى يتجاوز المرحلة الابتدائية، وحصل ذلك أيضاً قال الرسول عليه المصلحة والسلام: «مرروا أولادكم بالصلة لسبعين، واستربوهم عليها لعشرين، وفرقوا بينهم فى المناجع، درواه أحمد...»

ويجب أن يكون تصوير الأبناء بالقيم الدينية، والخلقية متماشياً مع قدراتهم العقلية، وذلك لأن الدين عند الطفلة دين فطري محدود بعقلية

الطفول وأفكاره المحدودة، وعجزه عن تقدير المشكلات التي يقدرها عقل الشباب»^(١).

وأريد أن ألهي هنا إلى شيء مهم وهو القدرة، فالطفل قادر في متوسطه الأولى بخاصة للتأثير بمن حوله، والبعض يفعل أحياناً بعض التصرفات أمام الأطفال ظناً لهم لا يفهمون ما يفعله، ولكن هذا خطأ كبير؛ لأن الطفل يبدأ في التقليد منذ مرحلة الأولى.. ألمست الأفاظ التي يتعلمونها في المستويين الأولي والثانية من أعمارهم إلا تقليداً بمن حولهم؟.

وتحتمل التربية الخلقية - أساساً - على كسب الفضائل، وكسب العادات السليمة، وسلوك الطريق الذي يرتفع بالثانية إلى ما يتحقق له الخير، والفائدة، والصفحة، كذلك يتحقق له مجانية الطريق الذي يؤدي إلى النور.. أي الذي يؤدي الناس أو يضرّ بهم، من يعيش معه في جماعة واحدة؟^(٢).

صادمت الأخلاق لا تخلص عن الدين، فالواجب أن تزيد وتكتسح
طبيعة التربويين بالذريعة الدينية الإسلامية، فهي تقدم للإنسان فيما ومثلاً علينا تهذيب سلوكيه، وتحتني على الصدق، وتدفعه إلى عمل الخير، وتأمره بالغفور والمعروف، وتشجعه على الصبر، وتحصنه على الأمانة، وتکلفه بالسعى في الحياة، ولبحث عن الرزق، وتحبب إليه العمل والإيلاز.

(١) الطرق الخامسة في التربية لدارسي اللغة العربية والدين - محمد عطية الإبراهيمي، من ٦٤٧

- مكتبة الأنجلو المصرية.

(٢) كيف تربى للشلل؟! أحمد بن محمد ملحوظ، من ١٥، دارالمطبوعات الحديثة - جدة

- ١٩٨٤ هـ ١٤٠٤ م.

فالدربية الإسلامية تحيط ببنائنا، وتسلحهم بما يفهم من طغيان الاتجاهات المعادية الزائفة التي أحدثت تكسّح العالم في السنوات الأخيرة.

ويلاحظ أن مجال الأخلاق التي تنطلق من ديننا متعددة مثل: الصدق في القول والعمل، وحب الآخرين حباً نقياً صالحاً، والأمانة وهي ضرورة جداً في البيئة المدرسية، والالتزام بما فيه من طاعة وتنفيذ للأوامر المدرسية، والنظافة داخل المدرسة وخارجها، والحلم فهو سيد الأخلاق، والوفاء بالعهد والالتزام بالوعد، والرفق في الأمور كلها، إذ لا يكون في شيء إلا زله، ولا ينزع من شيء إلا شائه، واحترام الآخرين، وزيارة المرضى، والعطف على الفقراء والمحاججين، ومساعدة المحتاجين والمريضي، والاستثمار عند الدخول على الناس، والخاتمة بالظهور وغيرها. والواجب على الأسرة والمدرسة أن تتابع كل هذه الأخلاق وتعمّلها عند التلاميذ في شئ المراحل التعليمية.

قال الأستاذ عبد الفتاح أبو مدین: إننا في الواقع في الأرضين حفاظاً على مكارم الأخلاق والتمسك بالإسلام، وتطبيقه شرعاً وسلوكاً، فلا يليق بنا أن نفترط في شيء منه؛ لأنّه وحدة متكاملة نصاً وروحان، وينبغي أن يكون التطبيق.. وفق روح المنهاج، لأنه لا يليق بنا.. أن نأخذ ما يصلح لغيرنا.. على علاته، ونشيعه، ونشره فنتحمل تعزته وردود فعله، ومصيره، ونحن مسؤولون أمام الله عن أي تغريب أو تفسير، إنها مسؤولية جسمية، وبعنة كبيرة».

وقال : «ما أكثر ما تتحمل السلطة المذودة، من صحافة، وأغان، ومسلسلات وأفلام، من هذه الأدوار والأسماء، باسم الفن، والرأي والحرية الزائفة وعين الرقيب، وحسن المسؤولية. أرجو أن يحولا بين هذا المجتمع الخير، وبين هذه الأوضاع»^(١).

دور المدرسة :

إن للمدرسة دوراً كبيراً في تنمية الجانب الخلقي عند التلميذ، إذ أنها تستطيع أن تقدم ما يعجز عنه البيت، كما أن لديها من الأساليب، والأجهزة والمناهج مالا يتوفّر لأكثر الأباء، وهي تملك طاقة مزدوجة ينهض بها المدرس والوكيل والمراقب والمدرس والمشرف الاجتماعي وأمين المكتبة بالإضافة إلى صاحل المدرسة، والذين يتلوّحُونَ فيهِمْ أن يعاملوا التلاميذ معاملة أخلاقية طيبة تتطابق مع شعورهم بالأبرة نحورهم.

ويذكر أن هذه العلاقات والإمكانات - في حالة قيامها براجحتها - يمكن أن تؤثر تأثيراً إيجابياً فعالاً في أبناءنا التلاميذ من خلال البرنامج البوسي، كما يليغى أن تؤدي دورها ببروح الفريق كما يقولون، ويجب أن يكون أداوها متناسحاً ومكملاً لبعضه، ومواكباً لكل ما في القرارات الدراسية من أخلاق وعمل ومبادئ».

(١) قس. مد. د. المصطفى عبد الفتاح أبوزيد، من ٤١١، لمشر نادي جستة الأباء، ٢٠١٩-٢٠١٨.

الإدارة المدرسية :

تُقصد بالإدارة المدرسية المدير والوكيل، ومن ينضم بالذمة منهم مثل الموجهين و مديرى المناطق التعليمية وغيرهم . وهؤلاء جميعاً عليهم دور كبير في تربية الموالib الخلقية عند التلاميذ سواء عن طريق المدرس أم عن طريق المواد الدراسية، أو من خلال البرنامجه اليومي في المدرسة، وما يحث فيه من أنشطة وأنشطة مثل طابور الصباح والتنشيط البدني والمحافظة على نظافة المدرسة والاستفادة من المكتبة وأداء الصلاة، ومقد القاءات الدينية والتربوية ومتابعة مجالس الآباء والمدرسين ومراقبة الطلاب خلقوا داخل المدرسة، والتربية على الأخلاق القرآنية والسلوكية، والتحذير منها، إذ أن بعض التلاميذ قد يغلوونها عن جهل، أو يفرون بها بقصد الناظر أمام زملائهم الأصغر منهم، والاهتمام بالنشاط الثقافي والرياضي والاجتماعي والفنى، وتوجيهه بما يخدم الجوانب الخلقية، وتكون جماعات عمل داخل المدرسة من ذوى الأخلاق الحسنة؛ لإقامة نشاطات دينية متعددة تناسب مع أعمار التلاميذ، وتهتم بمتابعة الأنشطة الثقافية كالإذاعة ومجلات العائط، ومتابعة الطلاب خلقوا في الفصول والصالات المعدة لقضاء أوقات الراحة «الصباح»، ويكون ذلك بإشراف بعض مدرسي المواد الدينية.

ويحسن أن تتحمل الإدارة المدرسية على أن يكون هو المدرسة جواً علمياً هادئاً قائمًا على التسامح والتعاون، مبنية على الأخلاق الحميدة، فهذا الجو له انزكبي في غير الأخلاق الفاسدة في نفوس الطلاب وطبعهم عليه.

ويمكن للإدارة أن تنهض بإقامة معسكرات صيفية للطلاب، إذ أنها تنصي العب ببنهم، وتبث الأملة في نفوسهم مع التركيز فيها على الجوانب الدينية والاجتماعية والرياضية والتربوية.

وتؤكد أن الإشراف الإنذري والتربوي مهم جداً لأن النفس الإنسانية تتأمر - أحياناً - بالسوء، ولذلك من المفترض أن تنهض الإدارة بمتابعة المدرس من حيث المحضور والأداء وتتفيد التعليمات، وأن تعرّض أيضاً على حل مشكلاته، وأن تشاركه في فراغه وأتراحه، وحتى يدرك ويتأكد أنه ليس منعزلاً، وأنه قرد ذو قيمة في المجتمع، وبذلك يندفع إلى التقلّل في عمه والإيمان برسلاته، وإنقاء الله في الأمانة التي يقوم بها.

يجب على المدرسة أن تؤدي دورها كاملاً، لكي تصل إلى غرس القيم الروحية والخلقية، وتحكيم العقيدة من نفوس التلاميذ، كما يجب أن تكون أول مجتمع يوجه الإشعاع نحو تلاميذ ديننا الحبيب، وذلك عن طريق المناهج التي نقدمها، وعن طريق أهلها من قبل مدرسين أفاء متمسكين بتعاليم الدين الإسلامي الذي يدعوا إلى الأخلاق الحميدة، وتحت قيادة مديرين متزمنين بالأدلة الإسلامية، متاريبن للعلم الأعلى وللقدرة الحسنة للمدرسين والتلاميذ، متعاونين مع النبي في تهيئة الجو الملائم للنمو المطلق والروحي والديني عند الطلاب^(١).

(١) مجموعة آراء مقتبسة عن عدد من سلطات الرأي ليس وصلتي من الذكور حافظ المسعود والأستاذ محمد المارد، والدكتور محمد عصيري، والأستاذ عبد الله الأنصاري، وكلهم من متربين الكلية لفروسية بالطائف (كلية إعداد المعلمين).

ومن الأخطاء التي انتشرت أخيراً تلك الرواية التي يرددها البعض، وهي أن سلطة المدرسة لا تتجاوز أسوارها، ولقد كانت هيبة المدرسة - إلى زمن قريب - ذات تأثير على الطلاب، حتى إن الواحد منهم كان يدعا إلى أنواجه أستاذ، في محل أو شارع، هيبة منه، وتقديره له، ونتيجة لضعف هيبة المدرسة أحياناً صار التلاميذ لا يأبهون لها، ويعدون على بعضهم أيام بواينها، وأعتقد أن هذه السلوكيات السلبية يمكن القضاء عليها بمحض المتابعة، وتعميم الشعور الديني، والعداية بالنشاط الرياضي، وعقد الحلقات لحفظ القرآن الكريم، والعمل على خلق جو تسوده المعجبة والتعاون، والتسوية بين التلاميذ في العمل والاهتمام بهم، وإشمارهم بكلائهم ودورهم في المجتمع وظهور أحصنة الإدارة بالظهور الحسن، وحرصهم على القدوة الحسنة ودراسة مشاكل التلاميذ، وليلًا وألياه الأمور بكل ما يطرأ عليهم من مخفيات، وعلى كل فالدور المنوط بمدير المدرسة دور كبير وخطير إذ بإمكانه أن يسمى في تنمية الجانب الظاهري عدد تلاميذه مدرسته، متى كان قدوة حسنة في كل ما يقدم، فلا يمكن له أن يدفع منهم التحلى بالإخلاص إنما يكن هو نفسه متحلاً بها أيام كل الصغار والكبار بالمدرسة.

نستطيع المدرسة - من خلال إدارتها - أن تدعم كثيراً من المعتقدات والاتجاهات الحميدة التي تكوفت في البيت، كما يمكن لها أن تمحو أن بعض العادات والتقاليد غير الملائمة التي اكتسبها الطفول من أسرته، ولي sis من العسير عليها أن تزيل بعض ما يطلق بنفسه التلميذ من صرائعات مهزولة ترسّب في ذاكرته، وأن تدربه على ممارسة العلاقات الإنسانية القائمة على أسس إسلامية بطريقة منتظمة مخطططة، ولا يخفى علينا أن العناهج والمقررات، وبخاصة المواد الدينية في التأثير الإيجابي على الجوانب الخلقية عند التلاميذ.

دور المدرس:

يعتبر المدرس حجر الزاوية في العملية التعليمية والتربوية، فهو يوثر بأقواله وأفعاله ومظهره وسائر تصرفاته في التلميذ، وفي تنمية الجوانب المختلفة لديه، ويستطيع أن ينجح في رسالته ما دام خلوقاً مهذباً متمسكاً بالسلوك الإسلامي الحميد، ولا يمكن أن يؤدي دوره في إرساء القواعد الأخلاقية إذا افتقد لما يجب عليه أن يذهب به.

ولكي ينجح المدرس في دروسه يجب أن يكون متديناً، وائتاً بالله كل الللة، معتقداً في دينه بقائه ولسانه، يتقى بالله ويرجع إليه وقرته^(١).

ويجب عليه أن يكون قدرة تلاميذه حتى لا ينطوي عليه قول الشاعر:
لأنّه عن خلق وشأنٍ مثله . . . عسَارُ عَلَيْكَ إِذَا فَحَلَتْ عَظَمَةٌ

ولا يليق بالمدرس أن يكون تدينه ظاهراً إلا أنه لا يليق أن يكشف على حقيقته، وهنا تكون النتيجة سلبة للغاية؛ لأن التلاميذ يسمون صدمة عنيفة عند كشف هذا الرزيف، ولهذا يجب أن يكون مدرس الدين عظيم الدين، فوى الإيمان، متوكلاً من دينه في تصوّره وأحكامه وفقهه مقتداً بما جاء فيه، عاملًا طبق أوصيروه، قادرًا على تفريغ دروسه إلى أذهان تلاميذه حتى يحسّنوا فيها والعمل بها^(٢).

(١) الطرق الخاصة في التربية: محمد عطية الإبرازلي، من ٤٥١

(٢) النظر: الطرق الخاصة بتدريس اللغة العربية والدين: حسن حربى وآخرون، مكتبة دار مصر للطباعة.

كما لا يكتفى من المدرس أن يكون متدينا من غير أن يجعل دينه إلى سلوك حسن يبدر به أمام تلاميذه، وهنا نؤكد أن: مطلق المدرس أثر كبير في أخلاق تلاميذه، فهو قدوة لهم يحاكونه في قوله وأفعاله وحركاته وسكناته ف يجب أن يكون منسقاً بدينه متخللاً بالفضيلة منحبنا كل رذيلة.^(١)

ولابد أن يكون ملماً يغدرن التربية – إلى جانب الدين والعلم، وذلك: ليتمكن... من دراسة نفسية الطفل والتزول إلى مسلوقة، وال欺辱 العاطلي به

ويجب أن يحرص المدرس على ربط الدين بمواقف الحياة المختلفة وتقديم الجوانب الخلقية من خلال الدروس وبصورة منفردة وغير مباشرة، أما حكاية الوعظ والإرشاد التي يكتفى بها بعض المدرسين دون اللذ في الأساليب فلا يغاليانا شئ في النأكيد على عدم جدواها، أو أن يكون الأثر ضعيفاً جداً ولا يعدل ما يبذل فيه من جهد.

ونؤكد على أهمية القدرة الحسنة داخل المدرسة وخارجها خاصة أن التلميذ يتتأثر بمدرسه أكثر من تأثيره بوالديه، وينجب عليه أن يتصف بالعدالة وعدم التفريق بين التلاميذ، وأن يكون تعامله معهم انتقالاً من الإسلام وأخلاقه الحسنة، وأن يكون حريصاً على أن يجعل تعامله معهم كما يتعامل القاضي مع المتخاصمين، وأن يجري الحوار بطريقة لحوية أو أبوية بعيدة عن القسوة والعنف، وألا يتبسيطه معهم جداً للدرجة التي يذوب فيها احترامهم له، وكثيراً

(١) الطريق الخاصة: محمد عطيه الإبراشي، من ٧٠.

(٢) تاريخ التربية الإسلامية: د/ أحمد شفيق، من ٦١٠، لـ المؤمنة المصرية.

ما يلتفت الطالب ما تعلمه من مطاليلاته بمهونه - سواء أخذتها من الكتب المقررة مباشرةً أو تلقاها عن مدرسه، وذلك عندما يخرج إلى الحياة العامة ويجد الواقع مختلفاً، وعلى خلاف الصورة التي رسمها له مدرسه.

ويجب أن يترفع المدرس عن الإهانة والتشابه التي يوجهها إلى الطلاب داخل الفصل أو في طابور الصباح؛ لأنهم يتدمعون إلى هذه الأفاظ، ثم تعلق بذكراهم، ويرددونها فيما بينهم، ويصبح من الصعب عليهم أن ينفكوا عنها. ومن الأخطاء التربوية الشائعة عدم انتظام المدرس في المضمار إلى الفصل والخروج منه، وربما يلجأ إلى وسيلة يحفظ بها للفصل هدوءه عندما يكلف أحد التلاميذ بحفظ النظام في الفصل، ونتيجة لذلك، يحدث الخصام بين الطلاب، وتتوارد الكراهية في مسخورهم، وربما يترصد بعضهم للأفراد نتيجة لغبار المدرسة، أو تركه للفصل. ومن صور الرزيف التي ينهض بها بعض المدرسين، وتركه أثراً سيناً على ثقوب الطلاب قيامه بإعداد مجموعة من الكراسيات وعدد من الطلاب؛ ليكونوا الواجهة له أمام المديرين والمرجعين، ولا شك في أن أكثر التلاميذ يستنكرون ذلك من المدرس ويستطردنه من أنظارهم، ويصبح سلوكاته أمامهم عديمة الجدوى، وهذا الأمر - للأسف - معروف للكثيرين. وهي صورة مرفوضة من صور الفشل، ولا يقتضي الأمر عند ذلك بل ظهرت صور أخرى أشد خطورة منها قيام بعض الطلاب بشراء بعض الوسائل التي لم يبذل فيها جهداً ذهنياً، ولقتصر على دفعه للمهنيا، ثم يأتي بها إلى المدرس ليعلقها على جدران الفصل، أو ليحفظتها في مكتبه، وينكرم على التعليم بمثله بغضنه.

الدرجات على عمل لم ينهض فيه بأى جهد.

إن هذا الفشل الذي يرتكب من خلال الوسائل التعليمية، منتشر، ويحتاج إلى تدخل من قبل إدارات التعليم، وإلى وقفة حازمة من قبل المديرين والمرجheimen. إن الوسيلة ذات هدف تبييض، ولها مردود إيجابي على طريقة التحصل، ولكن يجب أن تكون نابعة من الطالب، معبرة عن مستوى، وليس مشتارة من محترف يكتسب منها الأموال.

ومن الصور السلبية التي تتبعك على أخلاق التلاميذ أن يتحدث إليهم المدرس عن أسرار بيته، أو ينقل إليهم ما جرى من خلاف بيته وبين زملائه، أو يكلفهم بشراء أشياء يستمرها مصلحته الخاصة، أو أن يهمل مظاهره . وكثيراً ما نشاهد بعض المدرسين وهو لا تفارق العصا بيده، أو أن يبادر بالصرب والإهانة قبل الاستماع لأقوال المתחاصمين، ويفجع على المدرس أن يتحول سلوكه إلى التواحي الإيجابية، وأن يوقن أن ما يقوم به رسالة سامية، وليس منهنة قاصرة على الارتزاق، وأن يحاول الربط دائماً بين الدين والأخلاق حيث أنهاهما يهدنان لغاية واحدة.

إن الطفل في متى حياته الأولى يفكر على مستوى حسني، فهو لا يدرك المجردات والمعانى الفلسفية، ولذا يجب تغريب هذه الأمور له بشكل حسى وربطها بواقعه وحياته، فال يوم الآخر من المواقف البعيدة عن حياة الطفل، ولذا يمكن تغريبه لذهن الطفل عن طريق مقارنته بالشخص الذى تجربه المدرسة فى نهاية العام^(١).

(١) كيف نربي أبناءنا؛ معروف زريق، من ٨٧.

إن التعليم مهمة خطيرة يتحمل المدرس تبعها بالدرجة الأولى، وعليه تقع هذه المسؤولية، فالمرجوه يأتي ثم يصرف، والمدير يجلس للطابة في مكتبه أو بالمرور المتقطع والتابعة غير المستمرة؛ أما المدرس فإنه المسؤول الأول والحدث المباشر، وهو الشخص الوحيد الذي يفهم للتلميذ فهما صحيحاً، وربما أكثر من أبيه وأمه، ولذلك يدهش الطلاب كثيراً بمحاكاة أستاذ .. ابن الطفل ميل إلى التقليد، وخاصة تقليد أبيه أو معلمه فهو مثل أعلى بالنسبة له وكذلك فعل المدرس أن يكون قدوة صالحة لطلابه، فنظافة العمل وأحترامه لنفسه وقيمه ببراجاته، وحفظه للموعيد ومعاملته للأخرين كل ذلك يلعب دوراً هاماً في غرس الاتيادات الخلقية الصحيحة عند الأطفال^(١) على أن الجانب مهم في إيمان العناصر الأخلاقية عند التلاميذ هو التطبيق، وتحاشي الهوة السمعية التي تتولد أحياناً كانتقام بين النظريات التربوية والواقع الشعاع سواء على مستوى المدرسة أم البيت. وتغيير الصلاة تموذجاً فعالاً للجانب التطبيقى إذ أنها آثراً نفسياً عميقاً يستقر في وجدان التلاميذ، وينعكس بالإيجاب على تصرفاتهم، خاصة أنها تفترن بالكثير من الأخلاق مثل الصبر والهدوء والنظم وغيرها، فضلاً عن دورها الكبير في ترسیم العقيدة الدينية عند الأطفال.

المشرف الاجتماعي :

لا نفصل دور المشرف الاجتماعي عن دور المدرس كثيراً فكلها يكمل الآخر، غالباً أن المشرف يتوفّر له من الوقت والهدوء والمدايحة ما يستطيع به التعرف على الظروف المحيطة بالللاميد، ويدرك بذلك من الإسهام في حلها

(١) أسايق: من ٨٥ .

وإعادة السفينة إلى متابعة السير، وبائي دوره من نهوضه بالربط بين المدرسة والبيت، حتى لا ينبع الطالب بين الاثنين، كما يجب أن يلحق بكل مدرسة إخصائى اجتماعى نفسى مدرب قادر على اكتشاف الحالات الانحرافية بين الطلبة مبكراً كالخلف الدراسي، أو الاطباء، أو سوء العلاقات مع الغير أو العداون أو الانحراف الجنسي... إلخ، ومحاوله علاجها مبكراً والاستعانت بالمعالجين النفسيين إذا أقتضى الأمر^(١).

ويتبين كما ذكرت لا ينفصل دور الإخصائى أو المشرف عن دور المدرس والإدارة المدرسية، وهم جميعاً حلقات متصلة تعمل لخدمة التلميذ وتنمية أخلاقه.

المكتبة :

المكتبة دور كبير في الإسهام بتنمية الجوانب الفلاحية عند التلاميذ بما يتوفر فيها من كتب وبرامج تحكى سيرة الأنبياء وتاريخ العلماء وقصصات الأخلاق، وهي جزء لا يتجزأ من المدرسة، ولها مهمة تعليمية أساسية وينتشر فيها مالاً يتوفر في المكتبات المصنفة بالفصوص، كما أنها تضم العديد من القصص والحكايات التي تسهوى التلاميذ، في جميع الأعمار وينتشر أن يوجد لها «أمرين»، فاهم لمعلمه عريض على الإقادة، ومن الخطأ أن يسند الإشراف عليها إلى أحد المدرسين الذي يستخدمها كمحاجل خاص له يقتضي فيه وقت الفراغ أن يفتحها في الوقت الذي يرافق له وبذلك لا تتوسر للطلاب سبل الإطلاع أو الإعارة.

(١) علم النفس التربوي: د. محمد مصطفى زيدان، د. نبيل السماوطى، من، ٣، دار الشروق، بيته، ١٤٠١ - ١٩٨٠.

خامسة

- ١ - لقد وضح مما سبق أن الأخلاق هي المسوكيات الحميدة التي يجب على القائمين بالتعليم أن ينهضوا بتنميتها عند التلاميذ في المراحل المختلفة، وأن المدرسة تنهض بدور كبير تكمل به رسالتها في التربية، وتندد ما اعترض حياة التلاميذ من نقص يسبب أى نوع من الممارسات الخاطئة التي ترتكبها الأسرة يقصد أو يبدون فساد.
- ٢ - لابد أن تتبع التربية الأخلاقية من التعليم الديني، وأن تطلق في تعاملنا مع التلاميذ من واقع الأبوة الخالصة.
- ٣ - يجب أن توجه بالمناهج والمؤلفات المقررة لخدمة العقيدة التي تنهض بإثراء الخلق، وتقدير الروح وإشاء الفكر.
- ٤ - إن دور المدرسة ليس مقصوراً على العدیر أو الوکول وإنما يمتد ليشمل كل من في المدرسة، وتأتي اللقمة الأولى على المدرس بما له من دور خطير في توجيه سلوك التلاميذ، كما ينهض بالشرف الاجتماعي وأمين المكتبة بأدوار يتسمون بها رسالة المدرس.
- ٥ - يجب على كل من يشارك في العملية التعليمية أن يكون قدوة حسنة لغيره، ولللاميد بصفة خاصة.
- ٦ - ينبغي أن تحرص على الأمانة والتفاني في حل مشكلات الطلاب فهي ذات خطر عظيم على أنفسهم إذا لم نفرغ لها بالفعل المسؤول الأمين.
﴿وَإِنَّمَا لَا تُرْغَبُ قَوْمًا إِذَا هَدَيْتَهُ وَهُبَّ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾
(آل عمران: ٨)

الفصل الخامس

الصحف في الإسلام المشكلة والعمل (دراسة تطبيقية)

أحياناً أن أسمه بدورى في التصدى لمشكلة مهمة من مشكلات التعليم، وهي الصحف في مادة الإسلام. ولم أرغب في الاستعارة بالراجع والزملاء الكثيرة لتقني؛ الكاملة في أن التعامل مع المشكلة من واقع العمل أهم بكثير من عذرات بالمراجعة والدروبات.

ولقد كُلِّفْت بتدريس مادة (التحرير العربي)^(١) في عدة فصول دراسية متتالية، وأحسست بعد هذه المرحلة من التدريس برغبتي الملحة والأديدة في وضع تصور كامل لهذه المشكلة من كل النواحي، أملأ أن يسفر هذا التصور عن علاج لهذه المشكلة أو تقليل لمحاجها وتخفيف لتجاربها. وفي أثناء الفصول الدراسية السابقة كنت أرتب ما استقر لدى من آراء حول هذا المنشق، وحاربت أن احتفظ بمناذج كبيرة من الأخطاء الشائعة للطلاب والدارسين من خلال التطبيقات التحريرية والاختبارات الدورية، على أمل الوصول إلى رأي محدد حول أكثر الأخطاء المنتشرة، وأصر أن وسائل الإعلام، وبخاصة الصحف

(١) في الكلية المتعددة بالجامعة بجبل طارق سنة ١٤٠٧ هـ مارس ١٩٨٧.

اليومية لم تخل عن الصحف العام في هذه المادة بين الطلاب والطالبات في كل مراحل التعليم، وقد عرضت لذلك في حدود المستوى العام للقراء، من غير أن يأخذ هذا العرض - في مدى علمي - صورة رسمية تتجاوز حدود الصحف إلى الدوائر الحكومية المختلفة.

ومن الواقع عملي رأيت أن تكون الدراسة حول صحف الطلاب والدارسين بالكليات المتوسطة في الإلإاء ليقيني أن ما يتطابق على كلية متوسطة أو جامعة يتطابق على غيرها من الكليات المتقدمة.

وللمقيدين الدراسة في الكليات المتوسطة إما أن يكونوا طلاباً أو دارسين، والطلاب هم الحاصلون على الثانوية العامة بغضها العلمي والأدبي، والدارسين هم مدرسين أصلاً سبق لهم أن حصلوا أنواعاً مختلفة من الدراسة، وقضوا في حقل التدريس سنوات من العمل والممارسة، ثم رشحوا إلى الكليات المختلفة فتقدموا لها وانخرطوا في تلك الدراسة بها.

وقد لاحظت أن الصحف في الإلإاء وفي الخط أيضنا لا يختلف فيه الدارسون والطلاب اختلافاً بينا متميزاً، فقد نجد كثيراً من المتفوقين والمتميزين في دراسة الإلإاء دارسين وطلاباً، وقد نجد أيضاً من هم دون المستوى (ضعافاً) من الطلاب والدارسين (معاً) ولو كان الفرق واضحًا وبيناً للزم الفصل بين المتفوقين في المتفاهج والآسيب وغيرها.

ونعود لنذكر أن الصحف في الإلإاء وفي بعض المواد الصلة بها كالخط والتحفظ أصبح شبه عام، وقد استشرى بين قطاعات كبيرة من المتعلمين

واستشعره بعض المسوليين في دور التعليم من واقع التجارب التي قمت بها في أكثر من مؤسسة تعليمية، وهذا ما يجعل العناية بمساندة الإملاء ضرورة ملحة خاصة في الكليات التي ينهض المترجون منها بالعمل في حقل التدريس ، ولذا بعد الخطأ الإملائي منهم أثناء العمل خطيراً، إذ أنهم يعلمون صغار التلاميذ الذين ترشّم الكلمات بصواليها وخططها في مخيلةتهم، ويبيّنون عليها كما رسمت وقدمت لهم ولذا كانت العناية بهذه اللوعة من المتعلمين ضرورة ملحة وواجباً تربوياً رائعاً، وليس التعديل الأخير الذي ثبت المواجهة عليه لنظام الدراسات في الكليات المتوسطة^(١) إلا ترجمة حقيقة لأهمية هذه الفتنة فئة المدرسين في المسطروف الابتدائية.

أهداف دراسة الإملاء:

- ١ - للإملاء أهمية كبيرة في دراسة الطلاب^(٢)؛ لأنها تتصل بجميع فروع دراستهم ويجتمع أعمالهم الكتابية في أثناء الدراسة وبعدها حيث ترى الصحف في الإلقاء ويدخلون على بقية المركب، فيرسّب كثيرون من الطلاب في بعض المواد الأخرى نظرًا لضعفهم في الإملاء ويسبب رداءة الخط أيضًا، إذ لا يستطيع المصححون الوصول إلى الإجابة الصحيحة للأسئلة.
- ٢ - الإملاء وسيلة رئيسية لتعليم الرسم الصحيح للحروف والكلمات مع مطابقة هذا الرسم للأصول الفنية المعروفة، وتحاشر نقاط الصنف في التحرير

(١) ينحرفيها إلى كليات إعداد المعلمين زارت فيها السنوات الدراسية والسائلات المحتملة لها.

(٢) انظر كتاب (طرق خاصة بتدريس اللغة العربية ولذين: لحسن الحبيبى وأخرين من ٧٥).

الكتابي، وعلى صوته هذا التحرير يكتمل المعنى، ويتحقق في نظر القارئ»، فالسين والهمزة واللام (مثلاً) يمكن أن يتألف منها كلمة (سأل) وهذه تؤدي معنى لا تؤدي الكلمة إذا رسمت على هيئة أخرى مثل (سئل).

٣ - تفهم مادة الإملاء في إكساب الدارسين والطلاب قدرًا كبيراً من الخبرات والمعلومات والمهارات، وتساعدهم في تعميق معارفهم اللغوية التي تعاونهم في كتابة التعبير (الإنصاف) وأيضًا في تحضير خطوطهم (مادة الخط).

فالطالب أو الدارس الذي يملك قدرًا كبيراً من الألفاظ يستطيع أن يدوع في أسلوبه، فلا يكرر الأفاظه مادامت ذاكرته تسع قدرًا كبيراً من الكلمات المدراءة التي يمكن أن تدب إحداها عن الأخرى. وتنبع له أيضًا هذه المادة أن يتحرى الدقة في استعمال النقطة، وأن يختار بها ما ينلام مع المعنى، ولعلنا ندرك مثلاً الفرق بين قوله لإنسان: (أنت كاذب) وقولك له (أنت غير صادق). ولهذا وجوب في التعبير الكتابي أن يعني بالنقطة عناية كبيرة مع متابعة لوجه استعمالها من تراويف أو اضطراب أو غيرهما^(١) وبعد هذا الهدف مقدمة لما يأتي بعده وهو:

٤ - الإملاء من فروع اللغة العربية المتعددة، حيث ترى ارتباط القواعد الإلامية بالقواعد التجوية والصرفية وغيرها، والمادة (الخام) في علوم اللغة واحدة، حيث تكون الكلمة من عدة حروف، وتتشكل الجملة من عدة كلمات، ومن مجموع الجمل ينميك المقال أو الخطبة أو القصيدة أو الرسالة أو غيرها،

(١) راجع الفصل الثاني من كتاب (التحرير العربي) للكتورين أحمد شرفى وعثمان صالح، نشر جامعة الملك سعود.

ولابد من معرفة ما بين علوم اللغة من ترابط وتشابك. فالخطأ في الرسم الكتابي قد يرجع إلى الإملاء كالأخطاء المنتشرة في كتابة المهمزة مثلاً، وقد يرجع إلى الصرف كالخطأ في كتابة الألف اللينة، وقد يرجع إلى التحو كالخطأ في وضع الألف أمام وار الجماعة عند الإضافة تشبيهاً لاسم بالفعل، فنرى من يكتب خطأ (منسوبو الكلية)، والصواب أن تكون تختلف مع جمع المذكر السالم عند الإضافة ولا ترسم ألف بدل تكون في حالة الرفع أمام الواو، كما تحصل الإملاء بمادة القراءة، حيث تكون الإملاء في بعض الصيغ الابتدائية متغيرة إذ ينقل التلميذ ما قرأه وتعرف عليه ثم تكون متغيرة (متغرة) ومسورة. كما لا يخفى اتصال الإملاء بظاهرة الخط، وخاصة ما تكون دراسة الإملاء تشيرنا على الخط الجديد والرسم المدقق للحروف والكلمات.

نماذج من الأخطاء الشائعة:

ذكرت فيما سبق بعض الأهداف لدراسة الإملاء، ومنها تتضح أهمية هذه المادة؛ وضرورة المتابعة مناهجها وطبيعتها في مؤسسات التعليم المختلفة وبخاصة في الكليات الخاصة بإعداد المعلمين. ويحسن هنا أن أذكر بعض الأخطاء الشائعة التي تابعها بنفسه^(١)، علماً بأن هذه الأخطاء وغيرها ليست خاصة بطلاب معينين، فهي تذكر في كتابات غيرهم من يشتقون في أعمال تحصل باللغة اتصالاً وثيقاً كالإعلام والتدرис والكتابة الأدبية. ومن هذه الأخطاء:

(١) جمعت نماذج لهذه الأخطاء من خلال كراسيات الارسالين والطلاب في المجموعة الأولى في الفصل الدراسي الأول لعام ١٤٠٧هـ بالكلية الموسعة بالطائف.

- ١ - إضافة ألف بعد الفعل المضارع الدافع (الواوي) في حالة الإفراد مثل تعل الشعن، وتسمو الكلمة فنكتب خطأ هكذا (تعلوا الشعن وتسموا الكلمة).
- ٢ - عدم كتابة ألف بعد إسناد الفعل إلى واو الجماعة فنكتب (قالوا، أرادوا، باعوا) خطأ هكذا: (قالو، أرادو، باعرو).
- ٣ - إثبات ألف أسام وأو جمع المذكر للاسم في حالة الإضافة فيكتوبون هذه الجمل (هذا) مدرس الكلية متواحدون، على التسخن الثاني مدرسو الكلية متواجدون، وتغلب هذا الخطأ إلى الخلط بين أمور متشابهة إذ لا يفرقون بين الاسم والفعل في هذه الناحية، وينتشر هذا الخطأ (بالذات) انتشاراً واسعاً - وقد سبق أن ثررت إليه.
- ٤ - عدم التزام القواعد المعروفة في حذف بعض الحروف من الكلمة مثل هذا ولكن وغيرها فيكتوبها هكذا، هاذ، لاذن، .
- ٥ - إنشاع الصنمة في آخر بعض الكلمات إلى الدرجة التي يصيغون بها ولوا فيكتوبون كلمة (نحن) على هذا الشكل (نحر).
- ٦ - كتابة بعض الحروف بدلاً عن أخرى منقارية منها فيكتوبون النظاء مثلاً مثل (يصن) والصواب (يظن) ومثل قلب الصاد ثاء كفولهم (ظابط)، في (حتليط).
- ٧ - وصل بعض الكلمات ببعضها وأشهرها وصل (إن) الشرطية بالفعل (شاء) فنكتب الكلفتان خطأ هكذا (أشاء) .. الله تعالى، والصواب: إن شاء الله تعالى، والمأسوف أن هذا الخطأ منتشر في كثيارات كثيرة من المتعلمين، ولا تنتبه له بعض المصحف.

- ٨ - هناك أخطاء أخرى كثيرة يعود معظمها إلى المهزتين المتوسطة والمنطرقة وإلى تاء النائين المفتوحة والمربوطة، وإلى همزى الوصل والقطع وإلى الألف المنطرقة فتكتب كلمة (بِنَدَنْ) خطأ مكتنداً (بنَدَنْ) وتكتب الكلمات الآتية: الزئي، والهدي، والرها على غير الصورة المذكورة ولا يقتصر الخطأ في الألف للبلنة على الاسم، بل يشمل الفعل أيضاً إذ يكتبون الأفعال: ومى وقضى وسما ودعا وما يشبهها على غير صورتها الصحيحة.
- ٩ - عدم العناية بعلامات الترقيم مع أنها تهم بدور كبير في تحديد (المعنى) وبيان الفرض منه، والفصل بين أجزاء الكلام، كما توضع بعض العلامات في موضع الآخر إظهاراً، أو ادعاء المعرفة في بعض الأحيان، وأعتقد أن هذه الأمثلة المذكورة كافية للتدليل على مظاهر الصنف في الإملاء.

أسباب الصنف في الإملاء.

لادمنا قد تأكينا من وجود الصنف في هذه المادة بمراحل التعليم المختلفة وبخاصة بين طلاب الكليات، فلابد من تحديد أهم الأسباب التي نشأت عنها هذا الصنف بالنظر إليها إلى سنوات، عديدة سابقة كانت فيها برامج التعليم تختلف عما هي عليه الآن، ولذلك سوف أعرض فيما يأتى لأهم الأسباب:

- ١ - مناهج الإملاء في الكليات المختصة متغيرة وغير كافية، فقد كانت المادة منذ عدة سنوات ذات منهج إملائي محدد كال موضوعات التي عالجتها

بعض الكتب المندولة^(١) ثم تغير اسم المادة إلى (التحرير العربي) وصار المنهج إلى التغيير أقرب منه إلى الإملاء، علماً بأنَّ هذا المنهج تسير عليه – في حدود علمي – جامعة الملك سعود من خلال كتاب مطبوع في هذه الجامعة^(٢). وليس في هذا الكتاب على أهميته قاعدة إملائية واحدة مما يحتويه فيه الطلاب والمدرسون، مع الإقرار بمقاربة هذا الكتاب من حيث موضوعاته مع مقررات مادة التحرير العربي في الكليات المتوسطة وكانت مع زملائي نفع في إشكالية كبيرة أمام هذه المقررات، إذ أنَّ ما فيها لا يتجاوز بعض الموضوعات التعبيرية كالمقال والتخييم والتقرير والرسالة الإدارية .. ودراسة هذه الموضوعات وغيرها لا يقدم ولا يزخر في دراسة القراءع الإسلامية، لذلك كنا نقدم هذه الموضوعات للطلاب والمدرسون ثم نضيف إليها أهم القراءع الإسلامية الأخرى – في حدود الزمن المتاح – كعلامات الترقيم، وهزمتي الوصل القطع والهمزتين المتوسطة والمتطرفة والألف الليلية وغيرها، ثم زاد المقرر الزماني للمادة بعد بداية الفصل الدراسي الثاني لعام ١٤٠٧هـ فل أصبح سائعين أسبوعياً على مدى فصل دراسي واحد، وهذه الزيادة للزمنية التي لم يصحبها زيادة في المقرر جزء بسيط من الحال، وليست علاجاً ناجحاً ومفيداً لكل أجزاء المشكلة وإن كانت تكشف – حسب رؤيتي – عن خطورة هذه المشكلة وأهميتها ولذلك قرر قسم اللغة العربية^(٣) اختيار منهج ملائم لمفردات هذه المادة اعتباراً من الفصل

(١) مثل كتاب الإملاء والتترقيم للأستاذ عبد العليم إبراهيم، أو كتاب المفرد العثم في رسم القلم للسيد أحمد الهاشمي.

(٢) هو كتاب التحرير العربي من إعداد الدكتورين أحمد شرف رمضان وشمام صالح التريج.

(٣) في اكتفية المتوسطة بالمتاليف يوم الأربعاء ١٤٠٧/٧/١١هـ (١٩٨٧/٢/١١م).

الدراسي القادم^(١) يجمع بين المقررات الرسمية التي نصت عليها الإدارة العامة لإعداد المعلمين عندما كان الزمن ساعة واحدة أسبوعياً وبعض الموضوعات الإملائية؛ لينلامم هنا الانتهاء مع الزمن الجديد للمادة؛ وأعتقد أن هذا التغير والتعديل في المقررات والأزمنة وفي هذه المادة وخاصة بؤكد الحرصن على استقلالية المادة وأهميتها.

٢ - المعروف أن الطلاب والدارسين في الكليات المتوصطة قد سبق لهم تجاوز المرحلة الابتدائية، وتجاوزوا أكثرهم المرحلة المتوسطة وهي هالون المرحلتين يتم التركيز على القواعد الإملائية أما من درس منهم في المرحلة الثانوية، فلم يكلف بدراسة الإملاء أو بمتابعة قواعدها على الرجء الكامل، ونعود إلى برامج دراسة الإملاء في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة (الإعدادية)، فنرى أنها لا تكفي لأن تصلح القواعد الإملائية عند التلاميذ، قلiss للإملاء كتاب مستقل تبسط به القواعد والتطبيقات، وإنما تقدم القواعد الإملائية إذا وجدت - في قسم من كتاب القراءة، ويوكِّل تدريسيها إلى مدرس فروع اللغة الأخرى من نصر وصرف وقراءة وغيرها، ولهذا يخضع المنهج في المرحلتين المذكورتين إلى اتجاه المدرس أحيلنا.

وربما عمد المدرس إلى إبلاغ تلميذه قطعة بلغانية كل أسبوع أو أسبوعين معتمداً على الجانب التطبيقي من غير أن يهتم بالجانب النظري كشرح القواعد الإملائية، وبيان أوجه الصواب في الكلمات التي تكثر فيها

(١) الفصل الأول من عام ١٤٠٨ـ (١٩٨٨م).

الأخطاء. ولهذا نؤكد أن عدم استقلال الإملاء بكتاب مسقفل يجمع مفردات المنهج مع التركيز على الماتتين، النطري والتطبيقي من أهم الأسباب في صعف التلاميذ في هذه المادة في المراحلتين الابتدائية والمتوسطة.. ثم يتقطع الطلاب عن دراسة الإملاء ومتابعة قواعدها في المرحلة الثانوية.. وعند ذلك تذوب أو تتبخر بعض القراءات التي حصلوا عليها، وإذا انتظم هؤلاء الطلاب في الدراسة بالكلمات وهم يشكرون نسبة كبيرة من مسؤوليتها ظهر عليهم الصعف في هذه المادة الذي لم يستاه عددهم كما لم يستاه عدد كثير من الدارسين أيضا.

وقد ترجع بعض الأخطاء اللغوية في المراحلتين الابتدائية والمتوسطة بالذات إلى المدرس نفسه، نتيجة قصوره في فهم المادة وضعف مه�能ه التعليمي وكثرة أخطائه، كما أنه لا يبالي (أحياناً) بالتطبيقات التحريرية، وربما اكتفى بالثنين أو ثلاثة، وفي بعض الأحيان يتساهل المدرسوون في المراحلتين المذكورتين وفي المرحلة الثانوية في المراوحة على الأخطاء الإملائية بالغزوج الأخرى للغة بحجة شروع الأخطاء وانتشارها.. وإن أدرك الطالب ذلك فلا يندفع منه للحرص على الإملاء، فهي فضلاً عما ذكرنا ليست مادة رئيسية تسهم في نجاحه أو رسويه.

٣ - عدم عدابة الدارسين والطلاب بمادة القراءة في مراحل التعليم السابقة، وحتى من قبل الدارسين الذين مارسوا العملية التعليمية لسنوات عديدة، فالطالب أو الدارس الذي يواطئ على القراءة ويحرص عليها ينعرف على أنواع الكلمات وطريقة رسمها، لذا تقل أخطاءه كثيراً إن لم تندر تماماً، وقد

لاحظت ذلك فيمن درست لهم، فالطلاب أو الدارس الذي تتضمن من إجاباته كثرة فراغاته تجد أخطاء، قليلة ونادرة.

٤ - منعف الطلاب والدارسين في قواعد النحو والمصرف، ولهذا نجد نسبة كبيرة من الأخطاء الإملائية ترجع إلى دارسين المادتين فلا يفرق الطالب أحياناً في الكتابة بين الألف اللينة في كلمتي (ادعاً ورمى) حيث يرجع أصل الألف في الكلمة الأولى لغيره أثلاً، ويرجع أصل الألف في الكلمة الثانية إلى الياء فترسم واء، وكذلك يمكن الخطأ فيما شابه ذلك، كما لا يفرق البعض أحياناً بين الواو والدون في جمع المذكر السالم والواو والدون في الفعل المضارع المرفوع كما ذكرنا سابقاً.

٥ - ترجع بعض الأخطاء الإملائية إلى طبيعة اللغة العربية نفسها وإن كان من الممكن تلاشى ذلك بالقراءة المستمرة، والحرص على التعليم والفهم، فليس كل ما ينطق في اللغة يكتب، وليس كل ما يكتب من حرف الكلمة قد تطلق به.

كلمة (أولك) مثلاً تجد فيها إشكاليتين، الأولى أن الواو لا تنطق مع كتابتها، وإنما تُنطق أثلاً بعد اللام ولا تكتبها وتجد كثيراً من الكلمات تتضمن لهذا الاصططراب، فالكلمات الآتية تختلف كتابتها عن نطقها (هذا، هؤلاء، ذلك، طه، صباحاً (وما يشبهها)، وألو وألوين، يُشرى (بالياء واللهم بالألف) ولنسفنا، ولبيكنا).

٦ - الخلاف بين اللغويين في رسم كثير من الكلمات، ولهذا الخلاف جذور قديمة ترجع إلى أيام الجاسسين حيث اشتهد المراجع اللغوي بين مدرستي

البصرة والكرفة تبعاً لتدخل السياسة في إذكاء نيران هذه الصراعات اللغوية، وتشاهد مظاهر هذا الخلاف في عدم الانفاق على رسم هذه الكلمات وغيرها؛ الشجا تكتب بالألف وبالياء، ومثلها الرحا، لأنها تكتب على رحوبين ورحبيين ومثل المها (جمع مهاد) وهي البقرة الوحشية، لأنها تجمع على مهورات ومهيات، ومثل الرضا وغيرها. وقد نبه على هذه الخاصية بعض العلماء، كالأستاذ عبد العليم إبراهيم الذي قال: لا يغوتنا هنا أن نشير إلى أن كثيراً من لفظات هذه القواعد، لم يكن موضع اتفاق بين العلماء، بل تعددت فيه آراؤهم، تعدد ما ساقوه من العلل والأسباب، ووجد كل رأي أنصاراً ومشائخاً من الكتاب فظهرت بعض الكلمات بأكثر من صورة خطيبة في معارض مختلفة وألف الكتاب هذه الصور الشبيهة للكلمة الواحدة، فالتي ان الأمر عليهم، ولم تشفهم القواعد المتداولة لأن بها من الخلاف ما يزيد الأمر تعقيداً^(١) بل إن الأمر قد تذهب بالبعض إلى درجة من الصنجر فتم بعد بيالي بهذه الخلافات التي ارتدت على اللغة وقواعدها بانكسار صيغة، وإنما كانت الخلافات التح giove والصرفية قد هدأت منذ أزمان بعيدة قلا زال الخلاف في قواعد الإملاء قائماً، وأعلم من الواقع تجاري أن الخلاف يصل إلى الأفواه المدرسين في بلدان عربية كثيرة، وبذلك وضح أن الاختلاف على الرسم الإملائي قائم بين العلماء فيما وجدناها، ويقول الأستاذ عبد العليم إبراهيم مرة أخرى: «الذى أعلمه أن الخلاف فى الإملاء العربى لا يزال قائماً بين الدول العربية المختلفة، وبين أبناء الدولة الواحدة بل بين أفراد الطبقية المتحالسة من المنطقيين»^(٢).

(١) الإملاء وتترجم من ٣ و من ٤ مكتبة غريب مصر.

(٢) المراجع السابق ص ١١٠.

- ٧ - عدم التفريق بين الكتابة في المصحف التي تختلف القياس الإملائي وأحياناً والكتابة الأخرى خارج المصحف التي يلتزم فيها بالقواعد المعروفة. فانظر مثلاً إلى مخالفة القياس المنعوي (الإملائي) في قوله تعالى: **﴿وَمَا لِهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا﴾** وقوله: **﴿وَمَا لِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا﴾** فإن القياس يقتضي عدم فصل الهاء من اللام^(١) وقد كتب المصحف بالنظام والمطريقة الموجودة فيه في مرحلة متقدمة من عمر الأمة الإسلامية واقتضت قنسية القرآن الكريم أن يبقى على الصورة الأصلية القديمة التي تعرف الناس عليها ومحظوظ به منذ القدم، ولهذا لا لغيره وجوب أن يبقى رسم المصحف كما هو بدون تغيير.
- ويرى البعض أن تبقى الآية القرآنية على طريقة رسمها في المصحف إذا كتبت خارجه، ويجد البعض أن تكتب الآية بأيات القراءة خارج المصحف بالرسم الإملائي الذي تعلمه الطلاب حتى لا يقعوا في اضطراب وحيرة بين الالتزام بالقواعد، وعدم الالتزام بها.
- وأنكر ذلك وأقرره، ولا أود الإطالة فيه مع ميلى إلى الرأى الأول. وإن كانت هذه القضية تحتاج إلى جهد أكبر من جهد الآخوة القائمين على التدريس للتفرق بين النصوص المذكورين.
- ٨ - من أهم الأساليب للضعف في الإملاء انتشار العامية على ألسنة الكثريين من الناس حتى شملت قطاعات كبيرة منهم مثل المدرسین ورجال الإعلام وبعض الدعاة - وللأسف الشديد - صار مدرس اللغة العربية الذي

(١) النظر كتاب العفرد للعلم في رسم اللام الوائلي من ٨.

يلزمه باللغة العربية في بعض تعاملاته مثلاً للتدبر والصحيحة، وعندما شاركت في برنامج التربية العملية شاهدت للمطبقين للبرنامج وهو يستعملون كما كثيرون الكلمات العامية أيام التلاميذ الصغار، ولما دخلت مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة ذات مرة قال لي موظف الجوازات وهو يبتسם: هل أنت مدرس لغة عربية؟ قالتها بالعامية طبعاً، قلت له: نعم، وضحكـتـ. وأهدـفـ من ذكر ذلك للأكيد على لـلـتـشـارـالـعـامـيـةـ وـغـرـابـةـ منـ يـتـحدـثـ بالـفـصـحـيـ أـمـامـ النـاسـ.

معالجة أسباب الضعف:

لعلنا لاحظنا في حديثنا عن الأسباب السابقة أن بعضها منها يرجع إلى نظام تدريس الإملاء ومناهجه في المراحل التعليمية السابقة للدراسة في الكليات، وبعض الأسباب ترجع إلى مناهج تدريس الإملاء في الكليات المتوسطة نفسها، وبعضاً الآخر يرجع إلى ضعف الطلاب في القراءة والتحريك والصرف وفي تطبيق قواعد الإملاء ومعرفتها.

ومن الأسباب ما يعود إلى اللغة العربية نفسها سواء من حيث الاختلاف بين العلماء في رسم العديد من الكلمات، أو الاختلاف في كتابتها بين المصحف وطارجه.

وهذاك بعض الأسباب الأخرى التي تخرج عن نطاق اللغة العربية للصحيحة! لتدرج في هيز اللهجة العامية أو اللكلة الأعممية أو إحلال الحروف محل بعضها في النطق مما يتغير معه رسم الكلمة، كما نلاحظ أن بعض

الأسباب لا يمكن التصرف منها على المدى القريب، علماً بأن المستوى ليس سيراً للنهاية، وأن عدداً كبيراً من الدراسين والطلاب يجهدون الكتابة وينتفعون بالخطوط، ويتفقون تفوقاً بارزاً في فهم الدروس الإملائية، والمقالات تجد أن أعداداً كبيرة لا تجيد رسم الكلمات مما يسندعى للتحرك لتحسين المستوى تجاه هذا الكم الكبير من الكلمات مما يسندعى للتحرك لتحسين على ماهر عليه حتى تخرج هذه الأجيال التي بين أيديها الأجيال المقبلة علينا، وتثير الأجيال الصغيرة التي يشرف عليها هؤلاء المدرسين أو المقلدين على التدريس بما يحملون من صعف إملائي، ولذا لزم أن نرفع من مستوىائهم بقدر الإمكان للقضاء على نسبة كبيرة من الأخطاء، وبينهن أن يكون معروفاً أن الحراك لإصلاح الأخطاء اللغوية والإملائية يجب أن يخصيص لعاقلين وأطر مدرسوة ومحظط لها، وليس من الصواب أن ننسى في اتخاذ القرارات، ووضع الخطط لمقارنة الصحف في الإمداد، بل يجب الثاني وعمل الدراسات الازمة، وأخذ آراء من يقومون بالتدريس سواء في الكليات أم في غيرها من دور العلم، لأنهم أدرى بمطالب النادء وأيسر بأدوات العلاج.

معالجة المشكلة :

أرى أن المصدى لهذه الظاهرة يكن على النحو التالي:

- ١ - يجب الحرص عند معالجة أية ظاهرة لغوية على الرجوع إلى البداية، وهي هنا الصيغة الأولى في التعليم، وهي ليست الأولى والثانية والثالثة من التعليم الاندائي، بل أقصد ما يبعدها، إذ يمكن التلميذ في السنوات الثلاث المذكورة لولا أن يدرك على آخرف الهجاء، وأن يشكّل لها الكلمات، وأن يعتمد في الإملاء على المنقول فقط.

إننا نقصد إلى النصيحة على ضرورة وضع برنامج واضح ومحدد ومدرج بين الصنوف الثلاثة الأخرى من التعليم الابتدائي، وهي الرابعة والخامسة والسادسة على أن يكون كتاب، الإملاء مستقلاً وجاماً بين القواعد البسيطة والقطع الأبيبة المختارة والملازمة لمستويات التلاميذ، وأن يزداد هذا البرنامج وينتوس في المرحلة المتوسطة، ويكون كتاب الإملاء أيضاً مستقلاً مثل كتاب القراءة وغيرها، وأفضل أن ينهض بتدريس الإملاء في هذه المرحلة (بالذات) مدرس آخر غير الذي يدرس النحو والمسقوطات مثلاً مع ضرورة العناية بالتطبيقات، وأن تكون إدارة الإملاء تطبيقية في المرحلة الثانوية مع مادة التصوير أو غيرها، وأن تكون لكل منها درجات مستقلة مع العناية بغيرها اللغة العربية الأخرى كالقراءة والنحو والصرف (القواعد) والتشعيع عليها وتكون جماعات للإملاء والخط لكي يتضمن إليها ويشارك فيها من يجد في نفسه القدرة على المشاركة والتلتفق، ومن اللطف أن يدرك أمر هذه القيادة بما لها من أهمية لاجتيازه للعلم أحياناً مع اعتراضها بمجهده وعطاته ودوره في خدمة الأجيال الجديدة، ولذا اكتملت أثرت للغاية بهذه المادة في المرحلتين الابتدائية والإعدادية لكن النطلب على قدر كبير من هذه المشكلة التي تورط عدداً كبيراً من العاملين في الكليات الجامعية الخاصة بدراسة اللغة العربية.

ونذكر مرة أخرى على ضرورة أن تسمى وزارة المعارف في طبع منهاج الإملاء في كتاب مستقل يجمع بين القاعدة والتطبيق مع ضرورة العناية بالتدريس والمحاكاة والكرار وتصويب الأخطاء؛ لتنبيه القواعد الإملائية عند التلاميذ.

كما تؤكد على ضرورة تدريس الإملاء في المرحلة الثانوية ولم يجتنب مادة أخرى كالنحو أو التعبير، ولا يكفي بقطع الطالب عن دراسة الإملاء ليتجاهله من الهدف الثالث الأعدادي، واستمراراً في الانقطاع أثناء المرحلة الثانوية، ثم نقدم لهنّي بأنّي منهم إلى الكليات دروس الإملاء أو التحرير العربي لمدة فصل دراسي واحد؟!.

٢ - ضرورة العلية بعادة القراءة، لأن: «قراءة الكتب خير وسيلة للتقوية في الكتابة الإسلامية»^(١)، ويجب أن تكون مادة التعبير (الإنشاء) تطبيقاً تحريراً لمادة الإسلام خاصة في المرحلة الثانوية، ونرى أن العناية بميدان اللغة العربية الأخرى كالقواعد النحوية والصرفية تسهم في تجاوز مرحلة الخطأ في الإملاء.

٣ - حفظ القرآن الكريم والمعرف على رسمه وطريقة كتابته، مما يساعد الطالب في التفريق بين الكتابة في المصحف والكتابة خارج المصحف، وبذلك يقل الخلط بين التقطيعين (الرسعين) في الكتابة.

٤ - وضع برنامج زمني محدد للارتقاء بمستوى الدارسين والطلاب حتى لو وصل الأمر إلى جعل ساعة في كل فصل دراسي يقضيه الدارس أو الطالب بالكلية لمادة التحرير العربي بدلاً من أن يكون الحلجزي ساعتين في فصل واحد.

٥ - وضع منهج ثابت يتلاءم مع الزمن المحدد للدراسة وينتمي مع المستوى الحالى ويرتقي بالطلاب والدارسين مع ضرورة التنبية على أهمية

(١) الطرق الخامسة في التربية لتدريس اللغة العربية والدين: محمد عطية الإبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٤٥.

التطبيقات المحررية والتنويع على الأخطاء الشائعة والمترددة ووجوب حسم القواعد الإملائية إلى مفردات مادة المحرر العربي.

٦ - يجب أن يعلم الطلاب والدارسون أهمية هذه المادة حتى لو رسب فيها العديد منهم، ولو حدث ذلك لزالت المعايير بقواعد الإملاء مع إيمانى بعدم جدرى التعليم بالقسر والترهيب، وضرورة الافتتاح من قبل الدارسين والطلاب بأهمية وأوجه ومحاسنها وخطورتها أيضاً.

٧ - وأدى أن يتعاون مدرسون للمواد الأخرى في تصويب الأخطاء الإملائية، إذ لا يليق أن يقدم مدرس اللغة العربية قاعدة إملائية وينبه عليها، ثم يأذن مدرس لغادة أخرى ففيهم ما بناء الأول، على أننا لا نطالب مدرسون للمواد الأخرى إلا بما هو في حدود إمكاناتهم ومهاراتهم.

٨ - وندى في النهاية أن تلتف الجهات المختصة كمجتمع اللغة العربية، ومجمع اللغة العربية في دررها على منهاج واحد متافق عليه في الرسم الإسلامي، وأن تحرص الصحف والمجلات وكل وسائل الإعلام على مراعاة القواعد المعترف بها والمتفق عليها، ونحن لا نتجازر، بأمثالنا في العمل دائرة الكلمات المتوسطة، ولذا كان الحديث عنها والتركيز عليها، أما ما عدناها من الجهات الأخرى فلا تملك حوالها إلا ما قلناه وبنهنا عليه، وندى أن يطلع المسؤولون والمختصون في تلك الجهات على تلك الدراسة، لأن العملية التطبيقة مشابكة للأطراف متعددة الأهداف.

كلمة أخيرة:

إن كل ما ذكرناه لا يعني في حالة الالتزام به وتنفيذه أن يتحول
الدارسون والطلاب بين عشية وضحاها إلى منقوفين في الكتابة التحريرية
والإملائية إذ لا تتعذر بطرورحاتا حدود التحول والتغير على أبعد العيد الذي
قد يصل إلى عدة سنوات وهي ليست - أمام هذه الشكلة - طويلاً ومملة،
ما دمنا قد أختصنا الله به وعقدنا العزم على التغيير إلى الأفضل ، وليس ذلك
على الله ببعيد.

كتب للمؤلف

- | | |
|------|---|
| ١٩٨٤ | ١- شعر الحماسة في العصر العباسي الثاني. |
| ١٩٨٨ | ٢- باقوت الحموي ذريها ونقدا. |
| ١٩٨٩ | ٣- أمرؤ الفرس بين التداء والمحدثين. |
| ١٩٨٩ | ٤- القصوص في شهر أبي تمام. |
| ١٩٩٠ | ٥- شعراً طائف في الجاهلية والإسلام. |
| ١٩٩١ | ٦- قرآن الرواية في المملكة العربية السعودية بين الشأة والتطور
(الطبعة الأولى). |
| ١٩٩٢ | ٧- من روائع الأدب العربي في العصرين العباسي الثاني والأندلس. |
| ١٩٩٣ | ٨- من روائع الأدب العربي في العصرين الأموي والعباسي الأول. |
| ١٩٩٤ | ٩- أوزان الشعر- دراسة في المروض والكتابية. |
| ١٩٩٥ | ١٠- قرآن الرواية في المملكة العربية السعودية بين الشأة والتطور
(الطبعة الثانية). |
| ١٩٩٦ | ١١- دراسات في الأدب الجاهلي. |
| ١٩٩٧ | ١٢- أنطوار الأدب العربي في العصر الإسلامي. |
| ١٩٩٨ | ١٣- دراسات في الأدب الأندلسي. |
| ١٩٩٩ | ١٤- مناهج البحث في الأدب والتلقى والتربية. |
| ٢٠٠٠ | ١٥- تاريخ الأدب الجاهلي (تحت الطبع) |

تحلّب الكتب المذكورة عن دور الطبع والنشر الآتية:

- ١- المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة. ٩ درب الأثراء خلف الأزهر النسخة
٢٠١٢ - ٨٤٧
- ٢- مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عباس بالقاهرة ت: ٢٩٥٦٧٧١.
- ٣- مكتبة التراث بمكتبة المغاربة - الفزيرية - مغاربة ابن سعيد - خلف بنك القاهرة
السعودي - ت: ٩٦٦٥٩٤.

نهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	إهداء
٥	المقدمة
٧	باب الأول (معالم البحث والتقرير والتحقيق)
٩	الفصل الأول: طابع الدراسة في مناهج البحث
١٢	البحث الأدبي
١٤	تطور المناهج البحاجية
١٧	مناهج البحث في الأدب واللغة
٢٤	الفصل الثاني: مناهج البحث عند العلماء العرب
٢٦	أولاً: دررجم الأدباء
٢٦	ثانياً: من كتب الأدب والنقد والتاريخ عند القدماء
٢٩	الفصل الثالث: كتابة البحث
٣٤	أولاً: اختيار موضوع البحث
٣٥	ثانياً: خطة البحث
٣٦	ثالثاً: إعداد البحث
٣٨	الفصل الرابع: التقرير
٤٠	الخطوات المتبعه في كتابة التقرير
٤٣	المبادئ العامة في كتابة التقرير
٤٧	الفصل الخامس: تحقيق الخطوط المعرفية وطبيعتها
٤٧	خطوات التحقيق

الصفحة	الموضوع
٩٣	باب الثاني: (قضايا وبحوث تطبيقية)
٩٥	الفصل الأول: الاستشراق بين المسرح العدنى والنشاط الأدبي
٩٧	أهداف الاستشراق
١٠٥	بدايات الاستشراق
١١٤	أثر المستشرقين في الدراسات العربية
١٢٢	الفصل الثاني: المجالات الثقافية دورها في إثراء الفكر والقدّ والإبداع
١٢٥	أولاً: جذور الفكر العربي الحديث
١٢٦	ثانياً: بدايات الساحة العربية
١٢٧	ثالثاً: أبرز المجالات الثقافية
١٣٤	رابعاً: تأسيس الفكر والأدب من خلال المجالات الثقافية
١٤٤	خامساً: دور المجالات في تطور الأدب والفن
١٤٧	الفصل الثالث: تعليم القراءة للمبتدئين
١٥٤	١ - أسلوب التمهيل
١٥٩	٢ - أسلوب التمهيل
١٦٠	٣ - أسلوب التأجيل
١٦١	طرق تعليم القراءة
١٦٢	أولاً: الطريقة التركيبية
١٦٣	ثانياً: الطريقة التحليلية
١٦٤	ثالثاً: الطريقة المزدوجة
١٧٠	

الصفحة	الموضوع
١٧٥	أثر القراءة
١٧٦	الفصل الرابع: دور المدرسة في تربية الماتب الشفهي للشاعر
١٧٧	الجانب الخاطئ
١٧٨	دور المدرسة
١٧٩	خاتمة
١٨٠	الفصل الخامس: المنطف في الإملاء... المشكلة والحل (دراسة تطبيقية)
١٨١	تهيئة
١٨٢	أهداف دراسة الإملاء
١٨٣	نماذج من الأخطاء الشائعة
١٨٤	أسباب المنطف في الإملاء
١٨٥	معالجة أسباب المنطف
١٨٦	كتب المؤلف

والحمد لله أولاً وأخيراً

رقم الإيداع: ٤٦٣٢/٢٠٠٢

التراجم الدولي

I.S.B.N.: 977-241-317-5

